

السجود والعبادة بالروح والحق

الجزء الأول

المقالة الأولى : حول سقوط الإنسان وأسرّه في الخطية، وعن دعوته، وعن رجوعه بالتوبة، وعن ارتفاعه إلى الحياة الفضلى.

الجزء الثاني

المقالة الثانية : إنه من المستحيل أن يهرب أحد من الموت الذى تسببه الخطية ولا من سلطان الشيطان الطاغية، سوى بالتقديس بحب المسيح، وأن التبرير ليس بالناموس ولكن بالمسيح
المقالة الثالثة : يستحيل بدون تقديس أن نتجنب الموت من الخطية وسلطان الشيطان، وأن التبرير لا يصير بالناموس ولكن بالمسيح.

الجزء الثالث

المقالة الرابعة : إن كل من دُعِيَ من الله للتبرير وقد نال الفداء، ينبغي أن يسلك في طريق الله، وطالما هجر التمتع الذي يقود إلى الوضاعة، عليه أن يُسرع لكي يحيا بالحرى بصلاية وفقاً للناموس
المقالة الخامسة : الشجاعة التي بالمسيح

الجزء الرابع

المقالة السادسة : ينبغي أن نكرس حياتنا لذلك الذي هو وحده الإله بطبيعته، ونحبه من كل النفس والقلب.
المقالة السابعة : في المحبة الواجبة نحو الاخوة

يُطلب هذا الكتاب من :

> المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت : 2414023.

> بيت التكريس ت : 6745219 ، 4836389.

> ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة : 3.25 جنيهه



مؤسسة القديس أنطونيوس

المركز الأرثوذكسى

للدراستات الآبائية

بالقاهرة

نصوص آباءية - 58

السجود والعبادة بالروح والحق

للقدّيس كيرلس الأسكندري
(المقالة الأولى)



ترجمة
الباحث جورج عوض

ديسمبر 2001م
مراجعة لجنة المراجعة بالمركز

أيقونة الغلاف:

أيقونة القدّيس كيرلس عمود الدين بالمقر البابوي بالأبنا رويس بالعباسية للفنان د. إيزاك فانوس، تصوير دير مار
مينا بصحراء مريوط القس أنجيلوس أفا مينا.

- اسم الكتاب : السجود والعبادة بالروح والحق - المقالة الأولى
- اسم المؤلف : القدّيس كيرلس الأسكندري (عمود الدين)
- اسم المترجم : الباحث جورج عوض إبراهيم
- الناشر : مؤسسة القدّيس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة:
8 (ب) ش إسماعيل الفلكي - الدور الأول محطة المحكمة مصر
الجديدة ت: 2414023
- E-Mail: santonio@link.net
- اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة
- 2 ش المدارس حدائق القبة 4827074 - 4823578
- رقم الإيداع :
- الترقيم الدولي :

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية
بالقاهرة

نصوص أبائية - 58

السجود والعبادة بالروح والحق

(المقالة الأولى)

للقدیس کیرلس الأسکندری

(عمود الدين)

كتابات الآباء التي صدرت

- 1-38 ، 41 : نصوص للآباء صدرت ونفذت .
- 39 : رسائل القديس كيرلس (الجزء الرابع) من 50 . إلخ
- 40 : تفسير الرسالة الثانية إلى تيموثيوس . للقديس يوحنا ذهبي الفم .
- 42 : شرح إنجيل يوحنا . الجزء الثالث . للقديس كيرلس الأسكندري .
- 43 : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الرابع) للقديس كيرلس الأسكندري .
- 44 : رسائل القديس أنطونيوس ج2 (طبعة ثانية لرقم 10) .
- 45 : حوار حول الفالوث . للقديس كيرلس الأسكندري .
- 46 : رسالة اكليمندس الروماني إلى الكورنثيين .
- 47 : المسيح في رسائل القديس أناسيوس (طبعة ثانية منقحة لرقم 13) .
- 48 : عن الصليب للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 49 : عيد الخمسين للقديس يوحنا ذهبي الفم (نفذ)
- 50 : عظات القديس مقاريوس الكبير . طبعة ثالثة منقحة
- 51 : شرح إنجيل يوحنا . الجزء الرابع . للقديس كيرلس الأسكندري
- 52 : ميلاد المسيح . للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 53 : قيامة المسيح وقيامه الأجساد . للقديس يوحنا ذهبي الفم (نفذ)
- 54 : صعود المسيح . لغريغوريوس النيسى ، يوحنا ذهبي الفم ، بولس البوشى
- 55 : المقالة الرابعة ضد الآريوسيين .
- 56 : رسائل القديس كيرلس الأسكندري إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي (طبعة ثانية)
- 57 : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الخامس) . للقديس كيرلس الأسكندري
- 58 : السجود والعباد بالروح والحق . المقالة الأولى . للقديس كيرلس الأسكندري
يُطلب هذا الكتاب من :

> المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت : 2414023.

> بيت التكريس ت : 4836389.

> ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة : جنيه ونصف

المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

السجود والعبادة بالروح والحق (المقالة الأولى)

للقديس كيرلس الأسكندري

نوفمبر 2001

www.orthodoxonline.org

مقدمة

لمحات من حياة القديس كيرلس الأسكندري¹:

ولد القديس كيرلس حوالي سنة 375م بالأسكندرية، وهو ابن أخت البابا ثاوفيلس بطريرك الأسكندرية 23، وقد تعلم كيرلس في الأسكندرية برعاية البطريرك ثاوفيلس. ثم قضى كيرلس حوالي خمس سنوات في برية شيهيت (394-399)، إذ هناك قرأ العهدين القديم والجديد على يدي الأب سراييون الشيخ خليفة القديس مقاريوس الكبير.

كان كيرلس يحفظ النص الكتابي بمجرد قراءته مرة واحدة، وحضر دروس المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية على يدي ديديموس الضرير .

ثم استدعاه خاله البطريرك ثاوفيلس ليكون شماساً معه في الأسكندرية ورسمه قارئاً وطلب منه أن يشرح الكتب المقدسة للشعب.

وفي سنة 404م رُسم كيرلس قساً بكنيسة الأسكندرية وانطلق كيرلس يعظ ويعلم الشعب ويفسر الكتب المقدسة. لقد درس القديس كيرلس مؤلفات آباء الأسكندرية مثل أوريجينوس، وأثناسيوس، وديديموس الضرير. كما أطلع أيضاً على مؤلفات القديسين باسيليوس القيصري وغريغوريوس النزينزي. كما درس القديس كيرلس اللغات القديمة الشائعة في أيامه وهي العبرية والسريانية ولكنه كتب باليونانية وربما القليل بالقبطية .

عندما تنتج الأنبا ثاوفيلس في 15 أكتوبر سنة 412م اتجهت أنظار الجميع إلى القديس كيرلس، فتم انتخابه وقام الأساقفة برسامته أسقفًا للأسكندرية وبتطريخاً لكراسة مار مرقس رقم 24 في نفس السنة وله من العمر حوالي 38 سنة.

واصل البطريرك كيرلس جهاده في تعليم المؤمنين بالوعظ وتفسير الكتب المقدسة، وابتداءً من 428م بدأ القديس كيرلس يظهر كعلامة بارزة ومحطة هامة في تاريخ العقيدة الأرثوذكسية وتاريخ العلاقات الكنسية، وذلك بظهور هرطقة نسطوريوس بطريرك القسطنطينية، إذ قام كيرلس بدور المدافع الأول عن الأرثوذكسية ضد البدعة النسطورية.

وقد تعرض القديس كيرلس للسجن لعدة شهور أثناء فترة وجوده في أفسس بسبب دفاعه عن الإيمان. وعند عودته إلى الأسكندرية في 30 أكتوبر سنة 431م، استُقبل في الأسكندرية استقبال الأبطال، إذ نظر إليه المؤمنون على أنه أثناسيوس جديد وهكذا لقبه الأقباط بلقب " عمود الدين " .

رقد القديس كيرلس في الرب في يوم 3 أبيب سنة 160 ش الموافق 10 يوليو 444م، وذلك بعد كفاح طويل وصمود شامخ في الدفاع عن الإيمان ضد أخطر بدعتين هما الأريوسية والنسطورية.

القديس كيرلس مفسراً للكتاب المقدس :

لقد درج علماء الآباء على تقسيم كتابات القديس كيرلس إلى مرحلتين : الأولى: ما قبل ظهور البدعة النسطورية (428م)، حيث كانت هذه الفترة مكرسة لتفسير الكتاب المقدس بعهديه والدفاع عن الإيمان ضد البدعة الأريوسية. الثانية: من ظهور البدعة النسطورية إلى نياحته (444م)، وهذه الفترة كانت مكرسة للدفاع عن التعليم الصحيح عن التجسد وذلك ضد البدعة النسطورية .

يعتبر القديس كيرلس الأسكندري من المفسرين العظماء للكتاب المقدس في تاريخ الكنيسة، وبينما اتّبع الطريقة الرمزية لتفسير العهد القديم، ظل محافظاً على العقيدة من أية مساوئ قد تنتج من التطرف في التفسير الرمزي. إن التعليم عن المسيح ضد (أريوس، نسطور، أبوللينايريوس، افنوميوس) يمثل الأساس لفهم كل شروحاته وتفسيراته للكتاب، وهو يعبر في شروحاته عن تقاليد الكنيسة وعقيدها.

¹ أنظر: دكتور نصحي عبد الشهيد، القديس كيرلس الأسكندري حياته وكتابات، أعمال المؤتمر السنوي السادس للدراسات الآبائية، سبتمبر 1998، إصدار مركز دراسات الآباء، ص189.

القديس كيرلس بدون شك لا ينتمي إلى المتطرفين في التفسير الرمزي كما كان يستخدم الطريقة التاريخية في التفسير مع استخدامه للطريقة الرمزية مع الطريقة النماذجية (Typology)².

إسهامات القديس كيرلس كمفسر للكتاب المقدس:

أ - العهد القديم :

إن تفاسير القديس كيرلس للعهد القديم تعتبر من أقدم كتاباته، فقد كتب " العبادة بالروح والحق" في صورة حوار بينه وبين بلاديوس، وهو شرح روحي "رمزي"، " نماذجي"، ويشمل الكتاب 17 جزءاً، وهي موجودة باليونانية في مجلد 68 من باترولوجيا ميني.

وكتب أيضاً في هذه الفترة "الجلافيرا" (Τα Γλαφυρά) "المختارات" من ثلاث عشر جزءاً، وهو يُكمل ما سبق أن كتبه في " العبادة بالروح والحق"، ولكنه لم يكن في صورة حوار: ما يخص سفر التكوين سبعة أجزاء، وثلاثة أجزاء لسفر الخروج، وثلاثة لأسفار اللاويين والعدد والتثنية.

وكتب أيضاً في هذه الفترة تفسيره لسفر إشعياء والذي شغل مجلداً كاملاً (رقم 70) في سلسلة Migne، وكتب أيضاً شرحه للأنبياء الصغار.

أما شروحات القديس كيرلس لأسفار الملوك، نشيد الإنشاد، والأنبياء حزقيال، إرميا، باروخ، دانيال فلم يبق منها سوى مقاطع صغيرة.

ب - العهد الجديد :

(1) شرح إنجيل يوحنا :

كتب القديس كيرلس شرحه لإنجيل يوحنا ويحوى 12 كتاباً.

إن شرح كيرلس له طبيعة عقيدية، والمقدمة تكشف على أنه يريد أن يُعطى مفاهيم عقيدية للنص وأن يحارب الأفكار الهرطوقية.

يفحص القديس كيرلس في شروحاته هذه فكر الأريوسيين، وفكر أتباع أفنوميوس. وفي هذا الشرح لا يذكر لا نسطور ولا مصطلح والدة الإله. ومصطلحاته في هذا العمل ليست هي نفسها الموجودة في كتاباته بعد ظهور النسطورية. لذلك يوجد اتفاق بين المفسرين بأنه كتبه قبل فترة البدعة النسطورية³، ويقوم المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية منذ سنة 1989 بترجمة ونشر شرح هذا الإنجيل تباعاً إلى العربية، وقد نُشرت أربعة أجزاء منه حتى الآن على الإصحاحات من 1-8.

(2) تفسير إنجيل لوقا :

² التفسير المثالي أو النماذجي للكتاب المقدس يسمى " Τυπολογία " من كلمة "مثال" أو "نموذج" باليونانية " Τύπος " أو "Type" بالإنجليزية وهي تعنى نموذج أو مثال، يشير إلى حقائق أُعلنت في العهد القديم تتم في الأزمنة الأخيرة بواسطة المسيح. والسمة الجوهرية في هذا التفسير هو Christocentric أى أن المسيح هو مركز كل شيء، فأدم ونوح وموسى هم أمثلة أو نماذج لأدم الثانى ونوح الجديد وموسى الجديد أى "المسيح". والقديس بولس يبيننا لذلك قائلاً: "هذه الأمور جميعها أصابتهُم مثلاً وكتبت لإتذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور" (1كو11:10). وهكذا نجد نموذج الإفخارستيا هو المن السماوى في إنجيل يوحنا، وعبور البحر الأحمر مثال المعمودية في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ، والطوفان نموذج للمعمودية في رسالى بطرس الأولى.

³ هذا رأى الأب جورج فلورفسكى في كتابه " آباء بيزنطة القرن الخامس " والصادر في تسالونيكي سنة 1992م.

هو مجموعة عظات حول نصوص إنجيل لوقا، والهدف من هذه العظات ليس عقديًا فقط كما في تفسيره لإنجيل يوحنا ولكنه روحى وعملي أيضًا.

لقد بقيت فقط ثلاث عظات من النص اليوناني المفقود وبعض المقاطع الأخرى، بينما هناك 156 عظة وصلت إلينا باللغة السريانية (من القرن السادس) ومن خلال هذه الترجمة نعرف من العظة رقم 63 أن وقت كتابة هذه العظات كان أواخر 430 م لأنه يذكر حرومات القديس كيرلس الاثنى عشر، وقد ترجم المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية هذا التفسير على إنجيل لوقا من الترجمة الإنجليزية ونشره فى خمسة أجزاء من سنة 1990 إلى سنة 2001.

(3) مقاطع تفسيرية لأعمال أخرى للعهد الجديد :

توجد مقاطع قليلة من شروحاته لإنجيل متى، وأسفار أخرى من العهد الجديد .

السجود والعبادة بالروح والحق:

لقد كتب القديس كيرلس هذا العمل فى صورة حوار بينه وبين بلاديوس وهو شرح رمزى ونماذجى للعهد القديم. ويشمل هذا العمل سبعة عشر جزءًا. اتبع القديس التقليد الأسكندري فى التفسير، إذ عبر على الحرف والتاريخ ودخل إلى قلب النص مفتشًا عن المعنى الروحى اللازم للغذاء. إن التفتيش عن " المعنى الروحى " وراء الحرف هو الغرض من التفسير، والقديس مُحق فى تطبيقه لهذا المنهج فى تفسير العهد القديم لأن الناموس يعطى فقط صور ورموز للحقيقة، لذلك قد أُبطل. ولكن كيرلس يشدد على أن الإبطال تم بحسب الحرف وليس بحسب محتواه الروحى وأهميته الروحية، ومن هنا فإن الناموس - بحسب رأى القديس - حفظ فاعليته حتى اليوم ولكن بحسب مفهومه الروحى. لذا فكل الأعياد والوصايا اليهودية المذكورة فى العهد القديم تمثل صورًا ونماذجًا للعبادة المسيحية الروحية. وإن كلمات المسيح التى تمثل مفتاحًا لهذا الأمر هي: " ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق لأن الأب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا " (يو4:23-24).

≡ فى الجزء الأول: يتكلم عن ضرورة تحرر الإنسان من الخطية التى دخلت بسبب سقوط الأيوين الأولين.

≡ فى الجزأين الثانى والثالث: يؤكد على التبرير بواسطة نعمة المسيح.

≡ أما فى الجزأين الرابع والخامس: يحدثنا القديس كيرلس عن ضرورة مشاركة الإرادة الإنسانية بالقبول والتفاعل مع دعوة المسيح.

≡ وفى الجزء السادس: يتكلم القديس كيرلس عن ضرورة الإيمان والمحبة نحو الله.

≡ وفى الجزء السابع وكذلك الثامن: يتحدث عن محبة القريب.

≡ وفى الأجزاء من التاسع إلى الثالث عشر: يحدثنا عن الكنيسة والكهنوت.

≡ وبعد ذلك يحدثنا عن التطهير والعبادة الروحية فى الأجزاء من الرابع عشر إلى السادس عشر .

≡ أما الجزء الأخير (السابع عشر): يحدثنا فيه عن الأعياد اليهودية وعن أنها تشير إلى الأفراح السماوية.

لقد كتب القديس كيرلس هذا العمل على الأرجح قبل عام 428م. إن نهاية الجزء السادس والجزء السابع كله أنقذا فى ورق بردى يرجع إلى القرن السادس (48 ورقة). وتوجد ترجمة سريانية لكل هذا العمل ترجع إلى القرن السابع. ويقوم المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ابتداءً من هذا الجزء بترجمة هذا الكتاب عن اليونانية ونشره تباعًا. وللمزيد من الاستفادة لهذا العمل التفسيري سوف نلقى ضوءً على الطريقة الروحية لتفسير الكتاب المقدس عند القديس كيرلس.

أساسيات التفسير الروحي للكتاب المقدس:

لقد كان القديس كيرلس كأسكندري أصيل، تابعاً متحمساً للتفسير الروحي للكتاب المقدس، وأيضاً في إطار التعليم عن شخص المسيح يشرح لنا التفسير الروحي. فكما أن ناسوت المسيح يؤكد ألوهيته تاريخياً، هكذا أيضاً الحرف أو التاريخ يُعلنان المعنى الروحي الإلهي المقصود من الكلام المكتوب .

والتفسير الروحي، بحسب القديس كيرلس، يتخذ الحرف أو التاريخ أساساً له إذ فيه يتعرف على سر المسيح "سر التدبير الإلهي". فالتجسد يُعلن هدف التدبير الإلهي ويتعرف عليه عندما ننظر إلى أقوال وأعمال المسيح المدونة في الكتاب المقدس وفق هذا التجسد "الإخلاء" (عن الإيمان المستقيم 30، P.G. 76, 1373C) .

لذلك، بحسب القديس كيرلس، يجب أن نعبر من حرف الكتاب والذي يصف الكلمة بطريقة بشرية، أي وفق مقاييس بشرية، إلى الفهم الروحي الإلهي. إذن التفسير الروحي عند القديس كيرلس يستلزم التمييز الواضح بين عالمين: العالم المحسوس المادي؛ والعالم الروحي الذهني، ويستلزم أيضاً التأكيد على الاتحاد بين هذين العالمين بدون امتزاج، كما تحقق هذا الاتحاد في شخص المخلص الواحد ربنا يسوع المسيح. وبناء على ذلك فتطبيق التفسير الروحي يُنظر إليه على أنه تجلي وتغيّر للعنصر التاريخي والإنساني (الحرفي) وتحوله إلى العنصر الإلهي والروحي والذي هو متحد معه بغير امتزاج ولا انفصال.

والآن نسرد بعض المبادئ الأساسية لفهم التفسير الروحي لكيرلس :

1- يؤكد القديس كيرلس على أن الكتاب المقدس يتكلم عن الله بشرياً لأن الله لا يستطيع أن يتكلم أو يُعلن عن نفسه إلا بطريقة بشرية قريبة من الإنسان ومفهومة لديه (تفسير المزامير P.G. 69, 792). وهذه الطريقة لا تقلل من سمو المجد الإلهي، ولكن على العكس، فإن عجز العقل البشري واللغة البشرية هما السبب الذي جعل الكتاب يتكلم بطريقة بشرية عن الله. وهكذا فالكلام عن الله يحاكي ويتكيف بحسب الحاجة مع مقاييس الكلام البشري. ولكي نعرف سمو المجد الإلهي، علينا أن نفهم الشواهد التاريخية والإنسانية عن الله، المدونة في الكتاب المقدس وذلك بطريقة خاصة. إذ أن الإنسان موجود في كثافة جسدية وتحكمه قوانين بيولوجية، ويجب عليه ألاّ ينحصر في الفهم البشري للكلمات " اللاهوتية " ولا يعيها بطريقة حرفية صارمة أو بطريقة تاريخية فقط ولكن وفق العنصر الإلهي .

ستظل الكلمة البشرية قاصرة وغير كافية لوصف الإلهيات، فتعبيرها دائماً نسبي، فهي محصورة داخل حدود اللغز والنموذج والعلامة والمثال. وبواسطة الكلمة نستطيع أن نفهم جانباً ما من العنصر الإلهي الروحي. فالكلمة الكتابية لا تعلن ماهية الله بالضبط، ولكن تعلم بعض مفاهيم عن الله (ضد نسطور 3:1 P.G. 76, 33C) .

والذي حدد هذه المفاهيم ليست الكلمات اللغوية أو المفاهيم التاريخية في حد ذاتها، ولكن المعنى الروحي المختفي والعميق السري، وذلك بحسب التدبير. والتدبير هو الذي يقودنا إلى الفهم الصحيح للأقوال البشرية (تفسير إشعياء 1:3، P.G. 70, 565C) .

إذن التفسير الروحي للكتاب ليس هو قضية لغوية أدبية صارمة، تقتصر فقط على الفهم الحرفي أو التاريخي، ولكن هدف التفسير هو "المعرفة الإلهية" والتي تستلزم عدم بقاءنا في الحرف أو التاريخ، ولكن نعبر فيه إلى الروح، فما يرمي إليه التفسير هو المعرفة الخلاصية لعمل التدبير الإلهي. لا يمكن أن نظل في الحرف (الكلمة المكتوبة) لأن الغرض منها هو الصعود الدائم نحو الأسمى، من المحسوس إلى الروحي. فالحرف يخدم سر التدبير الإلهي، والمحسوسات البشرية تتغير وتتجلى بفضل التجسد، نحو الحالة الإلهية في المسيح يسوع (تفسير متى، P.G. 75, 429C) .

بحسب القديس كيرلس فإن الكلمة في الفلسفة اليونانية هي بلا جسد (ἀσάρκος) أما الكلمة الكتابية فهي متجسدة (ἐνσάρκος) وهي حاملة لقوة سر الألوهية، فهي المثال والنموذج للروحانيات، ولذلك ترفع العقل من الماديّات إلى الروحانيات .

2- يشدد القديس كيرلس على عدم احتقار الحرف أو التاريخ ، فلكي نصل إلى التفسير الروحي لا بد أن نفهم أولاً الخاصية التاريخية واللغوية للنص، وعن طريق هذا الفهم يستطيع المفسر أن يتعرف على قوة الكلمة التي تقود إلى الرؤية الروحية. فالتفسير التاريخي والحرفي عند القديس كيرلس مهم لأنه :

أ - يعتبر الظل الذي يقود إلى عمق الروحانيات (العبادة بالروح والحق 3 ، P.G. 68, 540B) .

ب . يُؤمن حقيقة المفاهيم الروحية الإلهية بعيداً عن التأمل الروحي المريض، لأن التاريخيات أو الحروف هي نماذج وظلال للحقيقة .

ج - له هدف تربوي، وتعليمي، وأدبي لأن مختارى الله سواء في العهد القديم أو العهد الجديد هم نماذج وقوة للحياة المسيحية الحقيقية .

الكلمة المكتوبة لها مفهومان: تاريخي وروحي، والذي يقودنا إلى التفسير الصحيح هو الإيمان، لأن الإيمان يسبق المعرفة، إذ بواسطة الإيمان يصل الإنسان إلى المعرفة الكاملة (شرح إنجيل يوحنا 4:2، P.G. 73, 576D) . والإيمان هنا هو المعرفة الصحيحة عن الله داخل حياة الفضيلة (شرح يوحنا 12، P.G. 74, 756D) . الإيمان بالاتحاد بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير في شخص المسيح، أعاد الوحدة بين المحسوس والروحي، وأيضاً بين أنشطة الإنسان الجسدية والحياة الروحية. ولكي نصل إلى المفهوم العميق والسري للكلمة الكتابية، هناك احتياج دائم لتطبيق الهدف العام، بمعنى أن نتعرف داخل شخصيات وأحداث وروايات الكتاب على فعل التدبير الإلهي وبالتحديد سر المسيح. هذه الطريقة تمنع وجود أي مسافة فاصلة بين العهدين القديم والجديد كما أنها تمنع وجود خلط بين العهدين. فالعهد القديم والعهد الجديد بينهما علاقة لا تنقطع، والتقليد الأسكندري الذي ينتمي إليه كيرلس يستند على تفسير (2كو3:6) "الذي جعلنا كفأة لأن نكون خدام عهد جديد. لا الحرف بل الروح. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى"، و(عب10:1) "لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون" .

فالعهد القديم هو نص نبوي له شكل الظل والمثال والنموذج، فهو يتنبأ عن سر المسيح، وهذا يسري على أسفار موسى الخمسة وأيضاً على كل الكتب النبوية. (العبادة والروح والحق 6، P.G. 68, 440A)، (تفسير إشعياء 5:2، P.G. 70, 545D) .

العهد القديم هو ظل للعهد الجديد، وذلك في حالة فهمه بالتفسير الروحي، لأن طبيعة الكلمة الكتابية هي لغز وظل ومثال.. وبدون اللجوء للمحتوى الذي يُعلن بواسطة الكلمة فهي تظل بلا فائدة (شرح يوحنا 4:5، P.G. 73, 661) .

عند القدّيس كيرلس هناك ثلاث أسباب تجعلنا نتمسك بالعهد القديم :

1- بالعهد القديم نرى أن سر المسيح ليس شيئاً جديداً ولا مستحدثاً، بل هو موجود من البداية وقد عُبر عنه في شكل الرمز والظل في الأحداث والأعمال التعبدية وأيضاً في الأعياد المذكورة في العهد القديم (مختارات على سفر الخروج ص2، P.G. 69, 424B) (على سفر ملاخي ص2، P.G. 72, 364C) .

2 - كان المسيح حاضراً في أحداث وشخصيات العهد القديم ولكن أيضاً بالرمز والمثال، وذلك بسبب ضعف السامعين (تفسير لوقا، P.G. 72, 901C) .

3 - حضور المسيح في العهد القديم يُبرهن على أن الكتب المقدسة أوحيت بنور روح المسيح (العبادة بالروح والحق 4:5، P.G. 68, 1313D) .

وهكذا يُشدّد القدّيس كيرلس على أن نقبل العهد القديم لا بالمفهوم الحرفي بل بالمفهوم الروحي .

XXXXXXXX

نتوسل إلى إلهنا القدوس محب البشر الآب والابن والروح القدس أن يبارك في هذه الكتابات لبنيان كنيسته تمجيذاً لاسمه القدوس، بصلوات سحابة الشهود الآباء القديسين، وصلوات القدّيس كيرلس الأسكندري عمود الدين . مؤلف هذا الكتاب، وصلوات قداسة البابا شنودة الثالث، وإلهنا كل السجود والتسبيح والتمجيد الآن وإلى الأبد . آمين.

المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية
بالقاهرة

14 نوفمبر 2001م
5 هاتور 1718ش
العيد الثلاثين لجلوس
قداسة البابا شنودة الثالث

www.orthodoxonline.org

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة الأولى

حول سقوط الإنسان وأسرته في الخطية

وعن دعوته

وعن رجوعه بالتوبة

وعن ارتفاعه إلى الحياة الفضلى

إلى أين تسير ومن أين أتيت، أسألك بالطبع وأعتبر أن السؤال غير ضروري، لأنك ستقول بدون تردد إنني أعرف ذلك جيدًا، وأنت أتيت من البيت إلى هنا .

بلاديسوس: هذا حقيقي.

كيرلس: ما هذا الكتاب الذي في يدك؟

بلاديسوس: إنه الإنجيل، بحسب متى ويوحنا.

كيرلس: وأين تظن أنه يجب أن تذهب به ولمن؟ لأنك بالتأكيد لن تستطيع يا بلاديسوس أن تدرسه خارج البيت، فالتعب والمشقة في القراءة تكون ممتعة في هدوء البيت.

بلاديسوس: نعم. أتيت لكى أحدث معك. وأحضرت لك الكتاب المقدس، لأنه بالرغم من إنني أجهدت نفسي مرارًا، لم أفلح في أن أفهم جيدًا ما الذى يقصده ربنا يسوع المسيح بما يقوله في الإنجيل بحسب متى " لا تظنوا إنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل "4

وهذا الذى يقوله للمرأة السامرية في إنجيل يوحنا: " يا امرأة صدقيني إنه تأتى ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للأب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق. لأن الأب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا "5.

كيرلس: ما هو الذى يبدو لك صعبًا فيما ذكرت؟ وما هو الشئ الغامض وعسير الشرح فيه؟ أخبرنى.

بلاديسوس: تأمرنا الكلمة المقدسة بأن نتحرر من العادات القديمة، ونكف عن أن نتبرر بالناموس. لقد قال بولس لهؤلاء الذين يريدون أن يتبرروا بالناموس بعد إيمانهم بالمسيح: " قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس سقطتم من النعمة. فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر "6. وبينما يُظهر دوافع مُشرّفة وعظيمة من أجل الافتخار بالحياة وفق الناموس، لكنه يُقرر أيضًا " ما كان لى ربكًا فهذا قد حسبه من أجل المسيح خسارة. بل إنني أحسب كل شئ أيضًا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه، وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح، البر الذى من الله بالإيمان "7.

¹ مت 18:17:5

² يو 24:21:4

³ غلا 5:54

⁴ فيلبي 9:7:3

ويؤكد بوضوح أن الوصية القديمة لم تكن بلا لوم. لذلك قد حلت الوصية الجديدة أى الإنجيلية محل الوصية القديمة لمنفعتنا بواسطة المسيح. وحسباً يكتب الآتى: "فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يُكمل شيئاً. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به تقترب إلى الله"⁸. لأنه لو أن الوصية الأولى أعطيت لكاننا لِمَا كانت هناك حاجة للثانية لأنه يقول "فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طُلب موضع لثانٍ". لأنه يقول لهم لائماً هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. لا كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم يقول الرب. لأن هذا هو العهد الذى أعده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب أجعل نواميسى في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً"⁹. وبولس يتأمل في كل هذا ويفسر بشكل خاص مفهوم العهد الجديد قائلاً: "فإذ قال جديداً عتق الأول وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال"¹⁰.

إذن لو أن الناموس لم يقدّم الكمال في أى شئ، وصار إبطال للوصية القديمة ودخول للثانية التى تقودنا إلى الاقتراب من الله، لماذا يقول المخلص "لم آتٍ لأنقض الناموس بل لأكمل" وأنه "يجب أن نعبد إلهنا وأبانا بالروح والحق"¹¹. هذا يعلن على ما أظن أنه يجب أن نهجر عادات الناموس وعبادته.

كيرلس: إنها تساؤلات متسعة كاتساع البحر. لأن أى عقل له القدرة على تحمل الرؤية بأكثر لمعانٍ، لدرجة أنه بجوار كل ما هو من القديم الذى أعطى بواسطة الحكيم موسى، يُقدّم لنا الكتاب الجديد كأخ وجار ومهتم بنفس الأمور، وأن الحياة (في المسيح) ليست منفصلة تماماً عن ما جاء في الناموس، وذلك لو فُحصَ الناموس بالمفهوم الروحي؟ لأن الناموس هو مثال وظلّ التقوى، والحقبة فيه لا تزال في فترة المخاض، وجمال الحقيقة هذه مخفى داخل الناموس. ربما ستقول أن الأمر ليس هكذا كما أقول؟

بلايدوس: هكذا بالضبط. لكن كيف يمكن أن يتضح هذا الأمر؟ أو كيف يمكن أن نعتقد أن من يسير حسب الوصية الإنجيلية يعتمد على الوصية القديمة، وأن الوصية الإنجيلية مكملّة لكل ما حدده موسى؟

كيرلس: ليس من السهل افتراض هذا الأمر. فالفضيلة هى، على ما أعتقد، أمر متشعب جداً ومتعدد الجوانب. ومفاهيم الحياة المسيحية تُزين بعدد لا حصر له من الأعمال الصالحة. ولأجل ذلك طبعاً يضع داود العظيم في مزمور 44 بجوار المسيح - في مكان الملكة - الكنيسة كعذراء نقية ويحوطها بزى مؤشى بالذهب قائلاً: "جعلت الملكة عن يمينك مزينة بذهب أوفير"¹¹. إن كلمة "بذهب" تعنى بكل وضوح، كرامتها وإشراقها، بينما كلمة "مزينة" تعنى كثرة جمال الفضيلة. فالكنيسة ذات جمال بالغ، ولديها زينة عقلية لا تُرى بالأعين الجسدية، بل تُرى بالعقل والقلب، وهى خفية عن اليهودى، بينما تظهر لنا نحن في جمال رائع وأصيل بلا حدود.

لأنه كما يكتب الطوباوى بولس: "لأن اليهودى في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذى في الظاهر في اللحم ختّاناً. بل اليهودى في الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذى مدحه ليس من الناس بل من الله"¹².

بلايدوس: أخبرنى، طالما أدخل الختان الروحي، وتغيرت الذبائح الناموسية ولن يكون لطريقة الحياة اليهودية أى مكان عندنا، ألا يبدو من المستحيل أن يقول المسيح "لم آتٍ لأنقض الناموس بل لأكمل"¹³. لو لم تكن الأمور هكذا، أعتقد أنه سوف لا يعطلنا عن أن نمجد إله الكل بذبائح الثيران والتبخيرات، ونقدم له يمام وحمّام أو أى شئ آخر نعتقد أن الأقدمين قد فعلوه، لكى نفعله نحن أيضاً.

كيرلس: لكنك يا صديقى، قد ابتعدت كثيراً عما يليق. لأنك تعتقد أن الناموس قد تغير، لدرجة أنه لم يعد لدينا أى منفعة منه، وأنه على أية حال ليست هناك أى منفعة من الأمور التى وضعها. ألا تعتقد أن الناموس قد تحول بالأحرى إلى إشارة نحو الحقيقة، مع أنه بالتأكيد قد كتب الطوباوى بولس "أفنبطل الناموس بالإيمان حاشاً. بل تثبت الناموس"¹³. لأن الناموس هو مربى ويقود بطريقة حسنة إلى سر المسيح. ونقول إن كل ما شرّعه موسى للأقدمين، ما هو إلا أساسيات

⁵ عب 19:18

⁶ عب 10:7

⁷ عب 13:8

⁸ مز 9:45

⁹ رو 2:29

¹⁰ رو 3:31

بداءة أقوال الله. لكن لو أهملنا المربي، فمن سيقودنا عندئذ إلى سر المسيح؟ ولو رفضنا أن نتعلم أساسيات بداءة أقوال الله، فكيف سيمكننا الاستمرار؟ أو كيف سنصل إلى الغاية؟ أفليس المسيح هو الذى يُكمل الناموس والأنبياء كما تقول الكتب؟

بلاديوس: نعم

كيرلس: بالفعل. فإنه مكتوب أنه هو مكمل الناموس والأنبياء لأن كل كلمة نبوية وناموسية تخصه وتشير إليه.

لقد قال (المسيح) وهو يتوسل إلى اليهود لأجل عصيانهم: " لا تظنوا إنى أشكوكم إلى الآب. يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه قد كتب عنى. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى "14.

إذن يقول إنه لم يأت إطلافاً لكى يشكو الناموس، بل بالحرى لكى يُكمله، فلا تُفكر أنه قد تم تغيير كامل للشرائع القديمة، بل على الأرجح قد تم تجديدها بطريقة ما. وأستطيع أن أقول هكذا، إنه حدث نقل لنماذج أو أمثلة (من العهد القديم) إلى الحقيقة أى من الظلال إلى الحقيقة .

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: سأشرح لك ما كان يجب أن يصير بواسطة المسيح (بالمثال التالى). فأولئك الفنانين الذين يرسمون ويكتبون على الألواح، لا يكتبون مباشرة بمجرد ما يبدأون الكتابة، بحيث يكون في شكل كامل وغير ناقص ومكتمل تماماً. إنهم في البداية يخططون بشكل الرسم ولونه، بحيث يصبح ذا جودة فائقة، ويختارون المواضع التى تحتاج إلى ظلال معينة. وإلى أى الدرجات يجب أن تُبين وتوضَّح حتى يصلوا إلى الشكل المطلوب، والأكثر مناسبة. وهكذا يصلون بنماذجهم إلى الشكل الذى نراه أخيراً. وهو الأفضل بشكل لا يقارن عما كان في البداية. أليس كذلك؟

بلاديوس: نعم، إنه كذلك.

كيرلس: وهؤلاء أيضاً الذين يمارسون فن صنع التماثيل النحاسية، إن أرادوا صب النحاس السائل في قالب التمثال المعد لذلك، فإنهم يصورون أولاً شكل التمثال على نموذج شمعى، ويصنع القالب على هذا النموذج، وبعد ذلك يُذيقون النحاس على النار ويسكبونه في القالب. وهكذا يضيفون لتحفتهم - بطريقة حسنة - كملاً وجمالاً. وعندما يضيف الصانع الألوان المتنوعة فوق آثار الرسم، وأيضاً عند إحلال النحاس محل النموذج الشمعى سيُظن في لحظة ما، أنه قد نُقِضت وأُبطلت الأشكال الأولى. لكن الأمر ليس كذلك. لأنه لو كان هذا الاعتقاد حقيقياً، لقال الرسام والصانع إننا لم نلغ آثار الكتابة، ولم نسئ إطلافاً استخدام النماذج، لكن بالحرى قد أكملناها. أى أن ما كان يبدو غير واضح وبدون جمال في الظلال والنماذج الأولى صار الآن أكثر روعة ووضوحاً.

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: ولو أراد أحد أن يفحص حقيقة الكتاب المقدس بالتفصيل، فإنه سيتأكد على أية حال أن ما أقوله صحيح. لأن موسى وضع برقعاً على وجهه، وذلك بحسب الكتاب لأن الإسرائيليين لم يستطيعوا أن ينظروا وجهه¹⁵.

بلاديوس: إلى أى شئ يشير هذا ؟

كيرلس: بسبب أفكار اليهود الغليظة، لم يفهموا إلا ظاهر الناموس الحرفى فقط، ولذا كان من المستحيل تماماً أن يفهموا ويميزوا كل ما كان مستتراً داخل الناموس، أى الوجه الحقيقى لمعانى كلمات الناموس. لذلك يكتب القديس بولس: " بل أغلظت أذهانهم لأنه حتى ذلك اليوم البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف الذى يُبطل في المسيح. لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى البرقع موضوع على قلوبهم "16. لكن دعنا نتوقف هنا عن الكلام فى الأمور التى صارت لليهود.

¹¹ يو 5: 47

¹² أنظر خر 34: 35

¹³ اكو 3: 15

(ويقول) "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة تتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح"¹⁷. هنا كلمة "الرب" تعني "الروح". فكما أن أولئك الذين ينظرون في مرآة ليشاهدوا صورة ونموذجاً للحقيقة، فإنهم سوف لا يستطيعون رؤية الحقيقة نفسها، على ما اعتقد. هكذا أيضاً، فإن كل من يرغب مشاهدة (صورة) جمال الحياة في المسيح عن طريق مرآة الناموس، سوف ينال هذا الذي يتمناه وذلك بطريقة حسنة. بمعنى أنه سوف يرى صورة الأشياء أو نموذجاً لها وفيها يعرف حقيقة الأشياء، وهكذا سوف يرى بكل وضوح هذا الذي يريده الله ويُسر به .

بلاديسوس: لكن ما هو السبب الذي من أجله لم يُعطَ الجديد الإنجيلي من البداية للأقدمين، بل أعطى لهم في نماذج وظلال فقط؟

كيرلس: إن تمام التدبير وعلاقة هذه الظلال بالحقيقة الكاملة، هو أمر يليق بنا أن نتركه لله كُلى المعرفة، لكن الأفكار التي لا ينقصها مفاهيم صالحة، فإنها تقودنا إلى معرفة معتدلة أو إلى الاعتقاد بأننا نعرف سبب التدبير. إذاً يمكننا القول أن الذين تحرروا من أرض مصر، كانوا في أشد الحاجة إلى غذاء يناسب الأطفال. إذ كان لديهم ذهن غليظ وكان من السهل إغواؤهم إلى الضلال. فإنه من الصعب عليهم ترك محبة الجسد ومحوها تماماً من هؤلاء المرضى بها. أيضاً أولئك المأسورين في شهواتهم من العسير عليهم تجنبها. وقد كان من المستحيل أيضاً أن ينالوا مباشرة القدرة على الوصول إلى حياة الكمال، وأن يُفضلوا حياة مجيدة مُشرقة، وفائقة، إلى الحد الذي ينالون فيه مواطنة السماء، بينما هم يعيشون على الأرض، بحسب ما هو مكتوب¹⁸. أفليس الطعام القوي هو للكاملين أما اللين فهو مناسب جداً للأطفال؟!¹⁹

بلاديسوس: هكذا هو الأمر بالفعل.

كيرلس: كانت الحاجة إذن، إلى التربية باستخدام أسلوب الأمثال، إذ كانوا أطفالاً، ولكي أشرح لك ما أقصده أشير إلى أنهم كانوا في احتياج إلى طعام أكثر ليونة، وليس إلى الكلمة التي تُوجههم نحو الكمال والتي تقودهم نحو النضوج. هكذا كان الإسرائيليون عديمي الرؤية متساهلين تجاه أية شهوة. لأنه لو فحصت سلوكياتهم ومحاولاتهم للوصول للكمال، بأى معيار، سوف نجدهم غير مستحقين ولا حتى للظلال. هذا ما قد أظهره موسى. لأنه، حينما صعد موسى إلى الجبل بأمر الله، ليستلم الناموس، انجرفوا مباشرة نحو العصيان وصنعوا عجلاً متجربين في تعاسة ليقولوا: " هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعنتك من أرض مصر"²⁰. بسبب هذه التجاوزات الخطيرة، غضب موسى وكسر لوحى الشريعة وأدانهم. هؤلاء الذين لهم عقل ضال لا يستحقون ولا حتى لظلال أو أمثلة، ولا لأية تربية من قبل الله. فهم قد نسوا المعجزات الكثيرة التي صنعتها القوة الإلهية لأجلهم، وتذكروا العبادة الوثنية في مصر ونسبوا تقواهم إلى العجل. ووقتذاك سطر الناموس بيد الله للأقدمين على ألواح حجرية كما هو مكتوب، وهذه الأمور كانت مثلاً لكل ما يحدث لنا نحن الذين نؤمن بالمسيح. كأن الله قد كتب داخلنا معرفة إرادته بواسطة الابن بنعمة الروح. لأنه هكذا يدعو على فم داود قائلاً: " لسانى قلم كاتب ماهر"²¹ أى أن قلم الآب، أى الابن قد كتب داخل قلوب الجميع معرفة كل صلاح، وذلك بأصبع الله وبواسطة روح الآب، وقد دعى روح الله "أصبع" قائلاً: "إن كنت بروح الله أخرج الشياطين"²²، وفي مكان آخر "إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين"²³. وقد دعانا بولس في رسالته الروحية قائلاً: "أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس. ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحى. لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية"²⁴.

بلاديسوس: أوافق بالتأكيد على أن كل ما يخص الناموس هو نماذج وظلال. فلنكمل حديثنا إذاً، ولنذكر بالتفصيل وبكل دقة كل ما قد شُرّع في شكل مثال، ودعنا نفحص بحرص شديد كل جانب من جوانب هذه الحقيقة البديعة، لأنه حينئذٍ فقط سيزول كل غموض حول أسرار العبادة الروحية.

¹⁴ في نص القديس كيرلس " بواسطة الروح الذى هو الرب " 2كو 18:3 ، 17

¹⁵ فيلبي 20:3

¹⁶ 2عب 14:12:5

¹⁷ خر 4:32

¹⁸ مز 1:45

¹⁹ مت 27:12

²⁰ لو 20:11

²¹ 2كو 3:2

كيرلس: ولكنى أصرح لك يا صديقي المتفكر في هذه الأمور، أنه قد تملكنى خوف بالغ، وإنى أتردد كثيرًا جدًا تجاه هذا العمل، لأنى أعتقد أنه لن تكون هذه الأمور السامية مفهومة لدينا إذ هي تفوق أفكار البشر. ويجب علينا ونحن نُفسر مفاهيم الناموس العميقة، أن نقول "مَنْ هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهم حتى يعرفها" ²⁵.

بلاديوس: يا عزيزى، هذا العمل ليس سهلاً، لكن المسيح يقول: "اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا افرعوا يفتح لكم" ²⁶.

كيرلس: إذن دعنا نلتزم بما قلناه، ونتقدم لنفحص كل هذه الأمور التى تفيدنا، وقبل كل شئ فلنوجه صلاتنا نحو الله قائلين: "اكشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك" ²⁷. ولنبدأ حديثنا أولاً بأن نتكلم عن انحراف الإنسان وسقوطه في الخطية، وعبوديته وأسرته بواسطة عدو الخير، وكيف كان هذا وبأية طريقة تمت هذه الأمور، ممن كانوا قبلنا، وكيف تسَلَّلت إلينا. ختاماً يجب أن نتساءل كيف يمكن أن نبتعد عن الشر، حتى يتحرر كاهلنا من نير العبودية ونصعد ثانية إلى رتبنا الأولى، ونتمتع بخلاص الله وقوته. لأن حديثنا بهذه الطريقة المناسبة سيساعدنا فيما سنتحدث عنه بعد ذلك.

بلاديوس: حسناً تفكر.

كيرلس: إذن، لكى نستطيع أن نثمر لله ونقدم ذبائح روحية، بمعنى أن نجاهد بشجاعة ونشتهى حياة الفضيلة، وهذا بالتأكيد لا يمكن أن يتوافق مع أولئك الذين لم يتخلصوا بعد من العبودية والانسحاق إلى الشهوات، لكنه يتوافق مع هؤلاء الذين حَلَّت عقولهم نحو الحرية، ورفضوا حيل الشيطان وخداعه.

بلاديوس: أتفق معك إذ أنك تفكر بالصواب.

كيرلس: إذن فقد قبلنا، أن الإنسان منذ البداية، قد خُلِق وفكره يسمو فوق الخطايا والشهوات، لكنه لم يكن مُحَصَّنًا تمامًا من الانحراف في اختياراته. لأن الخالق الأعظم للجميع، قد رأى حسناً أن يترك الإنسان لإرادته المستتيرة ويسمح له أن يعمل ما يفكر فيه، وذلك بدافع نفسه فقط. بمعنى أن الفضيلة كان يجب أن تُتَمَّ اختياريًا وليس كأمر إجبارى، وأيضًا ألا تكون الفضيلة موجودة بدون تغيير في صفات الطبيعة البشرية، لأن الثبات خاصية الجوهر الإلهى الذى هو فوق الكل ويفوق كل الأشياء. فالله قد خلق الإنسان ذلك الكائن الحى بطبيعة خاصة به كإنسان، مانحًا إياه غنى التشبه به. إذ قد رُسِّمت في الطبيعة البشرية صورة الطبيعة الإلهية بنفخة الروح القدس. وحيث إن الله هو الحياة - بحسب الطبيعة - لذلك فهو يعطى نسمة الحياة.

بلاديوس: إذن، بناء على ذلك فإن نفس الإنسان قد صارت روحًا إلهية!!

كيرلس: ألا يكون التفكير بهذه الطريقة غير منطقي بالمرّة؟! لأنه حسب هذا التفكير ستكون النفس غير متغيرة، والواقع أنها متغيرة، ومن المؤكد أن الروح لا يتغير. وإذا كانت النفس قابلة للتغيير، فحينئذ سيوجه الاتهام بالتغيير إلى الطبيعة الإلهية نفسها، لأن الروح هو من طبيعة الله الأب والابن وواحد معهما في الجوهر، وهو يُعطى من الأب بالابن. وبالتالي فإنه من غير الصواب أن يعتقد المرء أن الروح قد تغير إلى نفس، ووُضِع في طبيعة الإنسان. على العكس فإن نفس الإنسان قد أخذت قوة فائقة الوصف وزُيِّنَت من أول لحظة بعطية الروح. فإنه لا توجد طريقة أخرى نستطيع بها أن نكتسب جمال الصورة الإلهية.

بلاديوس: حسناً نتكلم.

كيرلس: طالما أن الله قد زين الإنسان الذى خلقه بهذه الطريقة، فقد منحه القدرة أن يعيش في الفردوس. لكن بسبب أنه كان يليق لهذا الإنسان المزين والمتوج بالخبرات السماوية الوفيرة أن لا يُترك فيخدع بسهولة ويسقط في الكبرياء، متجاهلاً أسلوب الخضوع للأوامر، وأنه يوجد ضابط للعبيد (لأن السهولة الكبيرة في اقتناء المجد أو الحرية بلا ضابط تقود نحو شهوة الكبرياء الملعونة)، لذلك أعطى (للإنسان) قانون ضبط النفس (الإمساك) كوسيلة أمان، حتى لا يُقاد إلى تجاهل السيد، ويكون مدعوًا دائمًا لتذكر ذاك الذى أعطاه الوصايا، كسيد له، هكذا يعرف بكل وضوح أنه كان خاضعًا لنواميس سيده. لكن لم يهدأ ذاك الوحش الشرير والمحارب لله.

²² هوشع 10:14

²³ مت 7:7

²⁴ مز 119:18

بلادفوس: أظن أنك تقصد الشيطان الذي سقط كالبرق من أعلى السموات²⁸، لأنه اختار التفكير الطفولي إذ أراد أن يكون إلهًا، وتخيل أنه كان يملك كل ما هو فوق طبيعته.

كيرلس: بالصواب تكلمت. لأنه في الحقيقة، إذ هو مُبتدع وأب للخطية والفساد، لم يرد أن يترك الإنسان بلا منغصات، ساعيًا فيما بعد بتغريرات وحيل ليدفعه نحو العصيان، مستخدمًا في خداعه المرأة كأداة له، وهو دائمًا يدفعنا نحو الخطية، والذات التي تصاحبنا وتسكن في داخلنا، والتي من بينها لذة اشتهاه المرأة. ومرات كثيرة يسرع العقل، بتأثير الذات نحو الأمر الذي لا يريده. إذن فهذا الذي حدث مع آدم بطريقة مادية ومحسوسة، من الممكن أن يحدث ذهنيًا وبطريقة غير محسوسة مع كل واحد منا، حيث تظهر أمام العقل، الشهوة التي تبهره وتجذبه تدريجيًا نحو الاعتقاد بأن مخالفة الناموس ليست أمرًا خطيرًا على الإطلاق. ويؤكد على هذا تلميذ المسيح حين يقول: "لا يقل أحد إذا جُرب إنني أُجرب من قِبَل الله. لأن الله غير مُجرب بالشُرور وهو لا يجرب أحدًا ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتًا"²⁹.

بلادفوس: وأنا أعتقد أن الافتقار لمواهب الله ليس هو شئ آخر إلا البعد عن كل صلاح. حيث يمكن أن تسقط الطبيعة البشرية بسهولة ويسر، في مرض الانحراف والأمور غير اللائقة، إن لم تسمو بالفضيلة وبنعمة مخلصها، وإن لم تهتم بالصالحات التي من السماء، وأيضًا بالصلاح الذي من داخل النفس ذاتها.

كيرلس: حسنًا تكلمت، وإنني أتفق معك بالطبع فيما تقول. لأن الخبز الحى أى كلمة الله يشبعنا روحيًا. لأنه مكتوب "الخبز الحى يسند قلب الإنسان"³⁰. هذا (الخبز) يُحررنا من العبودية والشهوات، ويُزِين نفوسنا ببهاء الحرية. لكن لو أن الله كف يده أو توقف عن أن يمنحنا هذا الصلاح، فإننا بالضرورة سنسقط في الشرور غير المرغوبة، ونفتقر إلى الفضيلة، ونتحمل كل ما يقع على عاتقنا بسبب فعل كل ما هو ضد الفضيلة. ونصل لمثل هذه الدرجة من الشرور والطمع، لدرجة أننا نخطر بفقدان الضمير الذى يعضدنا في اكتساب كل صلاح. ويتضح من ذلك أن قلب ذاك الذى سقط يكون فارغًا تمامًا من الحكمة الإلهية، ومُنقادًا إلى الهوان من قِبَل الشيطان، ويخضع بسهولة لوضاعته وعصيانته.

بلادفوس: هل سنستعرض كيف حدث كل هذا؟ أم سوف نترك هذه الأمور تتأرجح وسط أفكار هائمة. لأنى سوف أعطى الدليل وبقدر الاستطاعة، من خلال كل ما حدث للأقدمين وأعرضه بشكل مفهوم. وذلك سيحدث لأن كل ما ستعرض له بالتأمل الدقيق من أمور هامة محسوسة ومنظورة، سيصبح بالنسبة لنا صورًا صافية وواضحة. إذ أنه مكتوب عن أبينا إبراهيم "وحدث جوع في الأرض. فانهدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديدًا"³¹. إبراهيم ترك أرضه المحبوبة والمولود فيها، وهاجر إلى أخرى أظهرها له الله. لأنه يقول "أذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك"³². وعندما تقاوم الجوع مسببًا أضرارًا، وكان من المستحيل أن يتجنبه، اضطر بدون إرادته، أن يذهب إلى مصر. ولم يذهب إلى هناك ليسكن على الدوام، لكن ذهب إليها كغريب.

بلادفوس: لكن ما معنى هذا ؟

كيرلس: هذا الحدث يُعبر بطريقة رائعة عن الأمور غير الواضحة.

بلادفوس: بأية طريقة ؟

كيرلس: لقد اشتكى الله عصيان اليهود قائلاً: "هوذا أيام تأتي يقول السيد الرب أرسل جوعًا في الأرض لا جوعًا للخبز ولا عطشًا للماء بل لاستماع كلمات الرب. فيجولون من بحر إلى بحر ومن الشمال إلى المشرق يتطوحوون ليطلبوا كلمة الرب فلا يجدونها"³³.

إذن يا صديقى، هل هؤلاء الذين عانوا من مثل هذا الجوع، وفقدوا نعمة الحياة في الفضيلة وليس لديهم أطعمة من السماء، من فوق، إذ يضطرون أن يُغيروا طريقة تفكيرهم إلى نوع من الترحال والتجوال، حيث اللهث وراء السينات،

²⁵ لو 18:10

²⁶ يع 1:13

²⁷ مز 104:15

²⁸ تك 10:12

²⁹ تك 1:12

³⁰ عاموس 8:11

وإبعاد الذهن بطريقة ما عن الثبات على الدوام في الفضيلة، إذ ينحدر (الذهن) إلى نية وإرادة أخرى لا تخضع لله، لكن لإرادة الشيطان؟. لأننى أعتقد - وهذا ما يستطيع المرء أن يدركه - أن فرعون رئيس المصريين هو صورة ومثال لأبو الخطية وملكها - الشيطان الذى هو أول من أدخلها إلى العالم. وهو لم يترك أية طريقة لم يستخدمها ليضل بها الناس.

بلاديوس: وما هو الأمر الذى جلب الحزن لأبرام الطوباوى، من بداية وصوله في أرض مصر؟

كيرلس: لقد أحزنه أمر حزنًا شديدًا جدًا. عندما كان على وشك أن يتعرض لأعظم شر. يمكنك أن تعرف ذلك الأمر بسهولة من الكتاب المقدس الذى يقول: "فحدث لما دخل ابرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدًا. ورأها رؤساء فرعون ومحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون" ³⁴. انتبه إذن يا صديقى كيف أنه كان على وشك أن يفقد امرأته.

بلاديوس: أمر مؤسف حقًا ويجلب حزنًا عميقًا.

كيرلس: هذا يمكن أن يحدث لنا روحياً. كما أنه يحدث لهؤلاء الذين يتركون مسكنهم وعالمهم المحبوب جدًا، وهكذا فإنهم ينحدرون إلى السيئات، خاضعين لإرادة الشيطان والقوات المضادة الشريرة التى تحاصرهم بالخوف من كل جانب وبكل طريقة، هكذا يبتعدون عن الفضيلة. ولو رأت هذه القوات الشيطانية شخصاً من الخاضعين لها لديه مفاهيم ثابتة وقوية، فإنها تحاول ربطه وقيده بأفكارهم، لكى يتكبل في شركها، وبدلاً من أن يثمر لله بزرع حسناً للشيطان. لأنه مكتوب "وطعامها مُسَمَّن" ³⁵، وكأنهم قد فتنوا عقل من صار أسيراً لهم، ولذلك نراه ينزل نحو هذه الأمور الشريرة، فلا يصبو بهمة نحو الحرية، ولا يحاول تحطيم قيود العبودية. أحياناً أخرى يجلبون للبشر ملذات أرضية ويشبعونهم من كثرة الرغبات العديمة النفع، كما حدث تماماً لأبرام الطوباوى مع رؤساء المصريين، الذين لاطفوه بكرم مقدمين له الهدايا، قاصدين أن يبعدها عنه الحزن العظيم، بسبب فقد رفيقة حياته، إذ أنه واضح جدًا أن ما قدموه له كان بسبب سارة "وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال" ³⁶. أى أن الشيطان يغرينا بالأمور الوقتية، ويحرمانا من حرية الثمر والتجديد، ويقوته الشريرة وجشعه وإباحيته ووضاعته يُغوى عقولنا ويخدعنا بالتمتع بالأرضيات. وقد وصل الشيطان لدرجة من الجنون حتى أنه جرب المسيح نفسه. لأنه يقول: "ثم أوصده إبليس إلى جبل عالٍ وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان. وقال له إبليس لك أعطى هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إلى قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد، فإن سجدت أمامى يكون لك الجميع" ³⁷.

بلاديوس: معك الحق، لكن أخبرنى من فضلك، هل يخرج من مثل هذه الأمور، بفائدة ما ؟

كيرلس: يا عزيزى إن نعمة الله لن تتخلى عن الذهن الذى يمرض بتأثير خداع الشيطان، لكنها تدافع عن ذاك الذى لا يستطيع الدفاع عن نفسه وتحرره. وهذا هو ما صار لأبى الآباء؛ أبرام. فعندما ضجّر البار، ولم يستطع أن يفعل شيئاً بالمرّة، تدخل الله في الوسط وحرّر المرأة من إباحية المصريين لأنه يقول "فضرب الرب فرعون وبنيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة ابراهيم" ³⁸. وهكذا حفظ فوراً زوجة البار من الإهانة. وبالمثل فإن الله وحده يستطيع أن يُحرر الذهن من قبضة الشيطان، بعد أن كان الشيطان قد صيّره أسيراً، ويرد الإنسان مرة أخرى إلى كرامته ورتبته الأولى.

بلاديوس: أى أننا عندما نُحرم من الخيرات السماوية، ننحدر مرات كثيرة إلى السيئات والأمور القبيحة.

كيرلس: هذا ما أراه أنا أيضاً.

بلاديوس: لكن على أى حال، فإن الله بمحبته للبشر، لا يتركنا نسقط في أى من هذه الأمور الشريرة.

كيرلس: يا صديقى إن الله بمحبته للبشر يريد هذا ويفعله. لأن صلاحه سيكون قليلاً، ومحبته للفضيلة لا تكون كثيرة، لو لم تكن هذه هي مبادرته لأجلنا. ونحن المُستعبدون لشهواتنا، نثير غضب الرب علينا، بسبب وجود فكر ضعيف في داخلنا. ألا تسمع ما نادى به بواسطة الأنبياء القديسين "لذلك هكذا قال الرب هأنذا جاعل لهذا الشعب معثرات فيعثر بها الآباء

³¹ تكم 12:14:15

³² حب 1:16

³³ تكم 12:16

³⁴ لو 4:75

³⁵ تكم 12:17

والأبناء معًا. الجار وصاحبه يبيدان³⁹. وبولس الحكيم أيضًا يقول: "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق"⁴⁰. وهذا يقوله إشعياء العظيم بكل وضوح نائبًا عن الإسرائيليين، أى الذين انزلوا في خطاياهم "ها أنت سخطت إذ أخطأنا"⁴¹.

بلادفوس: إذن، عندما نهمل وصايا الله الواجبة ونصير أسرى للخطية، نلقى السبب على الله، ونشتكى من غضبه، ونذعي أنه بسبب هذا الغضب أخطأنا؟

كيرلس: بالطبع سوف لا نلقى بالسبب على الله، لأن هذا سيكون غير منطقي. لكن عندما نقول "أنت سخطت إذ أخطأنا" نقصد أنه إن لم يشملنا عطف الرب فلن يكون أمام الخطية أى عائق يمنعها عن تعذيبنا، وذلك بسبب ضعف طبيعتنا، مما يقود إلى سيادة الشر علينا.

بلادفوس: لقد فهمت ماذا تعنى.

كيرلس: إذن عندما لا نهتم بأنفسنا، وفي نفس الوقت تغيب عنا الرحمة السماوية ونعاقب من أجل جهلنا، وانحصارنا التام في الوضاعة، ألا يتضح أننا سقماء وضعفاء؟ لأنه أى مرض من هذه الأمراض لا نعانى منه؟ وتستطيع أن ترى ذلك بسهولة وأنت تقرأ كلمات إرميا النبي. فإن شعب اليهود المتوحش، حينما أسرف بكثرة واقتخر بمكانته عند الله، وانتصر على أعدائه ووصل في النهاية إلى درجة عظمى من المجد البشرى، فإنه عصى الله جدًا. وبالرغم من إدعائهم بأنهم قد صاروا أقوياء بوصايا موسى، إلا أن تقديرهم للناموس وصل إلى أدنى حد، مسلمين أنفسهم بغريزة جامحة للهلاك والدمار. فقد بنوا - أسفل شجر الظلال - مذابح، وأسسوا هياكل للشياطين داخل حديقة مزروعة من الأشجار، مدعين أن هذه الأمكنة تستحق التكریم، بتقديم ذبائح حيوانية وبخور معتبرين أنها تستطيع أن تخلصهم. وأى من هذه الأمور المزيفة التى نتكلم عنها، لا تسبب الخجل؟! وإذ انحدرنا إلى مثل هذه الدرجة من الجهل، فإنهم اعتبروا الذبائح (المضادة لله)، فخرًا لهم أمام أولادهم، ظانين أنهم بذلك يقدمون ذبائح ثمينة. غير أن عدم تقوى الإسرائيليين لم يتوقف هنا. بل تبادوا باستمرار في تهوراتهم هذه، بانزلاقاتهم المضلة نحو الأمور الغير معقولة. ولذا فإن موسى المملوء بالصلاح قد غضب عليهم. إذن بسبب محاولاتهم المارقة للتححرر من عبوديتهم لله فإنه جعل الأعداء يتفوقون عليهم ويقودونهم إلى أسر لا مناص منه، أعنى أسر البابليين والكلدانيين. فقد أتى هؤلاء من وطنهم لكي يستعبدونهم ثانية. وحين أشعلوا المدينة المقدسة خطر على بال المحاربين منهم أن يسألوا النبي إرميا: أين سينتهى هذا الشر الذى يحدث، فقال لهما إرميا: "هكذا تقولان لصدقيًا. هكذا قال الرب إله إسرائيل. هاأنذا أرد أدوات الحرب التى بيكم التى أنتم محاربون بها ملك بابل والكلدانيين الذين يحاصرونكم خارج السور وأجمعهم في وسط هذه المدينة. وأنا أحاربكم بيد ممدودة وبزراع شديدة وبغضب وحمو وغيظ عظيم. وأضرب سكان هذه المدينة الناس والبهائم معًا، بوبأ عظيم يموتون"⁴². بعد ذلك يقول: "وتقول لهذا الشعب. هكذا قال الرب. هاأنذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت. الذى يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء والذى يخرج ويسقط إلى الكلدانيين الذين يحاصرونكم يحيا وتصير نفسه له غنيمة. لأنى قد جعلت وجهى على هذه المدينة للشر لا للخير يقول الرب، ليد ملك بابل تدفع فيحرقها بالنار"⁴³. فهل أدركت إذا، إننا عندما نحزن الله، بمحبتنا للمجد الباطل لا نستطيع الوقوف في مواجهة قوة الأعداء العاتية، وطالما أن الغضب الإلهي يحاصرنا، سنصير عبيدًا بدلًا من أن نكون أحرارًا، وسنعيش حياة محتقرة بلا مجد.

بلادفوس: أنت تتكلم بالصواب.

كيرلس: إن ناموس الله يقود الإنسان المطيع إلى طريق الحياة بلا لوم، إذ يصير الناموس له نورًا، إذ يُظهر الأمور المثمرة والضرورية ويحفظه في التقوى. ويعيش - على ما أعتقد - بطريقة مرضية، وكأنه يسكن في مدينة مقدسة، في ثبات الفضيلة وفي يقين التقوى. لكن من يُفضل حياة التهور، ويندفع إلى ملذات العالم ومسرته، وينغمس فيها بكل شهوته ومقدمًا كل كيانه للشياطين، عندئذ سنتركه العناية السماوية ويصير صيدًا سهلاً لأولئك الذين يريدون اقتناصه. وهكذا، إذ يصير مطرودًا من المدينة المقدسة أى من فضيلته الأولى، منقادًا كأمر لا مفر منه، لإرادة هؤلاء الأقوياء. وستتركه العناية الإلهية، متحملًا الرحيل إلى بابل، أى بعيدًا عن حدود المدينة المقدسة التى يمجّد فيها اسم الله. لذلك كل من عانى

³⁶ إرميا 21:6

³⁷ روم 1:28

³⁸ إش 5:64

³⁹ إرميا 21:63

⁴⁰ إرميا 21:108

هذا المصير القاسي، كان يصرخ صرخات عظيمة، لأنه سقط في أيدي الأعداء. ولم يتحمل الحياة بالقرب منهم، إذ كانت حياة عبيد: "على أنهار بابل هناك جالسنا بكينا أيضًا عندما تذكرنا صهيون"⁴⁴. وأعتقد - بالحق - أن العقل البشري يُعاني مثل هذا الأمر.

بلاديسوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: مع أن الإنسان يميل دائماً للكسل، مع رغبته المستمرة في طلب الخيرات التي في متناول يديه، إلا أنه لا يرغب كثيراً في تلك الأمور التي يمكن أن تستعبده. ولكن إن حدث أن جذبته أي من تلك الأمور وهُزم من بريقها، فإنه سيُشعر تلقائياً بالمعاناة مما كان يجب عليه أن يقاومه بكل قوة، حتى لو افترضنا أنه أثناء مقاومة هذا الهجوم لم تكن له الخبرة العملية في هذا الأمر.

بلاديسوس: هذا حقيقي.

كيرلس: إذاً هو أمر ضروري ومثال للحكمة، ومن الأمور الأكثر فاعلية، أن تُمنع بالحرى دوافع الشر، وكل ما يؤدي إلى تلك العبودية المسيطرة، ونحاول أن نصُدّ في الحال كل هذه الأمور التي إن سقطنا فيها، فسوف تحاصرنا كل أنواع الشرور.

بلاديسوس: هذا صحيح.

كيرلس: ولو لم يكن نير العبودية القاسي قد وُضع علينا كغضب من الله (على عصياننا)، ولم يكن ذهننا لديه أية خبرة، لما كان من السهل (في هذه الحالة) أن يكون لنا قدرة على المقاومة. وكان من المفيد، أن يكون لنا - ولو في ذاكرتنا فقط - هذا التساؤل: ما هي الحالة التي كنا عليها، وإلى أي حالة تحولنا، ولكننا سنحزن بمرارة لعدم تيقظنا وغياب المعونة السماوية "لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة وأما حزن العالم فينشئ موتاً"⁴⁵. لكن ابتعاد الغضب الإلهي عنا، وعند امتلاك زمامنا وإرادتنا مميزين بين الاتجاهين أي بين الشر أو الصلاح، وذلك في حرية إرادة بغير إجبار على الإطلاق. لذلك يجب علينا أن نتحاشى بكل شجاعة حياة الترف كما يجب، وأن يستمر رفضنا للملذات التي يغرينا بها الأعداء، وبالتالي سنهرب من قبضة أولئك الذين يقولون إنهم رؤساء هذا العالم. أما من يتمسك بأمور هذا العالم الحاضر فإنه سينتهى حتماً إلى نهاية رديئة وسيئة.

بلاديسوس: كيف تقول هذا؟

كيرلس: أتريد أن ندعم حديثنا بأمثلة من القدماء ؟

بلاديسوس: نعم ويا حبذا.

كيرلس: عندما عانى سكان الأرض من الجوع كما هو مكتوب، فكر أبناء يعقوب في النزول إلى مصر، كان عددهم عشرة شباب وكان هدفهم شراء طعام فقط. فبعد وصولهم إلى أرض مصر، تعرفوا على أخيه (يوسف): كان يوسف حينئذٍ هو المسئول عن الأطعمة ومدبراً لمصر. وعندما علم فرعون ذلك قال ليوسف "قُلْ لآخوتك افعَلُوا هذا: حملُوا دوابكم وانطلقُوا واذهبُوا إلى أرض كنعان. وخذُوا أباكم وبيوتكم وتعالُوا إلَيَّ فَأَعْطِيَكُمْ خَيْرَاتِ أَرْضِ مِصْرَ وَتَأْكُلُوا دَسَمَ الْأَرْضِ . فَأَنْتَ قَدْ أَمَرْتَ. افعَلُوا هذا، خذُوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملُوا أباكم وتعالُوا. ولا تحزن عيونكم على أثاثكم لأن خيرات جميع أرض مصر لكم"⁴⁶. لقد وعدهم رئيس مصر بالراحة والخيرات العظيمة الوفيرة. لقد منحهم مركبات، جاعلاً بذلك النزول إلى مصر أمراً جذاباً حتى للمتريدين منهم. فنزل هؤلاء فوراً بكل عائلاتهم مفضلين الاستمتاع الوقتي بالأطعمة على الوطن والأرض التي منحها الله لهم. لأنه بالتأكيد كان من الأفضل أن تُستغل تلك الأرض بدلاً من الحصول على خيرات من أرض مصر بمشقة قليلة. وعند وصولهم إلى مصر، ظنوا أنهم سوف يتخلصون من متاعب الوطن، لذا كانت سعادتهم فقط في التمتع بالمباهج الوقتية. وبمرور الوقت ومع المعاناة من العبودية، بدأت هذه الجماعة النبيلة الحرة منذ القدم، أن تتأوه تحت هذا النير. إذ، إن كانت الرفاهية الدنيوية سوف تقودك

⁴¹ مز 136:1

⁴² 2كو 10:7

⁴³ 2كو 17:45

إلى السينات فيجب عليك أن تتجنبها يا صديقي، إذ أن الحياة في الحرية تتوقف على اختيارنا، بينما العبودية لها متاعها في العمل والسلوك.

بلادايوس: لقد أحسنت القول.

كيرلس: أشكرك، لكن علينا أن نتحدث - بجانب كل ما ذكرته - عن ذلك، الذي يبدو لي ذو فائدة عظيمة.

بلادايوس: ترى ما هو؟

كيرلس: إن ربشاقى البابلى، جندي الأشوريين، قاد جماعة جنود لا تحصي، وذهب لكي يحاصر المدينة المقدسة، متوقعاً أنه بسهولة سوف يحرق المدينة من أساسها، وقبل أن يستخدم أسلحته عاب في الذات الإلهية كما اعتاد دائماً، وهذا أمر معتاد بالنسبة له. وأعلن للمرة الأخيرة لسكان المدينة المقدسة: كل هذه الأمور يقولها ملك الأشوريين "عقدوا معي صلحاً واخرجوا إلى وكلو كل واحد من جفنته وكل واحد من تينته واشربوا كل واحد ماء بئر. حتى أتى وأخذكم (كل واحد) ليرى أرضاً كأرضكم، أرض حنطة وخمر، أرض خبز وكروم أرض زيتون وعسل، واحيوا ولا تموتوا ولا تسمعوا لحزقياً لأنه يغركم قائلاً الرب ينقذنا"⁴⁷. لاحظ أنه يعد بالملاطفة في المعاملة والتمتع بالكرم والتين ويضيف "وستشربون ماء من بئركم".

بلادايوس: لكن لو فحصنا هذه الأمور بالمفهوم الروحي، ماذا تعنى بالنسبة لنا؟

كيرلس: أعتقد أن قوة الشر تتمكن منا بطريقتين. إما بالملذات الخارجية، أو بالغرائز المغروسة فينا. المتساهلون مع الخطية مقتنعون بها من ذواتهم. أما الذين تغويهم من الخارج، فإنهم ينفادون إلى المتعة ويُقبض عليهم منزلقين إلى أمور أكثر سوء. وعن ذلك يتحدث تلميذ المخلص حين يقول:

"لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم"⁴⁸ وبسبب أن شهوة الجسد هي فطرية ومتجذرة داخلنا ودائمة، لهذا فإن بولس العظيم يسميها ناموس الخطية⁴⁹، الذي يسكن في أعضائنا.. أما شهوة العيون فهي المباح والملاذات الخارجية وكل ما يرى بالعين. أى أن الناس تُعجب بالغنى الذي تراه بالعيون والملابس الحسنة والأشياء الأخرى التي يتمسك بها البعض، بسبب جلبها للسرور العظيم المزيف الذي يهتمون به اهتماماً كبيراً. لذلك فإن أوراق الكرمة والتين هي مثال للمباح الخارجية والمكتسبة والاستمتاع بكل الأشياء التي في العالم، وهي تعطى بطبيعتها دليلاً قاطعاً أنها لذة وقتية وقصيرة الأجل. والأمر الذي يبدو حلواً، يصاحبه أمر آخر يجلب عادةً ظلمة للنفس. ذلك لأن الاستمتاع بالعالم - عموماً - يكون له مذاق وقتي حلو، لكنه يُخيم بظلامه المخيف وسطوته المُميتة على النفس التي تمارسه. "المنع" - في هذا النص - يشير إلى غرائزنا وأهوائنا الداخلية، التي لا تحدث من الخارج، مثل شهوة العين، لكنها تصدر من داخلنا، وتنساب من جسدنا نفسه. إذا الأهواء الجسدية والأهواء التي تأتي من الخارج، تجلبان علينا حروب القوات الشريرة، وذلك بمشاركة الإرادية لها والاستمتاع بها. وعلى ذلك، فلو هجرنا فضيلة ضبط النفس والتي هي كالمدينة المقدسة وذهبنا إلى ربشاقى ملك بابل الذي وعدهم بالسعادة لهم، وهو مثال للشيطان، الذي يعد بإعطاء السعادة أيضاً، لسقطنا حتماً في العبودية، مثل أولئك الذين رفضوا التفكير بطريقة حسنة، وأدركوا أن اختيار الشهوات العالمية سيتبعه على كل حال سقوط في تلك العبودية الحتمية، وبالتالي البقاء في زمرة المُستعبدين.

بلادايوس: أنت أصبت. لكن ما هو الحل المقبول؟ أجبني بوضوح بقدر ما تستطيع.

كيرلس: هل هناك حل آخر سوى ذاك الحل المغاير للأول؟ لأننا إذ قد انزلنا إلى شهوة الحياة الرذيلة بميل إرادتنا الخاصة، واضعين جانباً كرامة المدينة التي بلا لوم، وسقطنا في ذهن المُبتذل والمُستعبد، واضعين أفكارنا في الأرضيات فقط، وملتصقين بالكامل بملذات الجسد، فإن الله قد سمح بالسقوط وأسلمنا إلى ذهن مرفوض.

بلادايوس: بناء على ذلك فإنه من الضروري أن نرجع ثانية إلى الفضيلة.

⁴⁴ 2ملوك 18:32

⁴⁵ 2يو 16:

⁴⁶ رو 23:

كيرلس: بدون إبطاء يا صديقي، ولا نشتهي بعد حياة العالم، كما قال بولس الرسول: "لأنكم مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله"⁵⁰. لأننا متعطشون لكتابة أسمائنا في السماء، جاعلين وطننا ومديننا في السماوات، صارخين بقوة إلى الله "لا تعاقبني لأني غريب في الأرض مثل كل آبائي"⁵¹. لأن ذاك الذي يعيش هنا على الأرض وله مدينة ذات بهاء في السماوات، يبدو غريباً ونزيراً بالنسبة لأهل العالم. لذلك فإن تلميذ المخلص بطرس يعلمنا بأن نسلك هكذا في هذا الأمر، إذ يقول لنا "أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس"⁵².

بلادوريوس: بالتالي، إن مثل هذا النوع من الاستعداد كافٍ لاقتناء الفضيلة، أعني صد الشهوات الجسدية.

كيرلس: نعم، إن كان هذا الاستعداد يُكتسب بالحكمة والعمل الروحي. لأنه مكتوب "أما وصيتك فواسعة جداً"⁵³. لذا فإنني أتصور أنه كان باستطاعتي أن أتحدث في الأمور التي تطهر النفس والجسد، بدلاً من تلك الأمور التي تلوثهما، وذلك بنفس القوة والفاعلية.

بلادوريوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: تماماً، فكما أن التلوث يصيب كل من النفس والجسد، هكذا فإن التطهير سيكون شيئاً سهلاً لكل من النفس والجسد أيضاً. أما كون حب الحياة العالمية هو غريب بالنسبة لهؤلاء الأتقياء الذين يشعرون بغريبتهم تجاهه، فمن المفيد لهم أن لا يواجهوا هذا الحب برخاوة. ولو طلب أحد مثلاً، فليأخذ إبراهيم مثلاً لهذا الأمر، إذ قال الله له: "انهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة وأبارك مباركك ولا عنك ألعنه. وتبارك فيك جميع قبائل الأرض"⁵⁴. أفهمت إنه لم يأمره بأن يرحل عن الأرض والوطن فقط ولكن عن أهله وعشيرته وعن بيت أبيه، ويذهب إلى الأرض التي سوف يريه إياها؟.

بلادوريوس: لكن ماذا يعني هذا؟

كيرلس: وأيضاً بعد كل ما سبق إيضاحه، هل سيكون غير واضح أن الله عندما يدعو أناساً لكي يتبعوه روحياً، يريد أن يبعدهم عن حياة العالم، وأيضاً بعيداً عن حياة الملذات وحُب الجسد، هؤلاء أراد الله أن يكرمهم، فهل هناك شيء أفضل من هذا؟ فليتصاغر إذاً أمام عيوننا، الوطن والعشيرة والبيت العائلي والتكالب على الخيرات الأرضية. لذلك قد دعانا مخلصنا نفسه أن نظهر صلاية مماثلة قائلاً: "من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني"⁵⁵ ويضيف قائلاً: "وكل من ترك بيوتاً وإخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية"⁵⁶. أليس تقبل أن هذا الأمر هو نتيجة فاعلية قوة المسيح، وليس نتيجة الصلابة الفائقة؟ وماذا تعتقد: هل حب الأب والأم والوطن أمر عديم النفع، بينما تبعية المسيح هو أمر واجب وضروري؟

بلادوريوس: بالتأكيد أقبل هذا، طالما ابتعد أولئك عن الرجاء الحسن وعن نعمة المسيح، الذين دُعوا إلى الاحتفال بالعرس، إذ رفضوا الذهاب، فقد قال واحد من هؤلاء: "تزوجت امرأة ولم أستطع أن آتي"⁵⁷، والآخر قال: "شتربت حقلاً"⁵⁸. وهكذا أعتبرت الأمور الوقتية أسمى من الدعوة إلى العرس.

كيرلس: حسناً يا بلادوريوس، لقد أسعدتني إذ تقول الصواب، بسبب عطشك للتعليم تتقدم كثيراً وبنجاح في فهم مغزى كلامي. انتبه، فإن أولئك الذين يتبعون الله بكافة الطرق، واضعين الجسديات والاستمتاع العالمي (في مرتبة) بعد الرجاء في

⁴⁷ كو 3:3

⁴⁸ أنظر مز 15:14:38

⁴⁹ إبط 2:11

⁵⁰ مز 96:119

⁵¹ تك 12:31

⁵² مت 1:38:37

⁵³ مت 19:29

⁵⁴ لو 14:20

⁵⁵ مت 18:19

المسيح، هؤلاء سينالون التمتع بالنعمة والبركات السماوية. واسمع ماذا يقول لابرام؟ "سأجعلك أمة عظيمة وسأباركك"⁵⁹ معطيًا إياه كل ما يتعلق بهذا الوعد. أرايت إذا كم هو مقدار الخيرات الروحية المذخرة له؟ أليس من الجدير أن نرى ونعرف بأى طريقة خرج إبرام من الأرض التى وُلد فيها؟ إذ يقول: "فأخذ إبرام ساراي امرأته ولوط ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا في حاران. وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى أرض كنعان. واجتاز إبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض"⁶⁰. لقد خرج من حاران دون أن يترك أى أثر خلفه، ومعه كل عشيرته وأهل بيته. انتقل مستعدًا ومُجهزًا للرحيل إلى أرض كنعان التى أراها الله له. ثم بعد ذلك اخترق الأرض بطولها وأتى إلى أرض جبيلية عالية. وهكذا فإن من أراد أن يتبع التعاليم الإلهية بإيمان ويكون مستحقًا للدعوة السماوية، متمتعًا بعناية الله الفائقة، فليخرج تمامًا من حياة الملذات العالمية، كأنه يخرج مع كل عشيرته دون أن يترك أية بقية من الاهتمام الذى كان لديه من قبل. إذ بهذه الطريقة يكون هروبه هروبًا حسنًا، إذ قد دُعِيَ من الله. وكما كتب بولس الطوباوى، يمكنه أن يدرك، مع كل القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق لسر المسيح. وعندئذٍ سيُسرع جدًا نحو الأرض العالية المرتفعة أى المؤسسة على الفضائل، إذ لا شئ يسقطها في محبة الجسد. ولكن عندما وصل أبرام إلى هذا المكان ماذا وجد من صالحات؟ هذا سنعرفه من نفس الكتب المقدسة لأنه يقول: "وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض، فبنى هناك مذبحًا للرب الذى ظهر له"⁶¹. أى كان في وطنه، أُعطي له الأمر النافع الوحيد، أنه يجب أن ينتقل إلى أرض أخرى، مهاجرًا من وطنه. لكن عندما وصل إلى أرض كنعان ومعه كل عائلته واحتياجاته، وصعد إلى الأرض المقدسة، أُعطيت له نعمة الرؤية الإلهية وثقة الرجاء في الحرية الثابتة، ثم التصريح له بعد ذلك ببناء مذبح.

ونحن أيضًا وللسبب نفسه، سوف لا يكون لنا أية نعمة من الله لو بقينا داخل العالم وفي ملذاته المقززة. أما عندما ندعى من الله ونطيع الأوامر الإلهية، صاعدين كأنما إلى أرض عالية إلى الشوق والرغبة في كل صلاح، يضع الله داخلنا معرفة المجد ذاته الذى له، ويعدنا بالرجاء الثابت. هكذا يجعل ذهننا مهيبًا لكى نستطيع أن نقدم ذبائح روحية⁶²، ونصير رائحة المسيح الذكية لله الأب بحسب المكتوب⁶³، وهكذا نقدم له جسدنا ذبيحة حية ومرضية إلى الله، العبادة العقلية والروحية لأنه يقبل بفرح كل صور عبادتنا الروحية معتبرًا إياها ذبائح روحية⁶⁴.

بلاديوس: إذا يجب أن ننقل إلى حياة أفضل تاركين الحياة السيئة، ونقبل الدعوة السماوية بفرح فائق على قدر ما نستطيع، لتتيم كل ما هو مُكرَّم في الناموس، لأنه سيكون من الخطأ تمامًا، أن نسعى ونسلك نحو السماويات ثم نعود ثانية إلى الأمور الشريرة المعتادة.

كيرلس: بالتأكيد يا صديقى، لأنه رهيب جدًا أن يخضع المرء ثانيةً بإرادته للمرض الذى تخلص منه. لأن أولئك الذين ابتعدوا مرة سيتعرضون للخطر بمجرد التفاتهم نحو هذه الحياة، متذكّرين ثانيةً أخطاءهم فيها ومحولين أذهانهم إلى تلك الأمور التى كانوا يحبونها من قبل. لذلك يتوسل صاحب المزمور قائلًا: "حوّل عيني عن النظر إلى الباطل وفي طريقك / احبني"⁶⁵. وفي الحقيقة إن التمسك بشدة بشكل من أشكال هذه الحياة وأيضًا الاستمتاع بالأمور الوقتية هو أمر باطل، ويجب أن نكون منفصلين عنه ونتجنبه، ومن اتخذ قرارًا بالفعل للسلوك في الطريق المستقيم - الأمر الذى يستطيع المرء أن يتعلمه - عليه أن يتجنب شهوة الأمور العالمية حتى ولو بالذهن.

بلاديوس: من من، تريد أن تقول؟

كيرلس: إن سكان سدوم وهم منجرفون بعنف جنونى نحو الملذات الغير طبيعية، قد أهانوا ناموس الجماع (التزاوج) الذى حددته الطبيعة كطريقة لإنجاب البنين، وصاروا منجذبين إلى جمال الصبيان. وبعملهم هذا، أتظن أن هناك أمر غير شرعى لم يفعلوه؟ لقد جلبوا الغضب على أنفسهم، وبطريقة ما دفعوا الخالق لكى يُسرع في إدانتهم، بالرغم من كونه بالطبع محبًا للبشر. إذا عندما جاءت اللحظة التى كان يجب أن يعاقبوا فيها، بعدما صبر الله عليهم صبرًا عظيمًا، دخل إلى

⁵⁶ تك 12:2

⁵⁷ تك 12:65

⁵⁸ تك 12:7

⁵⁹ إبط 3:5

⁶⁰ زكو 2:15

⁶¹ رو 12:1

⁶² مز 139:37

سدوم أولئك الذين كُفّوا أن يتمموا مهمة العقاب. إذ هو مكتوب: "فجاء الملاكين إلى سدوم مساءً وكان لوط جالساً في باب سدوم. فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض. وقال يا سيدي ميلاً إلى بيت عبدكما وبيتنا واغسلا أرجلكما. ثم تبركان وتذهبان في طريقكما. وقال لا بل في الساحة نبيت، فألح عليهما جداً. فمالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة خبزاً وفطيراً فأكلتا".⁶⁶ ونجد أن لوط الذي كان قريب إبراهيم، وقد تغذى بالنواميس السليمة، قد تم - بغيرة عظيمة - واجب التقوى نحو الله، ومع أنه سكن في سدوم، كان بالنسبة لهم غريباً، فهو من حيث المولد من أم أخرى، وأيضاً هو مختلف عنهم من حيث أسلوب الحياة. وفق ما قد كُتب: "أى شركة للنور مع الظلمة.. وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمنين".⁶⁷ لقد تغلب لوط على عيوب ذلك المكان الذي كانت تسرى فيه حياة العالم المعتادة، وأعطى مثلاً لحفظ ناموس إضافة الغرباء، إذ أكرم الكل، واستقبل وهو في مدخل المدينة أولئك الذين قدموا نحوه متيقناً أن الله سيُسّر بعمله هذا. إذاً عندما أتى الملاكين، اللذين جاء لعقاب أولئك الذين كانوا يمارسون الإباحية مثل الكلب المسعور، خرج مسرعاً لاستقبالهم، معتبراً بذلك بكل وضوح عن المودة التي بداخله، إذ قد سجد أمامهم حتى الأرض، ودعاهم للذهاب إلى البيت حتى يعتنى بهما وفق نواميس المحبة. وعندما قالوا له: "لا في هذه الساحة نبيت". أفصحاً بهذا أنهما كانا غريبين بلا مأوى وبهذا شجعاً لوط لاستضافتهما. وبذلك أعلن أيضاً وبطريقة حسنة أنه لا يجب أن يتركهما طالما لم يكن لديهما مأوى، بل كانا في العراء. هذا ما قد فهمه هذا البار، ولأجل ذلك، تمسك بدعوته لهما وبالحاح، ولم يجد مبرراً لرفضهما وما أبيدها من نية عدم الاستعداد للمبيت. أخذهما إذاً إلى بيته، وقدم لهما فطيراً وأعد مائدة لكي يأكلا ويشربا. هذا بالتأكيد ما فعله البار، لكن أهل سدوم الذين طغت عليهم اللا إنسانية واللذة المقرزة، أخذوا يحومون - برغبات دنيئة - حول بيت البار، متجاوزين أقصى حدود الشر، إذا طلبوا السماح لهم بأن يفعلوا معهم حسب عاداتهم الشريرة. وبينما كان يجب أن يختاروا فضيلة محبة الغرباء، أرادوا أن يفعلوا بهما شراً بسفاهة تتخطى الحدود الطبيعية. وإذا حاول لوط أن ينتهيهم عن مقاصدهم البشعة، أرادوا أن يجردوه ويقتلوه فوراً، لولا أنه كان هناك من أنقذه. لأنه مكتوب "فقالوا أبعده إلى هناك. ثم قالوا جاء هذا الإنسان ليتغرب وهو يحكم حكماً. الآن نفعل بك شراً أكثر منهما. فالحوا على الرجل لوط جداً وتقدموا ليكسروا الباب. فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطاً إليهما إلى البيت وأغلقا الباب. وأما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعصى من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن أن يجدوا الباب".⁶⁸ غير أن مساعدتهما له لم تقتصر فقط على هذا لأنه مكتوب بعد ذلك "ولما طلع الفجر كان الملاكين يُعجلان لوطاً قائلين فمُ خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لنلا تهلك بائماً المدينة ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة".⁶⁹ وما حدث هو دليل واضح جداً لك، إذ أن الله لا يشجعنا بالكلام فقط. وعندما نتوسل إليه لكي نتجنب الخطية، فإن مخلص الجميع يصل إلى هذه الدرجة من الجود والطيبة والكرم تجاهنا، لدرجة أنه يُعطينا يده الممدودة إلينا حسب ما تقول الآية "ولكني دائماً معك. أمسكت بيدي الثيمنى".⁷⁰ أى بسبب أن الطبيعة الإنسانية ليست قوية بالكفاية ولا تملك قدرات كافية تمكنها من أن تتجنب الشر، إلا أن الله قد صار شريكاً معنا في الجهاد. ونرى أنه يمنحنا نعمة مزدوجة، ويحاول أن يقنع النفس بالشرائع ويمهد لها الطرق التي تساعدنا، مانحاً إياها المقدرة على الانتصار على الشر الذي يعطلها ويميتها. وسترى أن هذا الأمر هو أمر واقعي إذ أن أولئك العاملين بالبر، هم قليلون، وأن الرجال الصالحين نادرون في هذه الحياة. لأنه مكتوب "أما الرجل الأمين فمن يجده".⁷¹ لكن هذا الإنسان الأمين هو مختار وجدير بكل رعاية. وبالرغم من أنه يحيا داخل العالم مع الآخرين، لكنه لا يُصاب بضرر من هذا العالم. فهو يُختطف من داخل الأشواك مثل السوسن. وبحسب شهادة القديسين فإن البار لا يمكن أن يهلك مع الأثمة.

بلاويوس: بناء على ذلك، فإن الله يشفق علينا، والملائكة والقديسون يُسرعون نحونا. وسوف نتخلص من شهواتنا الدنيئة، وسوف ننجح ولن نقع أسرى لانتقام الأشرار بأى حال من الأحوال، إذ نؤمن بالله الذي ينادى بقم نبيه "لأنى أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك لا تخف أنا أعينك. لا تخف يا دودة يعقوب يا شرملة إسرائيل أنا أعينك يقول الرب وفاديك قدوس إسرائيل".⁷²

63 تك 41:19

64 2كو 15:14

65 تك 19:19

66 تك 19:15

67 مز 23:73

68 أمثال 6:20

69 أش 41:13

كيرلس: هل يد الملاك التي قد أسندت لوط، لا تكفي لتبرهن على أن الله ضابط الكل هو معين القديسين؟ من الممكن اعتبار الملائكة مثلاً لله. فأولئك الذين اقتربوا من إبراهيم قديماً عند بلوطات ممرا كانوا ثلاثة، واللذان زارا سدوم كانا اثنين⁷³. ومن كلام المخلص نفسه نعلم أن "الآب لا يدين أحداً" بل "أعطى كل الدينونة إلى الابن" فواضح أن الابن كائن مع الآب، ومن الطبيعي أن الروح القدس كائن معهم.

بلاديوس: إن تفكيرك في هذا الأمر حسنٌ جداً، دعنا نفحص، لو وافقتني، بقية الحديث.

كيرلس: لا توجد أية مشقة. سأقول لك فوراً. مكتوب أنه "وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال اهرب لحياتك. لا تنظر إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لنلا تهلك"⁷⁴. عندما يقول الكتاب "اهرب لحياتك" يقصد على ما أعتقد، تماماً هذا الذي يقال "احفظ نفسك طاهراً ولا تشترك في خطايا الآخرين"⁷⁵. وانتصر على كل معوقات العالم لأنه ولا كل العالم يمكن أن يُعطى بدلاً عن النفس "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"⁷⁶. هذا، وما يقال إن خطواتنا يجب ألا ترجع إلى الوراء، ربما يعني أن لا نرجع إلى الدناءة وألا يكون لنا فكر أولئك الذين سيّدانون بالنار، بسبب ضعفهم في ضبط النفس، لأنه يقول: "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله"⁷⁷. يجب أن نُصِرَ على السلوك في طريق الخلاص، ولا ننشغل بأى شئ آخر بإرادتنا، ولا يملكنا عقل هوائى مندفع نحو شهوات عالمية خيالية تافهة. لكن بعقل راجح متيقظ بهتم دائماً بالنظر إلى الأمام. وأقول ما هو أعظم، لم يقل له الملاك يجب أن تسير دون أن تلتفت للوراء فقط، لكنه أضاف نصيحة مفيدة بقوله: "لا تقف في كل الدائرة اهرب إلى الجبل لنلا تهلك".

بلاديوس: وماذا يقصد بقوله "لا تقف في كل الدائرة"؟

كيرلس: أعتقد أنه أراد أن يبين الخمول والكسل نحو الالتزام بتجنب الشر، الشر الذى هو بالتأكيد اختيار خاطئ وقاتل للنفس.

بلاديوس: أخبرنى كيف؟

كيرلس: تقول الكلمة النبوية: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة"⁷⁸. ويقول بولس العظيم في موضع ما "أركضوا لكي تنالوا"⁷⁹. فكون إننا لا نريد أن نظهر بأساً شديداً، أو أن نكون غير مهتمين بالابتعاد عن السيئات، وكون العقل لا يريد أن ينقطع عن الأشياء العتيقة، أو يبتعد بطريقة ما عن كل دناءة، أو يتردد في فعل ما هو نافع، كل هذا لا يعنى شيئاً آخر سوى أن الشخص يتوقف بإرادته في دائرة الشر، بينما كان يجب عليه أن يخرج مُسرّعاً. وهناك أمرٌ آخر يمكن أن يحدث وهو أنه قبل أن نخرج من دائرة الشر، وبينما نحن نفكر فيما نفعله بخصوص خروجنا من هذه الدائرة، فإننا نُؤجل خروجنا هذا، وبذلك نسبب لأنفسنا الإدانة، إذ أننا لم نُطهر أنفسنا، ولم نتطهر من التلوث الذى أصاب نفوسنا بسبب رخاوتنا القديمة، ولم نلق عن كاهلنا انحلالنا وثقل جرائمنا، ولم ندخل تحت النير الخلاصى لى يريحنا المسيح. إذا فهذه النصيحة "لا تقف في أى مكان في الدائرة" هى حسنة جداً وهى تعنى ألا تبقى في أى حالة دنيئة أو أى موقف يجعلك أسيراً، لكن بالحرى اصعد إلى حياة فائقة مشرقة، وكأنك صاعد إلى جبل عالٍ، فتلك الحياة ليس بها أى وضاعة، بل تتميز بالفضائل السامية والفائقة، وبهذا تتخلص من السلوك المشين، أى الأرضى والجسدى. لأنه يقول "أقرباء الله يرتفعون في الأعلى عن تدبير الذين على الأرض"⁸⁰. لأن السلوك اللائق بالقديسين هو سامى جداً عن الأرضيات "النسور تطير في

⁷⁰ الثلاثة يشيرون إلى الآب والابن والروح القدس، والملاك يشيران إلى الآب والابن.

⁷¹ تك19:17

⁷² 1 تيمو5:22

⁷³ مت19:26

⁷⁴ لو9:62

⁷⁵ إرميا48:10

⁷⁶ 1 كو9:24

⁷⁷ مز46:10

الأعلى⁸¹. ويحسب المكتوب، فإن حياتهم تنمو، وكأنها على "الجبل" في السماء، ويعتبرون وطنهم السماوى ملكاً لهم. ويكتب أيضاً بولس في موضع ما "أطلبوا السماويات وليس الأرضيات"⁸².

بلاديوس: إذاً يمكننا أن نفهم أن كلمة "الجبل" تعبر عن حياة القداسة، والارتقاء نحو سماويات الحياة العظيمة، بينما كلمة "أسفل" تعنى طريقة الحياة الغير طاهرة التى تميل إلى الخطية والأمور الأرضية.

كيرلس: حسناً تقول، لأن هذا هو بالضبط ما قصدته من حديثنا. غير أن ما سوف أقوله لك الآن، هو أمر جدير بالاعتبار.

بلاديوس: ما هو؟

كيرلس: قال الملاك الطوباوى إن لوط كان يجب أن يصعد إلى الجبل مُسرّعاً بدون أن يتأخر وبدون أن ينظر إلى الوراء. لكن لوط توسل إليه قائلاً: "هوذا عيبك قد وجد نعمة في عينيك وعظمت لطفك الذى صنعت لى باستبقاء نفسى وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل. لعل الشر يُدركنى فاموت. هوذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهى صغيرة. اهرب إلى هناك أليست هى صغيرة فتحيا نفسى. فقال له إنى قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضاً أن لا أقلب المدينة التى تكلمت عنها. أسرع اهرب إلى هناك لأنى لا أستطيع أن أفعل شيئاً حتى تجئ إلى هناك. لذلك دُعِ اسم المدينة صوغر. وإن أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر"⁸³.

بلاديوس: وما النفع الذى سوف يعود علينا من كل هذا، لأنك تعلم جيداً إنى أريد أن أتعلم وأستفيد.

كيرلس: ألا تعرف - مع أن لديك ميل عظيم للتعلم - إن أولئك الذين قد هجروا الأعمال الدنيئة لا يجب أن يظنوا أنهم سوف يسلكون مباشرة في طريق الخلاص، ولا أنهم بمحاولاتهم الأولى سوف يقتنون الفضيلة ولا يظنون أن قراراتهم سوف تكون قاطعة؟ بل إن المرء لن يسلك بسهولة إلى المدينة الفاضلة، ولن يبتعد عن الشهوات التى قد تعود عليها، لكنه سيبتعد عن كل هذا بهدوء حسب استعداده ورغبته في حياة أفضل. ولن يكون بعيداً أو أعلى كثيراً، بل سيكون كما لو كان قد وُجد في أرض أخرى، في حياة تستحق بالتأكيد المدح والثناء، لكنه لم يصل بعد إلى مجد أسمى وأبهى، وذلك كما تُرفع النفوس بالترقية بحسب الناموس، إلى مبادئ حسنة وحياة صالحة. لأنه مكتوب "بداية طريق الصلاح هى فعل البر"⁸⁴. أى أن الذين يرغبون المعرفة ويشتهون الرؤية السرية، فإن كلمة الوعظ تلائمهم في البدايات، بينما أولئك الذين قطعوا شوطاً أكبر إلى "الإنسان" الناضج وإلى الكمال حيث المسيح هو مقياس له⁸⁵، فيناسبهم كثيراً الطعام القوى، أى الكلام عن الأسمى، وبعد ذلك طريق معرفة الإلهيات. هكذا أقول هنا، أى في تصحيح السلوكيات والمناهج الأخلاقية، لا ينبغي أن نتوقع وصول البعض للعلو فوراً نحو الكمال، أى إلى ما هو فوق الطبيعى، إلى ما يناسب المدينة الفائقة السمو. فيجب على ما أعتقد أن نبدأ خطوة خطوة من الأمور الصغيرة والتى تتناسب مع قراراتنا في التقدم نحو الكمال. وبطريقة ما نُسرّع في الدخول، وكأنه إلى مدينة صغيرة مجاورة إلى الجبل العالى، كما إلى مدينة غير مرتفعة كبدية للحياة السامية والفائقة. هكذا فالبار لوط يمكن أن يكون مثلاً لهؤلاء الذين في هذه الحالة، والذين لم يجدوا لهم مأوى يناسبهم، في الجبل مباشرة، ولكن في المدينة الصغيرة صوغر. ألا نجد في العظات الإنجيلية مرات كثيرة تطبيق لمثل هذه التدابير في حياة المؤمنين؟ حقيقةً يكتب بولس الطوباوى في رسالته "وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن كل واحد رجلاً... ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر. لأنى أريد أن يكون جميع الناس كما أنا. لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا"⁸⁶. أرايت كيف أن العمل السامى الفائق في ضبط النفس أظهره مثل جبل بقوله "أنه حسن للرجل أن لا يمس امرأة". وسمح لنا أن ننزل إلى صوغر، أى إلى حياة ما زالت بعيدة عن مستوى الكمال، وأقصد التصريح بأن يكون المرء في اتصال مع امرأته فقط؟. وقرول المخلص: إن الأرض الحسنة جداً، سعطى مائة وأخرى ستون وأخرى ثلاثون. وإن المواهب التى يوزعها ليس بمقياس متساوٍ، لكن الواحد خمسة والآخر اثنين والثالث واحد، بين ذلك - على ما أعتقد - أن قدرات الإثمار غير متساوية، ولهذا فقد وهب بمقدار ما يتناسب مع مقدرة كل واحد ومع معرفته. لأنه سبق أن قلنا إن لكل واحد موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا.

⁷⁸ أيوب 4:38

⁷⁹ أنظر كولوسى 2:3

⁸⁰ تك 19:18-23

⁸¹ أم 16:7

⁸² أنظر أفسس 13:4

⁸³ اكو 1:7، 6:7

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: إذن لقد سمح لهم الملاك الطوباوي أن ينزلوا إلى صوغر. لأنه يقول، تعجبت حقيقةً لشجاعتك ولكلمتك هذه، سوف لا أدمر المدينة التي تكلمت عنها معي، أسرع إذا لتخلص هناك⁸⁷. ثم بعد ذلك يقول تعجبت لطلبك الجري أن لا أدمر المدينة التي قلت لي عنها، لأنه حقيقةً، أن الله لا يريد حياة لا تتفق تمامًا مع الفضيلة، كما أنه غير مقبول لديه مجرد التهاون البسيط مع مثل هذه الرغبات، فهذا الأمر لابد أن يلام المرء عليه. ومن ناحية أخرى فإن الله يسمح - من محبته للنشر - بأن يعمل المرء في البداية ما يناسب قدرته. فإله يسمح بخلاص هؤلاء الذين مازالوا يبحثون عن الفضيلة، ومع ذلك لم يبتعدوا تمامًا عن الحياة المثقلة بالهموم. إن الوصول إلى هذه الدرجة وهذه الحالة، لا يتحقق بدون النور الإلهي وضياء المصابيح السماوية لأنه يقول "أشرقت الشمس ولوط دخل إلى صوغر".

بلاديوس: كم هو دقيق ما تقوله؟!

كيرلس: إذا فإن لوط العظيم دخل بسرعة إلى المدينة الصغيرة بإذن من الله. وفي فعله هذا أظهر أن المرأة التي تتبعته في الرحيل كانت ضعيفة، لأنه يقول "التفتت إلى الوراء وصارت عمود ملح"⁸⁸.

لاحظ أن العقل الشجاع والسلوك الطيب - حتى وإن لم يصل إلى الكمال الذي يُسر به الله - يبدأ في تحقيق النجاح في طريق الفضيلة، إلى أن يبتعد تمامًا عن الشهوات سائرًا نحو الأفضل. أما العقل الضعيف الواهن الذي ترمز إليه هذه المرأة، فإنه بخضوعه المستمر للأفكار الدنيئة ينتهي الحال به إلى الفساد. وهذا في اعتقادي، يقصده هنا بأنها قد صارت عمود ملح. وهذا يمكن أن يرمز أيضًا للنفس التي بلا حياة، وللعقل الذي يميل للسقوط في الحماسة، والذي قد يصل إلى قمة البلاهة. فالملح إذا فسد لن يكون له أي صلاحية، فقد قال المخلص أنه لن يصلح تمامًا بل يُلقى خارجًا ويداس من الناس⁸⁹. المرأة تحجرت إذا. غير أن لوط لم يكتف بهذا إذ يقول الكتاب "وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه"⁹⁰. إن العقل يتقدم بالتدريج نحو الكمال، ويرفع ببطء إلى مستوى أرقى، ويقدم ويسمو إلى الأفضل، مستندًا على النضج والسمو الروحي، مثلما فعلتا ابنتاه، حيث تركتا الميل لحب الجسديات والرخاوة التي يرمز لها بامرأة لوط. ويسكن لوط بعد ذلك كما في جبل ومغارة. وللجبل والمغارة دلالات واضحة جدًا، فالجبل، يشير إلى العظمة وسمو القوة الروحية، بينما المغارة تشير إلى الثبات والاستقرار في الفضيلة. لأنه مكتوب عن الرجال الصالحين ما يأتي: "السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة الرائل مكسب المظالم، النافض يديه من قبض الرشوة، الذي يسد أنفيه عن سمع الدماء ويغض عينية عن النظر إلى الشر، هو في الأعلى يسكن. حصون الصخور ملجأه. يُعطى خبزه ومياهه مأمونة"⁹¹. ويمكننا أن نفهم هذا الكلام بطريقة أخرى، بمعنى أن الصخرة هي المسيح، بسبب أن طبيعته الإلهية تقوم طبيعتنا، فهو كلى القدرة وغير قابل للتغيير. بينما الحصن يمكن أن يُفسر روحياً ويعنى الكنيسة، إذ هي غطاء للأتقياء حيث يسكن الأبرار والذين يخافون دينونة النار.

بلاديوس: إن حديثنا - يا صديقي - هو حسن جدًا، غير إنني أريد أن نتقدم في البحث مستشهدين ببراهين أخرى على ما تقول، لأنه في معرفة المرء كيف يحب بلا حدود، لهو أمر نافع جدًا ويستحق كل جهد وتقدير.

كيرلس: بالحقيقة أنت تتكلم، يا بلاديوس، كما يليق، لأن كلامك هو ثمرة ذهن محب للتعلّم، وبالحديث معك، سوف ننتصر على التردد ولا أكون مترددًا في ألا أمارس الصمت معك، فالحديث معك يمثل هذه الأمور المشرقة والمحبية، أفضل من الصمت. وهنا يلزمنا أن نقول إنه يجب على المرء أن يبتعد نهائيًا وبكافة الطرق وعلى قدر طاقته، عن الدنئات وكل ما يتصل بها. وهذا هو الطريق نحو الارتقاء للفضيلة، وليس هناك طريق آخر. ويمكننا أن ندرك هذا بدون مشقة، لو وجهنا أعين الذهن - باهتمام شديد - إلى تلك الأمور التي حدثت مع أبرام العظيم، والأمور التي حدثت مع الإسرائيليين في خروجهم من تحت نير المصريين وتفسير قيودهم.

بلاديوس: تحدّث إذن بالتفصيل وأنت تعرف كم ستسعدني، لو فعلت ذلك؟!

⁸⁴ أنظر تك 23:19

⁸⁵ تك 26:19

⁸⁶ أنظر مت 13:5

⁸⁷ تك 30:19

⁸⁸ أش 16:15:33

كيرلس : لقد قلنا إذن، إن أبرام العظيم الذى كان يعاني من الجوع غير المحتمل، ومن غياب ضروريات الحياة فى ذلك الوقت، لم ينزل بإرادته، لكنه فعل ذلك مضطراً أمام هذه الضروريات، وبينما كان فى ضيافة أمة أخرى، فعل به فرعون شراً، بظلم وألم، إذ أراد فرعون أن يفتن امرأة إبراهيم لتسقط فى شهوة الأعمال الدنيئة، مشتعلًا بمحبة اللذة المنحلة. لكن الله لم يسمح بذلك. لأنه مكتوب "فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام"⁹². إن فرعون هو مثال ورمز للانطفاع الشيطاني الذى كان لديه هدفاً شريراً ويسعى لتنفيذه بكل الطرق.

إنه يلقي بذاره الشريرة فى نفوس القديسين، حتى يجنوا كل الثمار المشتهاة وما تجلبه عليهم لذاتهم - هكذا أظن أن أهوال الخطية تتحقق بطرق كثيرة - فيقيض الشيطان على كل واحد ويخضعه رغم إرادته إلى مقاصده الشريرة. الطبيعة البشرية مصابة بعلّة الضعف، لكن الله لا يسمح بهذا بل هو يبطل كل حيل ودسائس الشرير التي يصنعها ضد القديسين. وهكذا أبطل الله مكائد الشيطان عن أبرام وتجنب بذلك الإهانات الشيطانية إذ فى رجوعه من مصر (برهن أنه قديس) وذهب إلى المكان الذى قد أعطاه له الرب وأسند له فيه أعمالاً هامة. لأن الكتاب يقول "فصعد أبرام من مصر هو وامراته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب. وكان أبرام غنياً جداً فى الموائش والفضة والذهب. وسار فى رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل. إلى المكان الذى كانت خيمته فيه فى البداية بين بيت إيل وعاي. إلى مكان المذبح الذى عمله هناك أولاً. ودعا هناك أبرام باسم الرب"⁹³. هل أدركت إذن أنه من الضروري لمن يهرب من شهوات العالم إلى الحياة المقدسة، أن يأخذ معه كل ما له؟ لأنه بكل العائلة والأهل - وسأضيف وبكل المؤن - رحل عن مصر أبو الآباء أبرام. أى يجب بكل الطرق أن يبتعد المرء بإرادته مع كل عائلته وينتقل إلى الصحراء أى إلى حالة روحية طاهرة بدون مضايقات، ينتقل إلى تلك الحالة التي كانت فيها الطبيعة البشرية منذ البداية قبل سقوطها، وأغلق عليها لأحرم من الخيرات السماوية فاتجهت نحو الشر. هذا يمكن أن يُفسر رمزياً بنزول أبرام إلى أمم أخرى، أى من الأرض والخيمة الأولى المحبوبة جداً، حيث كان المذبح. وهكذا فى المسيرة الدائمة إلى الأمام، إلى أن نصل إلى أرض وموضع المذبح الذى تعين فى البداية، أى إلى حالة القداسة الأولى، وهناك نتضرع إلى إله الكل، مكررين كلمة النبي "يارب نحن لا نعرف آخر سواك. أسمك القدوس هو الذى دُعينا" ⁹⁴.

بلاديوس : لقد تحدثت حسناً جداً.

كيرلس : لو فحصت جيداً كل ما صار لأبناء إسرائيل عبر الزمان، عندما استحوذ المصريون عليهم بسبب معاناتهم من الجوع فى البداية، هؤلاء المنحدرون من نسل القديسين الأحرار، وضعوهم تحت نير العبودية المرة، متعاملين معهم بوحشية، إذ يصف هذه القسوة هكذا: "ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا. هلم نحمل لهم لنلا ينموا فيكون إذ حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض"⁹⁵. لقد تضايق - على ما اعتقد - رئيس مصر، من أن أولئك الذين وُضعت عليهم قيود إجبارية، قد اختاروا طريق الحرية، (لذلك تُقرأ) "فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي ينلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس"⁹⁶. فتحمل بنو إسرائيل نتائج إفراط المصريين فى حب الاستعباد: من عذابات لا تنتهى فى عمل الطوب، وقطع الأحجار، وبناء مدن بحوانط وأبراج، واستصلاح الأراضي، وعرق متواصل فى إنهاء عمل بعد آخر، وكل هذا كان يتم بدون أجر. إذ كان رؤساء تلك العصور يُخضعون هذه النفوس المقهورة بأعمال الطين والحجارة من مبانى وأسوار، لقد عذبوهم بإجبارهم على ذلك فى عبودية مرة وبدون مقابل (لأنه هكذا تكون أعمال الجسد وكل ما يتصل به)، أجبروهم إذن على قبول حياة قاسية وملينة بالعناء، والتي لا تُقدم بأى حال أى نفع للمرغمين على أن يمارسوها.

والحقيقة ماذا نتفعا الأعمال الجسدية وشهوات نفوسنا الضعيفة؟ إن فعلنا هذا سوف نعطي مكاسب لإبليس والشياطين، إذ يكون لهم غنى وفخر، مثلما كان لفرعون تماماً، الذى اعتقد أنه مجد عظيم له أن يبني الإسرائيليين المدن بدون اجر أو قوت، وفى هذا كانوا مجبرين على تحمل هذه الحالة.

بلاديوس : إن حديثك هو فى الحقيقة، شيق جداً .

⁸⁹ تك. 17:12

⁹⁰ تك 4:13

⁹¹ إش 15:26

⁹² خر 8:1-10

⁹³ خر 11:1

كيرلس : إن مشقة الإسرائيليين تمثل الصورة الواضحة المتكررة لأطماعنا الباطلة الدنسة هنا على الأرض، كما أن الشيطان وقواته الشريرة يمارسون ضغطاً وهجوماً علينا. يمكنني أن أقول هكذا عن التجارب الشريرة، أنها غارقة في بحار الألم والتعب، وموحلة في المذاذ الطائشة. لكن الله أظهر حينذاك رحمته لهؤلاء الذين أصابهم شر بواسطة مقاصد المصريين الشريرة، لأن الله أعد موسى العظيم ليكون خادماً لإحسانه نحوهم .

ألا نجد أن الله يفعل نفس الشيء معنا؟ لأنه بينما ننزل في الخطايا ، يمنحنا من مراحمه، ويدخل في قلوبنا جميعاً ناموسه الخاص، كوسيط يرفعنا إلى حياة الحرية .

بلادوريوس : أنا أفهم هذا الذي تقوله.

كيرلس : أتريد أن نركز حديثنا في الأمور التاريخية ونذكر بقدر استطاعتنا كل ما يناسبنا؟

بلادوريوس : حسناً جداً .

كيرلس : قد كُتب الآتي " وبعد ذلك دخل موسى وهرون وقالوا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعبدوا لي في البرية. فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه" ⁹⁷. وهؤلاء أيضاً الذين كانوا مع موسى وهارون أكدوا أن الإسرائيليين، يجب أن يرحلوا عن مملكة وأرض مصر، لأن الله دعاهم إلى عيد. لأنه في الحقيقة هو عيد حقيقي أن ينحل ثقل العبودية المرة ويُوجد المرء في حضور الله، ويتم كل ما يفرحه دون أن يُستعبد من أحد، أي بدون أن يجبره أحد على فعل شيء. لقد تفوه فرعون بثائرة شديدة وأظهر وقاحة عظيمة منكرًا مجد الرب، قائلاً : إنه لا يعرف الرب وأنه لن يطلق الإسرائيليين. ولكن موسى العظيم لم يستسلم بتاتاً، فأصر على أن يحقق الأمر الذي يُسر به الله، بمعنى أنه عندما يعوق (فرعون) خروج أولئك الذين سقطوا في سطوته، إلى الحرية فهؤلاء يجب عليهم أن يظهروا رجولة وينتصروا على كل شيء وبدون تأخير، أو على الأقل بدون أدنى خوف. بل ويصرون قائلين " إله العبرانيين قد التقانا. فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا. لنلا يصيينا بالوباء أو بالسيف " ⁹⁸، هكذا قد صرخ موسى الحكيم: نحن - العبرانيون - لا نشبهكم أيها المصريون في توقيركم للعجول والخنازير أو الماعز أو منحوتات الإنسان أو أشكال الطيور والزواحف التي تضعونها على المذابح. نحن قد دعانا الله ربنا الذي أبدع هذا الكون. إنه العظيم الذي لا يُحصى مع إله المصريين وهو فوق كل خليفة. إنه إله العبرانيين الذي يدعونا إلى الصحراء، لكي نقدم هناك الذبيحة التي تسره. وهكذا أظلمت مصر روحياً. ويجب علينا نحن الروحيون أن نفهم - على ما أعتقد - روحياً كل ما أعطى لنا بتعاليم وأمثلة. يجب إذن أن نهرب من كل شيء يسبب لنا ظلمة، وهكذا نكون قد خرجنا من أرض ما. نهرب من سطوة الخطية التي تتسلط علينا بواسطة الطاغية، الذي هو الشيطان، ولنسرع نهائياً نحو حياة الحرية والطهارة ونسلك في طريق الحياة حسب الناموس الإلهي، تلك الحياة التي لا تخضع للشياطين. لأنه سيمكننا عندئذٍ أن نقدم ثمار تبريرنا كذبيحة إلى الله. ويؤكد موسى أنه يجب على الإسرائيليين السير ثلاثة أيام داخل الصحراء، مُعلنًا بهذا أنه يجب ألا يكون المرء قريباً من دائرة الدناءة والحياة المليئة بالقهر. يستخدم موسى العظيم أسلوب فني حكيم عندما يقول إنه يجب على المدعويين من الله أن يبتعدوا عن الظلمة، ويورد لهذا سبباً حسناً جداً لأنه يقول: ربما يقابلنا الموت أو القتل أو " لنلا يصيينا بالوباء أو بالسيف " ⁹⁹.

بلادوريوس: ماذا يعني هذا بالضبط؟ لأنه ليس من السهل على المرء أن يفهم ذلك بوضوح.

كيرلس: سأخبرك عما تريد: كانت توجد عادة عند العبرانيين وهي مازالت أيضاً عند أولئك الذين يسجدون للأصنام، فكل من يدخل إلى الهيكل يجب أن يتجنب المرور بجانب جسد ميت. لأنهم يقولون إن المرء يتنجس جداً ليس فقط باللمس ولكن أيضاً بمجرد النظر لجسد ميت. فإن حدث هذا، فيسبب تلك العادات يعتقدون أن ذبائحهم لن تكون طاهرة، أي عندما يقدمون ذبيحة، ويتصادف وجود مشهد ميت أو قتيل، لأن موسى قال: أنتم (المصريون) لديكم مقدسات وهيكل بأبواب وأقفال، يمكنكم الدخول إليها وتقديم ذبائحكم فيها حسب معتقداتكم الخاصة بكم، بينما نحن (العبرانيون) مجبرون أن نقدم ذبائحنا في أماكن مكشوفة في وسط المدينة، وفي تقاطع الطرق، وبين الحقول، ونتنجس بمشاهد الموتى، إذ لا يوجد ما يحجب إطلاقاً عنا هذه المشاهد. إن ما جاء في التاريخ المقدس بخصوص عادات المصريين هو أمر مؤكد، وإن ما قاله موسى الحكيم هو صواب ويمكن لنا نحن أيضاً أن نفهمه روحياً. أي يجب علينا نحن أن نقدم ذبائحنا كما في صحراء

⁹⁴ خر 1:5-2.

⁹⁵ خر 5:3.

⁹⁶ خر 5:3.

ونتَم عيِّداً مقدَّساً لله، مرتحلين من أرض المصريين، متجنِّبين رؤية مشاهد الموت. لأنَّه بذهن هادئ مبتعد عن الظلمات العالمية، وبأعين متجنِّبة رؤية كل ما هو ميت وفاسد، نقدم ذبيحة طاهرة إلى الله ضابط الكل. فالأعمال الميَّنة هي أعمال الجسد، بينما الظلمة العالمية هي الغشاوة التي يسببها الأشرار، والزيغان الباطل، والأمور التي تلوث شفافية الذهن النقي. هذه الأمور يجب الابتعاد عنها ممن يريدون أن يعبدوا الله بالحق. والتاريخ المقدس شاهد على كل هذا.

بلادِيوس: بالتأكيد، هذا ليس بالأمر الغامض. ولكن ماذا بعد؟

كيرلس: لقد استحوذ على الإسرائيليين الشوق الشديد الذي لا مفر منه لحريتهم الأولى. ولأنهم قد أعلنوا نيَّتهم هذه أمام فرعون فإنهم قد أثاروه بالاحاح مما أثار غضبه، وهو الذي قيدهم في نير العبودية. ولأنه رأى أن هذه الاشتياقات كانت نتيجة لتكاسلهم وعدم انشغالهم بعمل، فلماذا أمر بأن يُثقل عليهم في العمل. وإذ بينما طالبهم بتكميل أعمالهم المعتادة دون تأجيل، منع عنهم على غير العادة حصّة التبن اللازمة لعمل الطوب اللين لأنَّه قال لهم: "متكاسلون/أنتم متكاسلون. لذلك تقولون نذهب ونذهب للرب. فالآن اذهبوا اعملوا. وتبن لا يُعطى لكم ومقدار اللين تقدمونه. فرأى مدبرو بني إسرائيل أنفسهم في بليّة إذ قيل لهم لا تتقصوا من لبنكم أمر كل يوم بيومه" ¹⁰⁰. أم ستقول يا عزيزي إنه أليس حقيقى أنه عندما يريد أى شخص منا أن يتحرر من ثقل عبودية الشيطان بعبادة الله المشرقة والبهية، في سكينه القلب، ويعرف الرب الحقيقى وفق كلمات المزمور "تخلصوا من كل زيغان واعلموا أنى أنا هو الرب الإله" ¹⁰¹، إن عدو الجميع سيشتكى علينا بأننا لا نعمل معه بجد، معتبراً أن ما تشتهيه قلوبنا أمر لا يناسبه. أما من شك أنه سيثور علينا مع كل الأرواح الشريرة والنجسة، ويحاول أن يجبرنا بقوة على الانزلاق المستمر في النجاسة الجسدية وأمور العالم الأرضية، التي كان كل واحد معتاداً أن يمارسها. وعندما نحاول الابتعاد عن الأمور الوضيعة، سيعيق هذه المحاولة بشتى الطرق ويؤزّن لنا طريق الشر حتى تتمتع نفوسنا به؟ وهذا ما كان يُقصد به - على ما أعتقد - أن يُطلب من العبرانيين صناعة الطوب بلا توقف، ومن ناحية أخرى يمنع عنهم التبن اللازم لهذه الصناعة. وهذا ينطبق علينا نحن أيضاً، إذ نطلب دائماً الأمور التي قد تعودنا عليها ونشتتها، ونحترق شوقاً لها، وبالأكثر عندما نتبين أن هناك أمراً يعوق تحقيق ما نرغبه. وعندما يُبعد الناموس الإلهى أذهاننا البشرية عن فعل ما تعودنا عليه من سيئات، عندئذٍ يستيقظ داخلنا شوق مستمر نحو هذه العادات، منتهياً بنا بالشكوى ضد مشروع هذا الناموس. والبرهان على ما نقول هو ما قد حدث لبني إسرائيل الذين كانوا يعانون من أعمال قاسية فُرِضت عليهم، في الوقت الذي حرّموا من التبن. ولهذا فقد اشتكوا على موسى وهارون بشدة متهمين إياهما بأنهما السبب فيما يعانون من ضيق بسبب المتسلطين عليهم. وقد كان هذا ليس بسبب آخر سوى أن موسى وهارون كان لديهما رغبة قوية في تحرير الشعب، وكانا يصدقان دائماً وعود فرعون بذلك.

بلادِيوس: ألا تعتقد أن موسى وهارون قد تكلموا بكل الحقائق وبكل ما يليق؟

كيرلس: بالتأكيد يا بلادِيوس، لأن شهوة الصلاح والفكر الخَيْر قد تدفعنا إلى ما يرضى الله، وفي نفس الوقت نتذكر ناموس التقوى. غير أنه من جانب آخر، فإنه من الأمر المحزن أن نعرف أن عدو الخير بسبب طبيعته الشريرة، يريد دائماً أن يحطماً. غير أن الرب يتدخل دائماً لإنقاذنا. إذ قال لموسى: "لذلك قُل لبني إسرائيل أنا الرب. وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأُنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين" ¹⁰². أى أنه في الوقت الذي يُعيقنا الشيطان محاولاً أن ينزع منا كل شهوة صالحة وأن يستमित في إبعادنا بكل الطرق الممكنة، بعيداً عن كل فكر صالح، فإن الناموس الإلهى يحضنا على فعل إرادة الله، وإذ يعرفنا بذلك ويستنهض فينا الرجاء الثابت، فيقوينا بالإيمان وينسب كل شئ إلى الله، الذى هو بالحقيقة مخلصنا وفادينا.

بلادِيوس: إن الإيمان وتبعية المرء لله بفهم وشوق شديد، هي من الأمور الحسنة جداً ومنقذة للنفس.

كيرلس: لقد قُلّت الصواب. لكن ستعلم جيداً عندما نصل إلى نهاية حديثنا أن الإيمان يقود إلى كل صلاح. فعندما ذهب موسى ورفاقه ليتحدثوا مع فرعون ثانية محاولين إقناعه بأن يتركهم لكي يرحلوا من مصر ويُحرّر بني إسرائيل من قيودهم. ولكي يقتنعوه عملوا أعمالاً معجزية تذهل العقل. فغيّر موسى شكل العصا إلى حية، مؤكداً بوضوح أنهم بمعونته الله يستطيعون بسهولة، إنجاز أشياء أعظم من هذه. لكن فرعون أعطى أمراً للسحرة المصريين أن يفعلوا نفس الأشياء. وكان فرعون أراد بهذا الأمر أن يقول لهم، نحن لسنا غير قادرين على مثل هذه الأعمال، وأن من يفعل هذا من بين المصريين هم أكثر ممن عندهم. فإن أعمال السحر هي أعمال مدهشة وأنتم أيضاً تقومون بها. غير أنه بسبب أن موقف

⁹⁷ خر 19:5

⁹⁸ مز 11:45

⁹⁹ خر 6:6

فرعون قد تقسى جداً لأنه لم يترك بنى إسرائيل، فقد تعرض لضربات أربع، الواحدة أسوأ من الأخرى، إذ تغيرت المياه إلى دم، وظهرت ضفادع وصار بعوض وامتألت بيوت المصريين ذباباً، الأمر الذي جعل فرعون أكثر جُبناً، إذ دعا أصحاب موسى "فدعا فرعون موسى وهارون وقال اذهبوا اذهبوا لإلهكم في هذه الأرض. فقال موسى لا يصلح أن تفعل هكذا. لأننا إنما نذبح رجس المصريين أمام عيونهم أفلا يرجعوننا. نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا كما يقول لنا، فقال فرعون أنا أطلقكم لتذهبوا للرب إلهكم في البرية. ولكن لا تذهبوا بعيداً" ¹⁰³، بمعنى أن الشيطان عندما يحاربنا ويقاوم بعنف وبغضة استعدادنا لعمل الصلاح، فإن الله يقف في مواجهته، وبالرغم من وقاحته، فإن الله يذله بالضربات، وعندئذٍ لا يكون أمام الشيطان مفر إلا أن يتركنا رغم إرادته، لكن في الوقت نفسه يحاول أن يقتنعنا لكي لا نتم بدقة عبادتنا نحو الله، أو أن نتحرر تماماً من عبوديتنا له. لأن فرعون أمر اليهود أن يذهبوا ليس خارج أرض مصر ولكن داخلها. غير أن موسى بحكمته الشديدة قال: أن هذا لا يمكن أن يكون. إن الشيطان وهو مبدع الخطية يصير دائماً مبتكراً للدنات، لهذا يرفضها الناموس الإلهي، ويدين كل من يعمل ما يرضى الشيطان. يجب إذن أن يتيقظ أولئك الذين يريدون أن يحيوا باستقامة، وألا يخضعوا للأفكار التي يملئها عليهم الشرير، بل يجب أن يخضعوا للأمور التي بشرت بها الكلمة الإلهية. لأنه يقول "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" ¹⁰⁴.

بلاديوس: إنه حقاً. بالصواب نتكلم.

كيرلس: إذن، بسبب تربص الشرير بنا في كل مكان، محاولاً أن يوقعنا تحت سلطانه، يجب علينا أن نعبد فقط من هو الله بالطبيعة، ولنهرب - بقدر الإمكان - بعيداً عن الإزدواجية، ولهذا يمكننا القول "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر" ¹⁰⁵. وأيضاً كما هو مكتوب "ويل للقلوب الهيابة وللأيدي المتراخية وللخاطي الذي يمشي في طريقين" ¹⁰⁶. وأكد على ضرورة الحاجة إلى تقديم عبادة طاهرة وبلا لوم إلى الله ضابط الكل، ونبعد تماماً عن عبادة الشرير. وكما سبق أن ذكرنا أن موسى قال أمام فرعون "لا يصلح أن تفعل هكذا، لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا.. إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم أفلا يرجعوننا، نذهب سفر ثلاث أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا كما يقول لنا" ¹⁰⁷. إن رفض موسى تقديم ذبائح في أرض مصر أمام المصريين له ما يبرره. فالأشياء الرجسة هنا يقصد بها تلك الأشياء التي يُقدِّرها المصريون ويحترمونها، والتي كان من بينها العجول. فلو قال موسى أنه يمكن تقديم مثل هذه الذبائح لإله العبرانيين، لجلب عليه وعلى شعب إسرائيل غضب المصريين. هذا الرفض له علاقة بما نتكلم عنه من أمور روحية ومنافع ليست قليلة. لأننا عندما نميت الأمور التي يجلبها الشياطين إذ تروق لهم، فإننا بذلك نقدم عبادة مرضية أمام الله.

بلاديوس: ماذا نقصد؟

كيرلس: ألا يكرّم عدو الخير الشهوات الجسدية؟ وليست كل الشهوات هي سيئة في حد ذاتها، بل أنه بسبب عدو الخير، فنحن ننساق إلى عبودية مُرة جداً.

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: إذن، فنحن في إمانتنا لهذه الشهوات الجسدية، وفي ذبحنا لها، نُقدم رائحة ذكية إلى الله كما يكتب بولس "أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية" ¹⁰⁸. وهذا الأمر يتحقق بما يأتي: "فأميتوا أعضائكم التي على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديئة الطمع" ¹⁰⁹. إذن فكل شهوة من شهواتنا، هي صنم كأصنام المصريين بمعنى أنها أمور مُكرّمة وموقرة، وقد اعتاد الكتاب أن يدعو الأمور التي لا ترضى الله والتي يعطيها البشر مكانة عظيمة كأصنام التي يعبدونها "تمثالاً"، فيقول الله على لسان إرميا من جهة الأمور التي كان يفعلها اليهود: "

¹⁰⁰ خر 2825:8

¹⁰¹ مز 105:118

¹⁰² مت 24:6

¹⁰³ حكمة ابن سيراخ 14:2

¹⁰⁴ خر 2825:8

¹⁰⁵ رو 1:12

¹⁰⁶ كولوسي 5:3

حببتي داخل بيتي صنعت تمثالاً¹¹⁰. ولو أراد أحد أن يدعو الأمور التي كان يكرهاها المصريون ولا يقبلونها، أصناماً، لكان على صواب، لأن هذه الأمور التي اعتادت الأرواح النجسة أن تكرهاها وتنفر منها، هذه الأشياء هي بالضبط التي ستقدم كرائحة ذكية إلى الله وذبيحة روحية، أي إيمان، وداعة، ضبط النفس، عفاف، محبة الآخرين، وكل مفاخر التقوى الحقيقية نحو الله.

بلاديسوس: مَنْ هم أولئك الذين يقدمون ذبائح في أرض الشرير؟ وَمَنْ هم أيضاً الذين يذبحون خارج هذه الأرض؟

كيرلس: أولئك الذين لم يخرجوا بعد من أرض المصريين، والذين مازالوا يقدمون ذبائح إلى الله داخل هذه الأرض، هم كثيرون جداً وبلا حصر، بينما هؤلاء الذين هم خارج مصر أي داخل الصحراء هم قليلون جداً ومختارون لأنه يقول: "كثيرون هم يُدعون وقليلون يُنتخبون"¹¹¹. فكلنا قد دُعينا إلى الحرية بواسطة إيماننا بالمسيح، وقد أفتدنا من الشيطان الطاغية والمسيح يقودنا إلى هذه الحرية، ولقد كان موسى وهارون مثلاً سابقاً للمسيح، حتى تدرك يا بلاديسوس أن عمانوئيل حسب التدبير، هو المشرع ورئيس الكهنة والرسول. لكن مازالت الاكثريّة من المدعويين تعيش في الأمور العتيقة والشريرة مبتعدين بسبب أفكارهم العالمية عن الحق غير عابدين الله في نقاوة وإيمان. هؤلاء هم الذين يمكن أن تقول عنهم أنهم ابتعدوا قليلاً، لكنهم مازالوا يذبحون في مصر، لأن فرعون القاسي القلب قال لهم "لا تذهبوا بعيداً"، حتى لو خرجتم من أرض المصريين. أما أولئك الذين يريدون أن يكونوا مرضيين تماماً عند الله بالانتقال التام إلى الصلاح، فهؤلاء يتخلصون مرة واحدة ودائماً من ضلال العالم، فيخرجون خارجاً من مصر، ويهربون من يد الطاغية، وكما في صحراء، يقدمون ذبائح لله بطهارة: هؤلاء هم أنقياء بالفعل ويعيشون في حياة السكينة والهدوء. ويمكنني أن أقول ذلك بطريقة أخرى، وأؤكد على هؤلاء الذين يتأهبون للسير في طريق الحق، والذين دعوا لمعرفة ذلك الذي هو بالطبيعة الله، هؤلاء يجب أن يرحلوا بعيداً عن أرض العبودية التي فيها تُعبد الخليفة دون الخالق. أي أن الذين لم تخلّص أذهانهم تماماً من بقايا الخداع القديم، والبعض منهم لم يخرجوا تماماً من أرض مصر وهم يحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنيناً، هؤلاء بالرغم من أنهم قد دُعوا بواسطة المسيح إلى الحرية، إلا أنهم بسبب سكنهم في أرض المصريين، فإنهم لا يذبحون لله، ممسكين بكل الأمور التي تُسرّ الشيطان. أما مَنْ يخرج تماماً من أرض العبودية وقد تخلّص كلية من العادات القديمة، فإنه يذبح للرب في الصحراء ويحيا حياة تستحق كل الثناء.

بلاديسوس: أوافقك على كل فكرك الصحيح هذا، ودعنا نستمر في الحديث .

كيرلس: لقد كذب فرعون وتكرر لوعده بأن ترك الإسرائيليّين ليرحلوا. بعد ذلك ضُرب ثلاث ضربات أخرى جعلته يوافق قائلاً: إنه سيتركهم. لكنه هنا قد أمسك ثانية وهو يقول الأكاذيب، لأنه وفق كلام المخلص "إنه كذاب وأبو الكذب"¹¹²، وبعد ذلك هدد الله المصريين وألقى عليهم برداً شديداً وجراًداً (يدمر الحقول). عندئذٍ رفع موسى وهارون - هؤلاء المدافعين الأشداء ضد شر فرعون - صوته قائلين له بقوة "إلى متى يكون لنا هذا فخاً. اطلق الرجال ليعبدوا إلههم/أما تعلم بعد أن مصر قد خربت"¹¹³. ومن هنا يجول بخاطري، أنه ربما يكون الشيطان في حالات معينة هو الأقوى من بين قوات السلاطين. حيث إنه يتفاخر بنصره، لأن قواته - كما هو ظاهر - صلبة وقاسية بما لا يُقارن، وهو لا يقيم وزناً للغضب الإلهي، فوحشيته فائقة وقسوته لا نهاية لها، لأنه مكتوب "قلبه صلب كالحجر وقاسٍ كالرحى". وحينما علت الأصوات أمام فرعون - مطالبة بالحرية - قال لأصحاب موسى "اذهبوا/اعبدوا الرب إلهكم لكن مَنْ وَمَنْ هم الذين يذهبون" وقال موسى نذهب بفتياننا وشيوخنا. نذهب بينينا وبناتنا بغنمنا وبقرنا لأن لنا عيداً للرب. فقال لهما ويكون الرب معكم الرب هكذا كما أطلّكم وأولادكم. أنظروا إن قدام وجوهكم شراً. ليس هكذا اذهبوا أنتم الرجال واعبدوا الرب لأنكم لهذا طالبون"¹¹⁴. فكر إذن يا عزيزي، كيف أن ما قاله موسى كان حسناً جداً، عندما أصرّ على الرحيل هو وكل شعبه، وكيف أن فرعون لم يقبل ذلك، لكنه قال إنه يجب أن يُترك البعض كرهائن في مصر حتى يضمن رجوع الذين سيذهبون إلى الصحراء، كما قال إنه يجب أن تظل كل مؤنهم في مصر، وأمر أن يذهب فقط الشباب والرجال. غير أن موسى كليم الله أصرّ على أن يخرج معه الجميع بدون أن يُترك هناك أحد، وأن يذهب معه كل الشباب والشيوخ، الأبناء والبنات، وقطعان البقر والحيوانات الأخرى. أي يجب على المهتمين بالحصول على الحرية الحقيقية، والخلاص من شرور العالم بإرادتهم، والسلوك في طريق الفضيلة، ألا يتركوا ولو بقية صغيرة جداً من ذواتهم وأفكارهم بدون أن تتحرر، حتى لا

¹⁰⁷ إر 15:11.

¹⁰⁸ مت 14:12.

¹⁰⁹ يو 8:44.

¹¹⁰ خر 7:10.

¹¹¹ خر 10:18.

يخضعوا ثانية بواسطتها تحت سلطان الشرير. والوصايا الإلهية، تدعو الفتيان والفتيات والشيوخ مع الشباب لفعل هذا أيضًا وذلك في المزمور (12:148). ويمكننا أن نفهم مراحل العمر بطريقة روحية في المسيح. فلهؤلاء وجّه يوحنا العظيم قائلاً "اكتب إليكم أيها الأولاد لأنكم قد عرفتم الأب. كتبت إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء. كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير"¹¹⁵. حيث يمكن أن نفهم مراحل العمر هكذا: الأحداث يرمزون للشهامة والرجولة، الشيوخ للحكمة، والأولاد والبنات يرمزون إلى الفكر البسيط. لأنه بالرجولة والحكمة والبساطة بحسب الله ننقل من الخطية إلى حياة القداسة، لأنه يقول: "لنتشدد ولنتشجع قلوبكم بإجماع المنتظرين الرب"¹¹⁶. وأيضًا "كونوا حكماء كالحيات بُسطاء كالحمائم"¹¹⁷. ويقول موسى أن يأخذوا معهم الأغنام والأبقار، فإنّي أعتقد أن هذا يشير إلى أنه لا يجب أن نترك للشيطان ولا حتى أعضائنا الجسدية التي لا تشترك في عملية التفكير. إذ أن بولس العظيم يكتب: "لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيدًا للنجاسة والإثم هكذا الآن قدموا أعضائكم عبيدًا للبر للقداسة"¹¹⁸.

بلادبوس: لكن لأي سبب أراد فرعون أن يترك الشباب والناضجين ليرحلوا، بينما أراد أن يحتفظ بالآخرين؟

كيرلس: وماذا تقصد بالآخرين الذين يبقون في مصر؟

بلادبوس: كانوا - على ما أعتقد - نساءً وأولادًا صغارًا والمرضى والعجائز وحيوانات وممتلكات أخرى.

كيرلس: وكيف لا تفكر مباشرة في معنى بقاء هؤلاء بالذات في مصر؟

بلادبوس: عمّن تريد أن تتحدث؟

كيرلس: إن (الشيطان) يعتبر أولئك المملوءين حيوية ونشاطًا ولديهم استعداد قوي لحياة التقوى، يعتبرهم مزعجين له، لأنه يريد أن يتخلص ممّن يمكنهم أن يقاوموه، إذ لديهم القدرة على الرد والدفاع عن ذواتهم عندما يقع عليهم الظلم حسب المكتوب "قاموا إبليس فيهرب منكم"¹¹⁹. وعلى العكس من هذا، فإنه أراد أن يبقى أولئك الذين ليس في طبيعتهم تلك الحيوية وذلك النشاط، بل هم يميلون في سلوكهم للرخاوة والتنعيم، الذي ينم عن الضعف والعجز. وتشير الأبقار والأغنام السمينة وغير العاقلة التي أراد فرعون أن يبقيها في مصر إلى هؤلاء الذين ذكرنا أنهم يسلكون في رخاوة وتنعم.

بلادبوس: حسنًا، بالصواب تتحدث.

كيرلس: غير أن فرعون صاحب الرأس العنيد لم يوف بوعوده، إذ أنه بسبب هجوم الجراد الذي - كما تقول الكلمة - أكل كل شيء في الأرض، دعا موسى، وهارون وقال لهما: "اذهبوا اعبدا الرب. غير أن غنمكم وبقركم تنقي، أولادكم أيضًا تذهب معكم. فقال موسى أنت تعطى أيضًا في أيدينا ذبائح ومحرقات لنصنعها للرب إلهنا. فتذهب مواشينا أيضًا معنا. لا يبقى ظلف. لأننا نأخذ لعبادة الرب إلهنا. ونحن لا نعرف بماذا نعبد الرب حتى نأتى إلى هناك"¹²⁰.

بلادبوس: وماذا يمكن أن نفهم من حديث موسى الحكيم؟ أو إلى أى شيء ترمز هذه الأشياء التي ستخرج من مصر ويطلقها فرعون ثم تخصص لله؟

كيرلس: الكلام واضح يا صديقي، إن من يقاوم ويحارب أولئك الذين يريدون أن يكونوا أنقياء، يريد أن يحتفظ ولو بجزء بسيط منهم تحت سيطرته، حتى لو ظل الباقي خارج قبضته. وغير ذلك فإن الوصية الإلهية تعلمنا بأن الحرية يجب أن تشمل الإنسان كله، فلا يُترك في قبضة الشيطان ولو جزء صغير جدًا من النفس أو حتى أى دافع لأى عمل جسدى. بل بالحرى يجب أن نقدم لله كل ما هو حسن وفائق في هذه الحياة. لأن هذا ما تعنيه أن يأخذوا الحيوانات معهم من مصر ويذبحونها لله في الصحراء. ألم يكن هذا هو ما فعله هؤلاء الذين بحكمة العالم، كانوا يقاومون عقائدنا الإلهية، مستخدمين حكمة الكلام المبهّر، والمعرفة التي تسبب مرارة النفس، وهم في ذلك كله يظنون أنهم يقدمون عبادة عقلية لله؟. ولأن "

¹¹² يو 13: 2، 14

¹¹³ مز 24: 31

¹¹⁴ مت 10: 16

¹¹⁵ رو 19: 6

¹¹⁶ يع 7: 4

¹¹⁷ خر 26: 10

كل حكمة هي من الله¹²¹ كما هو مكتوب، فإننا نقول إن الشعراء والفلاسفة اليونانيين وصلوا لهذه الفصاحة بروح العالم وليس عن طريق الحكمة الإلهية. ولهذا يقول بولس العظيم " ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله. التي نتكلم بها أيضًا لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس"¹²². وفي الحقيقة إن موسى عندما قال إن الإله الحقيقي لا يحتقر ما نقدمه له من أشياء ثمينة من هذا العالم، كان لا يزال تحت ظلال العهد القديم، ولهذا لم يبين ما قاله بوضوح، بل تكلم عنه بالرمز. لأنه عندما أمر الله بأن يسلب الإسرائيليين أشياء من المصريين، قال إنه يجب أن يأخذوا من جيرانهم مصنوعات ذهبية وفضية، ولقد أتم نسائهم هذا الأمر باقتدار، حيث تميزن بكثرة الكلام المقنع وابتداع الحيل مع النساء المصريات. إن الأواني الذهبية والفضية التي كانت للمصريين، يمكن أن تمثل، كما قلنا من قبل سبب فخر لبعض الأشخاص، بالرغم من أنهم يعرفون الإله الحقيقي. ويمكنني أن أكرر ثانية ما يأتي: إن نشاط الفكر والنفس والميل نحو كل صلاح، هي عناصر مشتركة لجميع الناس، لكن أولئك الذين يستخدمون هذه المميزات الطبيعية، استخدامًا حسنًا يحققون حياة مُشرقة وفارقة، بينما أولئك الذين لا يستخدمون هذه المميزات ينحرفون تمامًا عن جهل إلى كل ما لا يليق، ويُظهرون - بطريقة ما - كيف أن خيرات الطبيعة يمكن أن تستخدم بطريقة غير حسنة. أي أن الشجاعة والحكمة هي حسنة عندما تُستخدم بطريقة سليمة، وأيضًا هي مُضرة عندما لا تُستخدم بطريقة جيدة. لأن الشجاعة والحكمة يمكن أن تكونا سببًا لإطراء واستحسان لعمل شخص، وسبب إستجهاً لعمل شخص آخر. إذ أن كل هذه الأمور هي مشتركة بين الجميع، أي لمن لديهم معرفة الله وأيضًا لمن هم في ضلال عدم معرفته.

إذن عندما نستخدم نحن هذه الصفات في عمل يرضى الله، فإن هذا يشبه ما أخذ من المصريين من خيرات مادية، وأصبح مقدسًا ومقبولاً لدى الله، كالأواني الذهبية التي يتبين أن لها فائدة عظيمة في صنع وتكميل خيمة الاجتماع. وبعد سلب هذه الأشياء من المصريين وموت الأبقار تحرر الإسرائيليين، وذبحوا الحمل كمثل للمسيح. لأنه لم يكن باستطاعتهم أن يحصلوا على الحرية بطريقة أخرى، حيث إن الفداء يتم فقط بالمسيح، والذي منه تنزل كل موهبة صالحة. عندئذٍ رحلوا من مصر في منتصف الليل وتحرروا من الظلمة والعبودية. لأن عبيد الخطية يحبون دائماً التواجد في الظلمة الذهنية وليس في النور الإلهي، كما يقول المخلص " كل من يعمل السيئات يبغض النور"¹²³. فأخذوا عجباً غير مختمر ورحلوا بدون مؤن. لأنه يقول " وألح المصريون على الشعب ليطلقوهم عاجلاً من الأرض. لأنهم قالوا جميعنا أموات. فحمل الشعب عبيدنا قبل أن يختمر ومعانهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم"¹²⁴. لأنه لا يجب - على ما اعتقد - على كل من يريدون أن يدعوا إلى الله ويبرهنون على أنه يسكن في داخلهم، أن يأخذوا معهم أي فئات من شرور العالم، وألا تكون مؤنهم هي أطعمة غريبة ونجسة. بل خبراً بلا خميرة، مشتبهين الخبز الذي يُحیی العالم. وهؤلاء يعيشون في نقاوة متممين عبادة مقبولة لله، وهكذا يسلكون دائماً حسب إرادته.

بلاديوس: نستنتج من هذا إذن، أنه يجب على محبي الله والصالحين أن يصلوا إلى الأرض المقدسة، أي إلى مملكة المسيح، متحررين من كل عبودية، مُسرعين لكي يذبحوا لله ليس في أرض الأعداء، حيث تستعبدهم محبة الخطية، لكن بالحرى يذبحون وهم على استعداد تام لعمل الفضيلة والسلوك بعيداً عن كل تسلط الشيطان الطاغى.

كيرلس: هكذا يكون الأمر يا صديقي، ولا تصدق أن الأمر يمكن أن يتم بطريقة أخرى. لقد أفضنا في الشرح، غير أنه من الممكن - لو أردت - أن نرى الأمر نفسه في موقف آخر، إذ عندما أحزن ساكني المدينة المقدسة أورشليم مخلص الجميع، إذ كانت لديهم شهوة فعل كل ما هو غير لائق، صاروا مستعبدين للبابليين، الذين أسروهم وجعلوهم عبيداً رغم إرادتهم. وإذا صاروا عبيداً انتابهم حزن عظيم، وصاروا ينتحبون على مصائبهم. فأخذوا يسبحون الله في محاولة تخفيف الألم الذي أصابهم، والتقليل من الحزن الذي كانوا يعانون منه قائلين مع داود "تذكرت الله فامتألت فرحاً". فلقد حوّل داود تسبيحه لله إلى عيد روحى، غير أن البعض منهم ظن أنه أمر لا يليق أن يكون هذا التسبيح العذب وتلك الأناشيد الجميلة على مسمع من قوم غرباء لا يقدرونها، إذ كان البابليون يستهزئون عند سماعهم تلك التسابيح. لذلك قالوا " على أنهار بابل هناك جلسنا وبكىنا عندما تذكرنا صهيون"¹²⁵. فهناك (فى الهيكل) كانت تُقدم صلوات ذبيحة شكر مصحوبة بالآلات وترية ونفخ وموسيقى تخلب عقول هؤلاء الذين يأتون إلى الهيكل المقدس. كل هذا كان يقدم وفق نوااميس وعادات اليهود، لكن بسبب أنهم كانوا في عبودية غريبة وثقيلة ومقيدتين بشدة، كانوا يقولون منتحبين " على الصفصاف في وسطها علقنا أعواننا"¹²⁶،

118 حكمة ابن سيراخ 1:1

119 1كو 13:12

120 يو 20:3

121 خر 34:33

122 مز 136:21

123 مز 136:2

معلنين بهذا أنهم توقفوا عن الغناء والتسبيح. فشجرة الصفصاف هي شجرة عقيمة أو بالأحرى شجرة ثمارها ضارة كما قال أحد شعراء اليونان¹²⁷. ظلت إذن آلات الأناشيد بغير استخدام، وفي صراخهم تساءلوا: "كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة"¹²⁸؟ وعندما نقل لهم باروخ كلمات إرميا بكوا، إذ يقول: "فبكوا وصاموا وصلوا أمام الرب. وجمعوا من الفضة قدر ما استطاعت يد كل واحد. وبعثوا إلى أورشليم إلى يواقيم بن حلقيا بن شكوم الكاهن وإلى الكهنة وإلى جميع الشعب الذين معه في أورشليم"¹²⁹. وبعد ذلك يقول: "وقالوا إنا قد أرسلنا إليكم فضة فابتاعوا بالفضة محرقات وذبائح للخطية ولبناناً واصنعوا تقدمات وقدموها على مذبح الرب إلهنا"¹³⁰. لقد ظنوا أنه لا يليق بهم أن يذبحوا، طالما هم خارج الأرض المقدسة ولا هم تحت سلطان الله. حيث كانوا تحت نير وسلطان شخص آخر طاغى. لذلك أسندوا العبادة لهؤلاء الذين كانوا يسكنون في أورشليم، إذ كان يليق بهؤلاء مثل هذه العبادات المقدسة، وفي هذا كانوا يفكرون تفكيراً سليماً فيما هو واجب، ويفعلوه. دانيال الحكيم وهو يدرس الكتب المقدسة، مع أنه كان أسيراً معهم، لكنه حاول مع آخرين أن يخفف عنهم هذه الحالة الصعبة. وكيف فعل ذلك؟ إنه صلى ثلاث مرات في اليوم. وإذا كانت الكوة مفتوحة تجاه أورشليم في العلية حيث كان يصلي، كما هو مكتوب¹³¹، حينئذٍ ظن أن صلاته ستكون مقبولة أمام الله، طالما أنه ابتعد عن الأرض الغريبة والمكروهة، وإن كان ليس بالجسد، أى ابتعد على الأقل بذهنه، وبأعين النفس، ناظراً نحو تلك الأرض المحبوبة إلى الله، ومتقدماً - وكأنه بطريقة ما - داخل الهيكل المقدس نفسه، لكي يقدم صلاته.

بلاديسوس: في الواقع كان حديثنا ممتعاً للغاية.

انتهى الجزء الأول، والآن الجزء الثاني من الكتاب

¹²⁴ هوميروس: الأوديسا 20

¹²⁵ مز 136:4

¹²⁶ باروخ 1:75

¹²⁷ باروخ 1:10

¹²⁸ دانيال 6:1



مؤسسة القدّيس أنطونيوس

المركز الأرثوذكسي

للدراستات الباستية

بالقاهرة

نصوص أبائية - 61

السجود والعبادة بالروح والحق

للقدّيس كيرلس الأسكندري

(المقالتان الثانية والثالثة)

ترجمة

الباحث جورج عوض

يوليو 2002م

مراجعة لجنة المراجعة بالمركز

أيقونة الغلاف:

أيقونة القدّيس كيرلس عمود الدين بالمقر البابوي بالأنتبا رويس بالعباسية للفنان د. إيزاك فانوس، تصوير دير مار مينا بصحراء مريوط، القس أنجيلوس أفا مينا.

- اسم الكتاب : السجود والعبادة بالروح والحق - المقالان الثانية والثالثة
- اسم المؤلف : القديس كيرلس الأسكندري (عمود الدين)
- اسم المترجم : الباحث جورج عوض إبراهيم
- الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة:
8 (ب) ش إسماعيل الفلكي - الدور الأول محطة المحكمة مصر
الجديدة ت: 2414023
- E-Mail: santonio@link.net
- اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة
- 2 ش المدارس حدائق القبة ت: 4823578 - 4827074
- رقم الإيداع : 17423 لسنة 2001

www.orthodoxonline.org

مقدمة

هذه هي الحلقة الثانية من سلسلة "السجود والعبادة بالروح والحق" للقدّيس كيرلس الأسكندري؛ وتحتوي الجزأين الثاني والثالث.

ويتحدث القدّيس كيرلس في هذين الجزأين عن :

“ التدبير بواسطة نعمة المسيح ”

ونرجو الرجوع إلى المقدمة العامة عن كتاب " السجود والعبادة بالروح والحق " في الجزء الأول.

وكان المركز قد نشر الجزء الأول من هذه السلسلة في شهر ديسمبر سنة 2001. وسيوالي المركز نشر بقية الأجزاء تبعاً.

ليبارك الرب في هذه الكتابات لبنيان كنيسته ولمجد اسمه القدوس بصلوات جميع القدّيسين، وصلوات قداسة البابا الأنبا شنودة الثالث،

ولإلهنا كل مجد وتسبيح وسجود الآن وإلى الأبد آمين،

المركز الأرثوذكسي

3 أبيب 1718 ش

للدراستات الآبائية

10 يوليو 2002 م

بالقاهرة

تذكّار نياحة القدّيس كيرلس الأسكندري

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية
بالقاهرة

نصوص أبائية - 61

السجود والعبادة بالروح والحق

(المقالتان الثانية والثالثة)

للقدیس کیرلس الأسکندری

(عمود الدين)

كتابات الآباء التي صدرت

38-1 ، 4341 ، 45 ، 48 ، 49 ، 52 ، 53 : نصوص للآباء صدرت ونفدت .

- 39 : رسائل القديس كيرلس (الجزء الرابع) من 50 . إلخ
- 40 : تفسير الرسالة الثانية إلى تيموثيوس . للقديس يوحنا ذهبي الفم .
- 44 : رسائل القديس أنطونيوس ج2 (طبعة ثانية لرقم 10) .
- 46 : رسالة اكليمنديس الروماني إلى الكورنثيين .
- 47 : المسيح في رسائل القديس أناسيوس (طبعة ثانية منقحة لرقم 13) .
- 50 : عظات القديس مقاريوس الكبير . طبعة ثالثة منقحة
- 51 : شرح إنجيل يوحنا . الجزء الرابع . للقديس كيرلس الأسكندري
- 54 : صعود المسيح . لغريغوريوس النيسى ، يوحنا ذهبي الفم ، بولس البوشي
- 55 : المقالة الرابعة ضد الآريوسيين .
- 56 : رسائل القديس كيرلس الأسكندري إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي (طبعة ثانية)
- 57 : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الخامس) . للقديس كيرلس الأسكندري
- 58 : السجود والعبادة بالروح والحق . المقالة الأولى . للقديس كيرلس الأسكندري
- 59 : الظهور الإلهي (الإيقانيا) : (معمودية المسيح) . للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 2/60 : صوم المسيح وتجربته في البرية . للقديس كيرلس الأسكندري
- 3/60 : مثل الابن الضال . للقديس كيرلس الأسكندري
- 4/60 : لقاء المسيح مع السامرية . للقديس كيرلس الأسكندري
- 5/60 : شفاء مريض بركة بيت حسدا . للقديس كيرلس الأسكندري
- 6/60 : شفاء المولود أعمى . للقديس كيرلس الأسكندري
- 7/60 : دخول المسيح أورشليم (أحد الشعانين) . للقديس كيرلس الأسكندري
- 61 : السجود والعبادة بالروح والحق . المقالتان الثانية والثالثة . القديس كيرلس الأسكندري

يُطلب هذا الكتاب من :

> المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت : 2414023 .

> بيت التكريس ت : 4836389 .

> ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة : جنيه ونصف

المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

السجود والعبادة بالروح والحق (المقالتان الثانية والثالثة)

القدّيس كيرلس الأسكندري

يوليو 2002

www.orthodoxonline.org

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة الثانية

إنه من المستحيل أن يهرب أحد من الموت الذي تسببه الخطية

ولا من سلطان الشيطان الطاغية، سوى بالتقديس بحب المسيح،

وأن التبرير ليس بالناموس ولكن بالمسيح

من المفيد يا بلاديوس أن يبتعد المرء بإرادته، عن ذلك الأمر الضار بطبيعته، وأن يقترب من عبادة الله، هذا قد تبرهن لنا بحديث مستفيض.

بلاديوس: نعم بالتأكيد.

كيرلس: من ثم يجب علينا ونحن نبتعد عن الأمور المشينة، أن نتطلع وبكافة الطرق إلى الأمور الحسنة والمقبولة، وقد برهننا على ذلك بطريقة فائقة.

بلاديوس: بلا شك.

كيرلس: هكذا، وإذ نحن ننبذ شهوة العالم والاضطرابات والإزعاجات التي تنثيرها فينا، يجب أن نسرع في تقديم ذبيحة إلى الله، وباستعداد ذهني يقودنا إلى البرية أى إلى حياة الوحدة والسكينة لنمارس عبادة نقية طاهرة بلا لوم ومقبولة لديه.

بلاديوس: نعم هذا ما قلناه.

كيرلس: ليس هذا فقط، فبينما الشيطان، يستبد بنا ويطغى علينا بسطوته ويأسرنا فى سلطانه وتحت قيوده، فالناموس الإلهي يدعونا إلى مرتبة الحرية، ويصد عنا عداوته المضادة، حاثًا إيانا على ممارسة أعمال الفضيلة بآلاف الأمثلة.

بلاديوس: حقيقة.

كيرلس: إذن، فإن الله هو مانح الخلاص وهو سبب سعادتنا، إذ أظهر لنا طريق التقرب إليه بالمسيح الوسيط. أليس واضحًا جدًا أن وساطة موسى تُعتبر نموذجًا ومثالاً لوساطة المسيح؟

بلاديوس: بأية طريقة.

كيرلس: إن موسى النبي كلّم الله قد حرّر الإسرائيليين من العبودية الجسدية، وأعتقهم من متاعب صناعة الطوب ومن مشقات الزراعة، وكان حقًا وسيطًا بين الله والناس، إذ نقل إليهم الأقوال السماوية.

هكذا ربنا يسوع المسيح مكملًا بالحقيقة كل ما كان مثلاً وظلاً، قد انتشلنا من العبودية العقلية، وأبعدنا عنا الخطية التي قد فُرِضت سطوتها علينا قديماً وسحق مملكة الشيطان، جاعلاً كل الذين يتبعونه تابعين له عن إيمان، ويتركون الاهتمامات الأرضية والانشغالات الجسدية، ووضع فينا من جديد محبة الفضيلة، وجعل إرادة إلها وأبينا معروفة وواضحة لنا، فهو قد قال "الكلام الذي أكلمكم به ليس لي بل للذي أرسلني" ¹³²، وأيضاً "لأنني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم" ¹³³. وبالتأكيد فإن موسى، إذ كان هو نفسه صورة لوساطة المسيح ومثال لها، قال للإسرائيليين "يقيم لك الرب إلهك نبياً من بين اخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع" ¹³⁴. وإن كانت قوة وساطة موسى قد أعلنت بالأمثال والصور، فهذه كانت إشارة سرية لقوة وساطة المسيح. فبينما كان موسى خادماً للناموس وللظل، ووسيطاً للشرائع السماوية، كان المسيح، كرب الشريعة والأنبياء يشرع كل ما يراه ضرورياً، والوسيط الذي في شخصه الواحد يتحد اللاهوت والانسوت. إذ هو في الوقت نفسه الإله الكامل والإنسان الكامل معاً. "وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به. وأما المسيح فكان على بيته وبيته نحن" ¹³⁵. نحن الذين بالإيمان به قد قادنا إلى الحرية الحقيقية. هكذا نصل إلى أن موسى كان وسيطاً للحرية الجسدية، وللحرف وللظل والمفسر للأمور الإلهية، بينما كان ربنا يسوع المسيح هو المعلم للأمور الأسمى من الناموس، أى الحرية الروحية. لذا قال بوضوح للإسرائيليين الذين كانوا في الحرية الجسدية "إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم" ¹³⁶. وأيضاً "إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" ¹³⁷.

بلاديسوس: قد تكلمت بالصواب تماماً.

كيرلس: إن افتخارنا إذن، لا يكون لأجل أمور جسدية برّاقة، بل لأجل أمور روحية وأعمال الفضيلة في المسيح، وليس قط لأعمال الناموس. لأنه طالما المرء مازال تحت سلطة الخطية فهو عبد، والناموس لن يبرره مطلقاً، لكن بالأحرى يدينه بذنبه وعصيانته، إذاً كيف لا يكون واضحاً للجميع أن كل تبرير، يصير بالإيمان بالمسيح والكمال الروحي يكتمل بالتقديس بواسطته وبه!!

لذلك يكتب بولس الكلى الحكمة "لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص، لكل من يؤمن لليهودى أولاً ثم لليونانى. لأن فيه مُعلن بر الله بإيمان، كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا" ¹³⁸. وأيضاً أعلن ضعف الناموس القديم وعدم وضوحه بقوله: "لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون" ¹³⁹. ولذا ففي المسيح وحده، نجد التبرير بواسطة

¹ يو 16: 24

² يو 12: 49

³ تث 18: 15-16

⁴ عب 3: 5-6

⁵ يو 8: 31-32

⁶ يو 8: 34-36

⁷ رو 16: 17-17

⁸ رو 17: 1 + 5: 10

الإيمان والتحرر من العبودية الذهنية.

بلاديس: أى أن الناموس هو عديم الفائدة؟

كيرلس: لا أعنى هذا. لأنه لم يُشرع عبثاً، بل بالتأكيد أنه قد أُعطى "للمساعدة" كما هو مكتوب. فإن كان الناموس هو للتعليم والتأديب على الخطية وأيضاً من أجل الاحتياج لاستلام الأساسيات عن بداءة أقوال الله، فكيف إذا لا نعتبره مفيداً؟! لكنه عاجز من جهة التطهير من الخطية ومن جهة تتميم القداسة. لذلك قال بولس العظيم "نحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين في الناموس لكى يستند كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله، لأنه بأعمال الناموس كل نبي جسد لا يتبرر أمامه لأن بالناموس معرفة الخطية"¹⁴⁰. إذا الناموس إذ يُظهر الخطية، لا يكون سبباً للافتخار بالفضيلة، بمعنى أنه عندما يقول الناموس "لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور"¹⁴¹، وأى شئ آخر يرتبط بهذه الوصايا ويُظهر لنا فقط أنواع الدناءات ويحذرننا من الأمور النجسة، لكنه لا يخبرنا عن الفضيلة ولا يكشف للسامعين معرفة الحياة الحقيقية لأنه في مجال اكتساب الفضائل يكون من الجهل الاكتفاء فقط بالكتابة ضد الأمور الشريرة. وأظن عندئذٍ أنه ينبغي لنا أن نختار بكل يقين كل ما يستحق الثناء بالتأكيد، وهذا منطقي جداً، إذ ونحن نهجر الشر وندفعه بعيداً تاركين كل ما هو ليس نقياً من الغش والدنس المقرّر، فإننا نرتفع إلى الأمور التي هي نفسها الفضيلة الجديرة بالافتخار. لذلك يقول ربنا يسوع المسيح "الحق الحق أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتب والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات"¹⁴². إذا فإننا نعرف أن المخلص أمرنا أن نُفضل البر الذي يزيد على الناموس. ويكتب بولس الحكيم قائلاً بأن الوصية هي فائقة جداً: "إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى. من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس فريسي. من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة البر في الناموس بلا لوم. لكن ما كان لي رباً فهذا قد حسبته أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأجد فيه وليس لى برى الذى في الناموس بل الذى بإيمان المسيح"¹⁴³.

بلاديس: لقد أدركت هذا، لأن قولك واضح. ولكن قل لى، ألم يكن حسناً أن يُشرع لنا من البداية بتبريرنا بالإيمان وتقديسنا به، طالما أن الناموس القديم لم يكن كافياً لتكميلنا؟

كيرلس: يا صديقى، لا يمكن أن أوافقك على هذا، لأنه بالطبع فإن الذى كان متسخاً قد غُسل وتطهر الذى كان ملوثاً واستضاء الذى كان مظلماً. فكان يجب وفقاً لقول المخلص أن يُشفى العضو المريض، وأن يُدعى للتوبة ليس كل الذين تقدسوا فقط بل وأيضاً أولئك الذين أُعتبروا نجسين بسبب خطاياهم¹⁴⁴. ألم يكن من الواجب أن يدان أولاً كل الذين وجدوا في خطر بسبب ضعفهم، لكى نرى فيما بعد كيف

⁹ رو 20:19-3

¹⁰ خر 15:20

¹¹ مت 20:5

¹² فيلبي 9:4:3

¹³ مت 12:9

أنهم افتدوا بالشفاء من الخطية؟

إذاً كان يجب أن يكون الناموس أولاً وهو الذى يحدّد هول الخطية ويرصدها وهو مشتكى قاسى على ضعفنا البشرى، وذلك حتى لا نخطئ في معرفة عظمة السماحة الإلهية التى أُعطيت لنا بواسطة المسيح. إذ كيف تُعطى عطية الغفران إن لم تكن هناك أعمال شريرة قبلها؟! وإذا كان يجب أن نرجع بإيجاز إلى بعض ما جاء فى القديم، سأقول أيضاً إن الله وعد ابرآم بالنعمة بواسطة الإيمان ووهب له، كأول أولئك الذين قد رُجموا، بسبب صلاحه، أن يسبق الغفران الناموس. لأن الكتاب يقول: "فأمن إبراهيم بالله فحسب له برّاً"¹⁴⁵، ويضيف بولس تأكّيده هذا "فكيف حُسب أو هو في الختان أم في الغرلة ليس في الختان بل في الغرلة وأخذ علامة الختان ختمًا لبر الإيمان الذى كان وهو في الغرلة"¹⁴⁶.

استمع إلى الله الذى يقول بوضوح "وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض"¹⁴⁷، "فيك أو بك". و"فيك" تعنى نفس معنى "بك". وهذا ما يعنيه بولس عندما يقول: "والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم سبق فبشّر إبراهيم أن فيك (بك) تتبارك جميع الأمم. إذا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن"¹⁴⁸.

إذاً الختان هو علامة الإيمان وذلك فى الفترة التى كانت قبل الختان، ولا يتبرر أحد بأعمال الناموس، وأما الإيمان تظهر أنها أسمى من الختان الجسدى، لأن إبراهيم دُعى خليل الله.

بلاديس: إذن اسمح لى أن أعرض أفكارى: ما معنى تأخر التقديس بواسطة الإيمان، ولأى سبب قد أعطيت العلامة (الختان) فى فترة سابقة، (والإيمان) الأكثر أهمية فى فترة لاحقة؟

كيرلس: ألم نقل من قبل، إنه كان عملاً يستحق الإعجاب، وكل حكيم إنما يُعبر عن هذا الإعجاب. إن هذه الفترة التى سبقت ظهور الناموس كانت تتميز بالإيمان الذى يبرّر؟ ألا يضىء النور فى الظلمة¹⁴⁹، والقوة ألا تظهر كاملة حيث يوجد الضعف¹⁵⁰ وفقاً لما هو مكتوب؟

بلاديس: أنت تتنطق بالحق.

كيرلس: إذن، فالناموس أُعطى، لكى يظهر الخطأ. لأنه حيث لا يوجد ناموس لا توجد مخالفة. وكيف يستطيع أحد أن يرى الغفران من العصيان واللامبالاة التى تنتج عنه، لو لم يُحكم علينا بالناموس؟ وهذا الذى أقوله هو حق وليس فيه تناقض أو عدم توافق وهو ما يؤكده بولس حين يقول: "

¹⁴ تك 15: 6. رو 3: 4

¹⁵ رو 10: 4-11

¹⁶ تك 12: 3

¹⁷ غلا 3: 8-9

¹⁸ يو 1: 5

¹⁹ 2كو 12: 9

فلماذا الناموس. قد زيد بسبب التعدييات إلى أن يأتي النسل الذي وُعد له مُرتبًا بملائكة في يد وسيط¹⁵¹. حقًا هو حكيم جدًا. إذ يبرهن مسبقًا لكي يقطع المبررات والشكوك التي سوف يقدمها البعض. لأنه كان من الطبيعي أن يشتكى البعض من تأخر التبرير بالإيمان وأن يقولوا إن تدخل الناموس صار لكي يُبطل الوعد الأول (القديم). لهذا يقول "فهل الناموس ضد مواعيد الله. حاشا لأنه لو أُعطى ناموس قادر أن يُحيى لكان بالحقيقة البر بالناموس، لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون، ولكن قبلما جاء الإيمان كُنا محروسين تحت الناموس مغلقًا علينا إلى الإيمان العتيق أن يُعلن. إذا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدبٍ. لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع"¹⁵². ولكي يُزيل هذه الحيرة تمامًا يضيف "وإنما أقول هذا أن الناموس الذي صار بعد أربع مئة وثلاثين سنة لا ينسخ عهدًا قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد، لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضًا من موعدي. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعدي"¹⁵³.

فالناموس نحفظه لنا من الخطية كمرى يقودنا إلى المسيح، لأن غاية الناموس والأنبياء هي المسيح. لهذا قال لجموع اليهود الذين لم يؤمنوا به: "لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنكم تصدقونني لأنه هو كتب عني"¹⁵⁴. إذن، فإن تبريرنا لم يأت من أعمال الناموس، بل من إيماننا بالمسيح. لأنه يقول "لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا. ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. المسيح اقتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلق على خشبة لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح"¹⁵⁵.

بلاديس: لكن أتريد، يا عزيزي، إذا وافقت، أن نذهب إلى أمر آخر مفيد لإيماننا في المسيح؟ لأنه يكفي كل ما قلناه عن الناموس وتدبيره.

كيرلس: إذن اخبرني ماذا ترغب، وإلا سيكون صعبًا عليّ أن أتكلم.

بلاديس: إنه ليس صعبًا بالمرّة، وهو أمر وارد لأن كل ما أطلبه يمكن أن نبلغه وبسهولة ويسر عندما يلقي المسيح في داخلنا بغنى نوره الإلهي، ألا نُكرم الله مقدمين له ذبائح غير دموية، نحن كلنا الذين قبلنا تبريرنا بالإيمان ورفضنا عبادة الأشكال والظلال؟

كيرلس: تكلمت بالصواب، لأنه مكتوب "أكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلاتك"¹⁵⁶ "لأنه

²⁰ غلا 19:3

²¹ غلا 26-21:3

²² غلا 18-17:3

²³ يو 46:5

²⁴ غلا 14-10:3

²⁵ أم. 9:3

بمثل هذه التقديمات يُسر الله " 157 وفقاً لكلام القديسين.

بلاديسوس: إنه من الغباء إذن الاعتناء بذبائح الثيران وإتمام كل ما تطلب الوصية القديمة أن نقدمه، طالما ذبح الخراف وتقديم البخور مع الفطير والدقيق بالزيت، واليمام والحمام، هي من الأمور الخاصة بعبادة ذاك العصر. لكن أخبرني، لماذا لم تكن هذه الأمور (التقديمات الروحية) جديرة بالقبول من البداية، بينما يُشرع الله الآن بوضوح كل ما يسره، ويكشف لنا طرق الذبيحة الروحية؟.

كيرلس: بناء على ذلك، هل تظن وتتجرأ أن تقول، إن الله لم يفكر بالصواب في البداية، وكان بطريقة ما قد أخفق من جهة الصلاح الكامل، والآن فقد استطاع أن يجد الأحسن؟ أم هل فضل عندئذ كل ما كان بالطبع في الظل، لأنه بحسب رأيه ربما كانت هذه الأمور مستمرة وثابتة، ثم بقصد أو "بنية" ما (أجرى) هذا التحديث الذي أتى إلينا، إذ حوّل الدعوة فيما بعد لأمر أخرى، وأعطانا عبادة جديدة، والتي بحسب رأيه لم تكن ضرورية في القديم؟

بلاديسوس: لا بالطبع لأن هذا مجرد ثرثرة وبالحرى لم يخطر على بالي فكرة أن الله يمكن أن يفعل خطأ. ولو كان صغير جداً حاشا لله. لكن كنت أريد أن أعرف، ما الأسباب التي دعت الله أن يشرع تلك الأمور في ذلك الوقت للبشر الذين على الأرض، وكذلك هذه الأمور هي السارية علينا الآن.

كيرلس: قولك هذا يجعلنا مضطرين أن نعود إلى الأمور السابقة. ربما لم أقل لك؛ إن الناموس كان مربياً، أي كان المعلم لهؤلاء الذين كانوا لا يزالون أطفالاً، وأعلن في لغز لهؤلاء الذين لم يستطيعوا بعد أن يفهموا ما هو الصلاح الحقيقي، وما هي إرادة الله وما هو أيضاً المرضى والكامل عند الله، وكل ما فعله كان واضحاً وبأمثلة محسوسة؟ ستتعلم إذن، نعم ستتعلم، وليس بجهد كثير، لأن طريق العبادة الروحية كان من البداية، وما زال أمراً مرغوباً فيه جداً لدى الله. ولكنه كان صعب المنال لنفوس اليهود وما زال بعيداً عن تناول أيديهم. لأنه كانت الحاجة إلى كلمة مناسبة للأطفال ودروس بسيطة، وتدبير تربوي هادف لهم بدون أية صعوبة أو مشقة، لذلك قد شرع الله قديماً بأمثلة، ولكن أيضاً سبق وأعلن أن العبادة الحقيقية ستأتي في وقتها وتحقق، ولذا رفض الذبائح الدموية واكتفى بالظلال، وتصدى لها بواسطة النبي عاموس عندما قال "بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم. إني إذا قدّمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها. أبعد عني أغانيك ونعمة ربائك لا أسمع"¹⁵⁸. وأيضاً بواسطة ميخا النبي الرجل الذي يرغب أن يتعلم بأية طريقة سوف يتحقق الصلاح إذ يقول: "بِمَ أتقدم إلى الرب وأنحني للإله العلى. هل أتقدم بمحركات بعجول أبناء سنة. هل يُسر الرب بألوف الكباش ببربوات أنهار زيت، هل أعطى بكرى عن معصية ثمرة جسد عن خطية نفسى"¹⁵⁹ وفيما بعد يضيف الآيات التي ترتبط بما سبق وتعتبر امتداداً لها "قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع

²⁶ عب 13:16

²⁷ عا 21:23-21

²⁸ ميخا 6:7-6

ثم أليس هذا ما أوضحه المسيح عندما قال "إن أراد أحد أن يأتي ورأى فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"¹⁶¹، وأيضاً "إن كان أحد يخدمني فليتبعنني وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي"¹⁶². فالعبادة التي بحسب المسيح، ليست ناموسية بل هي عبادة مقدسة وروحية.

بلاديوس: لقد تكلمت بالصواب حقاً.

كيرلس: وأيضاً يوبخ الإسرائيليين بواسطة إشعياء بأكثر حدة، قائلاً "اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم. أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة. لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسرُّ. حينما تأتون لتظهروا أمامي من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل، لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليّ ثقلاً"¹⁶³. ومن خلال النبي ملاخي يقول أيضاً نفس الأمر ولأناس ممقوتين جداً ويتذكر الأزمنة التي فيها سيقدم له كل سكان الأرض الذبيحة العقلية، وغير الدموية، والفائقة إذ قال أيضاً الآتي "ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يديكم. لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم وفي كل مكان يُقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود"¹⁶⁴. أعرفت إذن أنه يقول كيف سيقدم له بخور وذبيحة نقية من كل الأمم. وكما دُعي العهد بواسطة المسيح "جديداً"، هكذا ظهر الأول أنه قديم، وهذا ما كتبه لنا بولس العظيم هنا في (عب 13:8) قائلاً "ذبيحة طاهرة" سوف تقدم في وقتها من كل أمة، تدين القديمة التي لم تقدم هكذا. إذ كيف ستكون طاهرة هذه (الذبيحة القديمة) التي لا تُظهر ولا تملك قوة التكمّل في الفضيلة؟ لذلك يقول أيضاً الطوباوي بولس، فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب، لما كانت هناك ضرورة لدخول عهد المسيح وطلب موضع لثانٍ (أنظر عب 7:8).

بلاديوس: إذن بناء على ذلك، فالعبادة بالظلال كانت تماماً خارج إرادة الله كُليّ القداسة؟

كيرلس: بالتأكيد تماماً. ويمكننا أن نسمع ما يقوله (الله) بوضوح للإسرائيليين بعم إرميا "هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. ضُموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً. لأنني لم أكلم آبائكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة. بل أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً اسمعوا صوتي"¹⁶⁵. طبعاً فيما يتعلق، بالإرادة التامة للمشرع، فعلى الرغم من أنه أعطى من البداية ناموس الظل إلا أن العبادة الروحية لم تكن صامتة؛ لكن لأن الأمر عندئذ كان ثقيلاً ولم يكن سهلاً لهؤلاء أن يساعدكم

²⁹ ميخا 8:6

³⁰ مت 24:16

³¹ يو 26:12

³² إش 14:10

³³ ملا 11:10

³⁴ إرميا 23-21:7

على تحقيق الصلاح الكامل؛ وأقول بل كان قاسياً وغير محتمل، لهذا قد فُرضَ الناموس المكتوب كتهذيب مناسب للأطفال، وهو الذى أخذ شكل الحقيقة بحسب التدبير. لكن فضلاً عن ذلك أعلن المشرع (واضع الناموس) لنا بوضوح أنه لم يكن هذا الأمر هو الذى فرّح نفسه كثيراً جداً، لكن تطلعاته الكثيرة قد أعطيت لنا في المسيح فيما بعد. ولهذا قال أيضاً: "لذلك أقرضهم بالأنبياء أقتلهم بأقوال فمى والقضاء عليك كنور قد خرج. إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات" ¹⁶⁶. لأن المحبة نحو الاخوة والتي تكمل الناموس وتقود إلى المعرفة الفائقة للمسيح، هي عند الله أفضل بكثير جداً من ذبائح العجول والخراف. بواسطة هذه المحبة أيضاً يمكن أن يصير الآب نفسه معروفاً لنا، وهذا الأمر (معرفة الله الآب) هو سبب الحياة الأبدية. ولا توجد أى وسيلة أخرى لهذه الحياة، وذلك كما يقول المسيح لأبيه السماوى "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته" ¹⁶⁷. وحيث إن الحقيقة لا تكذب بتاتاً بأية طريقة، فهل يكون هنا مجال للشك؟

بلاديسوس: بالطبع لا يوجد.

كيرلس: ومن حيث إن الإسرائيليين ابتعدوا عنه، إذ رفضوا الإيمان وهكذا لم يعرفوا الإله، لذا يقول بالصواب جداً، إنهم سوف لا يرجعون إلى الحالة الأولى بأية طريقة أخرى، إلا فقط بواسطة المسيح الذى أبطل فرائض الناموس. لأنه أيضاً قد كتب "إن بنى إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم. وبعد ذلك يعود بنى إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام" ¹⁶⁸. أى عندما تدخل جموع الأمم، عندئذٍ سيخلص الإسرائيليون بواسطة الإيمان بالمسيح. هنا يذكر أن المسيح يأتى من نسل وسبط داود. ويؤكد بوضوح بعمق يوثيل أن ذبائح الناموس سوف تُبطل إذ قال: "تنطقوا ونوحوا أيها الكهنة ولولوا يا خدام المذبح. ادخلوا بيتوا بالمسوح يا خدام إلهي لأنه قد امتنع عن بيت إلهكم التقدمة والسكيب" ¹⁶⁹. وأيضاً بواسطة النبي نفسه يقول: "انقطعت التقدمة والسكيب من بيت الرب. ناحت الكهنة خدام الرب" ¹⁷⁰. وبخلاف ذلك قد وعد أن خيمة الشهادة نفسها ستختفى من الوسط إذ قال: "ويكون إذ تكثرون وتثمرون في الأرض في تلك الأيام يقول الرب إنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بال ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يُصنع بعد" ¹⁷¹. فطالما أن الذبيحة الشكلية أى الذبيحة الدموية قد تغيرت تماماً، كان لابد من الضرورى أن تُستبعد الخيمة نفسها، إذ أن الحقيقة أى الكنيسة قد بُنيت، وهى التى قال عنها المسيح: "هنا أسكن لأنى اشتيتها" ¹⁷². فطريقة العبادة سوف تتقدم وتتغير نحو الأفضل، أى نحو العبادة الجديدة، عبادة المسيح. وهذا يتضح مما كتبه ملاخى عن الله قائلاً "فيجلس مُحصاً ومنقياً للفضة فينقى بنى لاوى ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مُقربين للرب تقدمة للبر.

³⁵ هوشع 6:5-6

³⁶ يو 3:17

³⁷ هوشع 5:4-3

³⁸ يوثيل 13:1

³⁹ يوثيل 9:1

⁴⁰ إرميا 16:3

⁴¹ مز 14:132

فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم مرضية للرب كما في أيام القدم وكما في السنين القديمة”¹⁷³. يمكنك أن تدرك إذن كيف يقول إنه سيصير- بطريقة ما - تنقية وإعادة خلق من جديد للكهنوت وللذبايح معًا.

بلادديوس: نعم.

كيرلس: فالتعبيرات الكتابية: “سوف أصفى” و “سوف أنقى” التي تقال على الذهب والصائغ، ألا تقود تفكيرنا إلى هذه المفاهيم؟

بلادديوس: بالتأكيد.

كيرلس: وبالطبع هذا الأمر صار من الممكن تحقيقه بتأنس الكلمة، وقد أكد لنا الله ذلك عندما قال: “ويأتى بعتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تُسرّون به هوذا يأتى قال رب الجنود. ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره، لأنه مثل نار المحمص ومثل أشنان القصار، فيجلس محصًا ومنقّيًا للفضة”¹⁷⁴. أى يقول إنه سيصير إعادة خلق وتجديد للكهنوت، ويظهر أن طريقة العبادة، ليست سوى سر المسيح. قال أيضًا بصوت حزقيال لهؤلاء الذين قد دُعوا للكهنوت: “هم يتقدمون إلى ليخدموننى ويقفون أمامى ليقربوا لى الشحم والدم يقول السيد الرب، هم يدخلون مقدسى ويتقدمون إلى مائدتى ليخدمونى”¹⁷⁵. وبالتالي ألا يمكننا أن نقول إن الشحم والدم وخدمات المائدة تشير إلى سر المسيح؟

بلادديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: لكن الله أعلن لنا أن الطريقة التي سيتم بموجبها التجديد تعبر عن مسيرة الكل نحو الأفضل، إذ قال “يكون في اليوم الثامن فصاعدًا أن الكهنة يعملون على المذبح محرقاتكم وذبايحكم السلامية فأرضى عنكم يقول السيد الرب”¹⁷⁶. إنه يدعو اليوم الثامن زمن قيامة المخلص والذي فيه ستصير المحرقات أى تقدمة العطايا الروحية مقبولة لدى الله، وأعنى التكريس التام والكامل لله من أولئك الذين آمنوا. وهذا ما يُعلمه بولس العظيم كاتبًا “فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه”¹⁷⁷ وأيضًا يقول “ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبايح مثل هذه يُسر الله”¹⁷⁸. أى ثمار إذن يمكن أن نقدمها لله، نحن الذين قد تبررنا بالإيمان، إلا التمجيد الدائم والتسبيح المتواصل؟ وأية تقدمة أخرى نفية نقدمها إلا الرائحة الذكية الفائقة للحياة التي بلا لوم؟

بلادديوس: إن هذا القول حسن جدًا، وحقًا لن يتبرر شخص ما بالناموس، لكن بالحرى بالإيمان بالمسيح والسرائر الإنجيلية. لكني رغبت أن يتقدم نقاشنا بأمثلة واضحة، وأن نتعلم من التعاليم المقدسة نفسها.

¹⁷³ ملا 4:3

¹⁷⁴ ملا 3:1

¹⁷⁵ حز 16:15-44

¹⁷⁶ حز 27:43

¹⁷⁷ عب 15:13

¹⁷⁸ عب 16:13

كيرلس: إذن، يا عزيزي، سأقدم لهذا باستعداد جيد، طالما أنت تريد ذلك وافحص أنت أيضًا المعنى الدقيق لأي قول أقوله ولو شككت أن شيئًا ما لم أقصده أو لم أقله بالصواب، فلتصححه بانتباه وتحدده بوضوح، متشبهًا بالبنائين الحكماء، الذين إذا انحرفوا عن خطتهم يعدّلونها بإتقان، لتصل إلى ما يعتبرونه حسنًا جدًا. وكبداية لكلامنا سنشرع في تفسير موسى القديس عارضين بإيجاز قصته، وسأحاول أن أخبرك وأظهر لك بوضوح أن الناموس لم يُكمل أحد إطلاقًا، ولا كان يكفي للخلاص، لأن المسيح هو فادى ومخلص الجميع.

بلاديس: ما تقدمه ليس قليل قليل النفع، إذ أظهرت أنك أسمى من أى بلادة أو خمول، لأن هذه الأمور التى تشغلنا، تُفهم بصعوبة شديدة، وبصعوبة أيضًا نستطيع أن نصل إلى معرفة كل ما نناقشه، لكن الله الغنى سوف يكشفها لنا.

كيرلس: بالصواب تتكلم والحديث الآن يقودنى - تشبهًا بالكائنات التى لها حاسة شم قوية - أن أتبع آثار المعانى العميقة وغير الظاهرة. ففى وقت ما فى البرية، فى أرض مديان، بينما كان الطوباوى موسى يرعى قطيعًا من الأغنام على سفوح جبل حوريب، أظهر الله أمامه أمرًا غريبًا وعجيبًا جدًا لأنه مكتوب "وظهر له ملاك الرب بلهب نار فى وسط عُلَيْقَةٍ، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق، فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة" ¹⁷⁹.

العُلَيْقَةُ ليست نباتًا من الأنواع المألوفة، ولكن هى على الأغلب نوع من الأشواك والجذور (الوعرة) التى تنبت على الجبل، حيث تمت المعجزة الرهيبة والتى هى كمثل تشير حقًا إلى السر. والمعجزة رهيبة لأن الملاك الذى كان فى شكل نار قد ألهم كل العليقة. ولكن فعل النار لم يصب النبات بأى ضرر، كما لو كانت النار غير موجودة، ولا يستطيع أحد أن يدعى أن العليقة قد تأثرت بفعل النار على الإطلاق.

بلاديس: ماذا يعنى هذا الذى حدث؟

كيرلس: إن الإسرائيليين قد صاروا مثل شجرة برية لم يكن بها ثمار البر الأليفة لأنهم قد تغذوا بنواميس المصريين. فالناموس الذى كان من المنتظر أن يُعطى لهم بواسطة الملائكة، كان يمكن بالتأكيد أن يضىء لهم، لو تم التعامل معه روحياً، وأن يطرد ظلمة العقل، لأن هذا هو أيضاً فعل النار. لكن على عكس ذلك، كان عديم النفع لأولئك الذين قبلوه. ولم تكن هذه هى مسئولية الناموس بأى حال من الأحوال، لكن هى مسئولية أولئك الذين لم يقبلوا النور فى عقولهم وقلوبهم إذ اكتفوا خارجيًا بحروف الناموس، معتبرين إياها استنارة، ولذلك ظنوا أنهم أخذوا ما فى الناموس، بينما فى الحقيقة هم لم يأخذوا شيئًا. ولهذا فالنار التى أشعلت العليقة، ولم تؤثر عليها أى تأثير حرارى، أعتقد أنها تعلن لنا شيئًا مثل هذا الذى أقوله. وكون أن النور قد صار عديم النفع لليهود، فهذا ما يوضحه المخلص بنفسه عندما يقول: "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهى التى تشهد لى ولا تريدون أن تأتوا

إِلَيَّ لَتَكُون لَكُمْ حَيَاة“¹⁸⁰. وبعد ذلك بقليل يقول أيضًا لمعلمي اليهود ولكل الشعب ” لا تظنوا أنني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني، فإن كنتم لستم تصدقون كُتِبَ ذاك فكيف تصدقون كلامي“¹⁸¹. فهؤلاء الذين قاوموا بشدة التعاليم التي يحتويها الناموس عن جهل تام، كيف يتقبلون داخلهم معرفة الصلاح الكامل الذي يقدمه المسيح لهم؟ لقد امتلأ موسى العظيم دهشة، وهو يرى كيف أن العليقة تلتهب بالنار، لكنها لا تحترق ولا حتى تأثرت بالنار. بالطبع كان يمكن أن يتعجب أحد من عدم الإحساس لدى الإسرائيليين الذين قبلوا الناموس من الله كمساعد ومعين لهم واغتنوا بنوره، فإنهم بعد ذلك ظلوا غير مستفيدين من الناموس، بسبب عدم إعطائهم أية أهمية مطلقًا لمثل هذا الأمر. ولم يحفظوا هذه العطية في فكرهم وقلوبهم. لأن ذهنهم بقي ميتًا ومتجمدًا. ومن الممكن أن يتساءل أحد بالصواب عن هؤلاء، لماذا ظلت عقولهم ميتة ومتجمدة بدون فهم؟ وماذا أيضًا عن عدم احتراق العليقة؟ هل سوف لا يصيرون غير ذلك مثلنا ملتهبين بالروح.

بلاديسوس: رائع ما تقوله.

كيرلس: يبدو أن حدث العليقة المشتعلة يُعلن معرفة مفاهيم أخرى، فكان الإسرائيليون ينظرون الخروج من أرض المصريين وهم يظنون أنهم سوف لا يلقون أبدًا عن كاهلهم ثقل العبودية الإجبارية، لهذا السبب - بالإضافة إلى أنهم كانوا سيضطهدون بغضب فرعون - أعطاهم الله هذه العلامة التي حدثت في العليقة، أي أنهم سوف يصيرون أقوياء جدًا بل وأقوى أيضًا من هذه النار، ولن يخضعوا لأولئك الذين كانوا يملكون قوة التسلط على الآخرين. وهذا - كما أعتقد - يتوافق مع الكلمة الإلهية ” لا تخف لأنى أنا معك، اللهيب لا يحرقك والأنهار لا تغمرك“¹⁸².

بلاديسوس: قولك هذا في غاية الذكاء .

كيرلس: لقد اندهش موسى من هذا الذى حدث، وفي نفس الوقت أسرع باشتياق للوصول بالقرب من العليقة. ويقول الكتاب ” فلما رأى الرب انه مال لينظر، ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى. فقال هأنذا. فقال لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة“¹⁸³. إن موسى الطوباوى سيكون مثالاً للناموس، لأن إبراهيم الطوباوى يقول بحسب أحد الإنجيليين: ”عندهم موسى والأنبياء“¹⁸⁴ ربما يبدو هذا الكلام غير مقبول بالنسبة لك ؟

بلاديسوس: لا بالطبع . فموسى يمثل الناموس.

كيرلس: كان الشعب الإسرائيلي، ذاك القطيع الذى عاش وفقًا للناموس وتحت الناموس، مدعواً،

⁴⁹ يو 40:39-5

⁵⁰ يو 47:45-5

⁵¹ إش 2:43 ، 5

⁵² خر 5:4-3

⁵³ لو 29:16

لأنه مكتوب " السيد الرب إله العبرانيين دعانا " ¹⁸⁵. وأطاع العبرانيون الله الذى دعاهم مثل موسى. لأنه مكتوب " كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل " ¹⁸⁶. لكن بسبب أن حتى قوة الطاعة حسب الناموس لم تكن لها القدرة على التطهير، إذ يقول " لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا " ¹⁸⁷، لذلك أعيق موسى من أن يقترب الله، الذى قال له: " لا تقترب من ههنا " ¹⁸⁸. لأنه لا يمكن الاقتراب من الصلاح بواسطة الناموس، كما أن قوة التعليم بحسب موسى هي غير قادرة على أن تحضرنا بالقرب من الله. المسيح وحده هو الذى يحضرنا إلى الله، وذلك بالتقديس. لأن كل الذين يتوقون إلى الاتحاد بالله القدوس يجب أن يكونوا قديسين إذ يقول: " كونوا قديسين لأنى أنا قدوس " ¹⁸⁹. ولأن طريقة التعليم حسب الناموس ليست بلا لوم - كما يتضح من قوله " اخلع حذاءك من رجلتك لأن الموضوع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة " ¹⁹⁰، لذلك أمر الله موسى مُفسر الإلهيات أن يخلع حذاءه، لكي يُبين أنه لم تكن طريقة الحياة حسب الناموس طاهرة بعد، ولا هي حرة من أعمال الفساد والموت. لكن موسى العظيم قد تعلم من العرف اليونانى أنه لا يُسمح للمرء الذى مازال يحمل فوقه رفات ميتة وفاسدة أن يقترب من الله. لأنهم كانوا لا يدخلون إلى المقدسات عندما كانوا يلبسون في أرجلهم أحذية من جلد حيوانات ميتة.

يا صديقى، لا الناموس يحررنا من الموت والفساد وكل ما يتعلق بالنجاسة، ولا طريقة الحياة، حسب الناموس الموسوى تستطيع أن تحررنا، بل بالحرى فإن الإيمان بالمسيح والتطهير الكامل للحياة حسب تعليم الإنجيل هو الذى يحررنا. أليس هذا الذى أقوله حقيقة؟

بلاديسوس: كيف لا يكون كذلك !!

كيرلس: وعندما خلع موسى الحذاء من رجليه ثم أسرع واقترب من هناك قال له الله " أنا إله أبائك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب، أدار عندئذٍ موسى وجهه لأنه تردد في أن يرى الله وجهًا لوجه " ¹⁹¹. ونحن إذا خلعنا التدبير المميت، وسلطنا طريقنا بأقدام طاهرة وحرّة وفق تعاليم المسيح، فإننا سنقترب من الله، في علاقة روحية وليس اقترابًا مكانيًا. لأن كل ما حدث لموسى هو أمثلة وظلال. إذن فلنغتنم بالكلمات الخاصة بالسرائر الإلهية، ونركز معرفة الله في داخلنا، إذ أظهر الله ذاته لنا في شخص الابن. وهكذا سنراه أفضل بكثير وبلا مقارنة من كل ما رأى الشعب القديم في شخص موسى. طالما قد أدار وجهه لأنه تردد في أن يرى الله وجهًا لوجه. وهذا يُظهر الضعف الذهني عند أولئك الذين قد تربوا بالناموس، هذا الضعف الذى لم يستطع أن يحتمل الله ولا كان في وضع يمكنه أن يرى مجده، حسب ما قيل في المزامير " لتظلم عيونهم عن البصر " ¹⁹² وهذا ما قاله إرميا: " اسمع هذا أيها الشعب الجاهل

⁵⁴ خر 18:3

⁵⁵ خر 3:24

⁵⁶ عب 4:10

⁵⁷ خر 5:3

⁵⁸ ابط 16:1

⁵⁹ خر 5:3

⁶⁰ خر 6:3 (أخذت حرفيًا من نص ق. كيرلس)

⁶¹ مز 23:69

والعديم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون¹⁹³. أما نحن الذين قبلنا الكلمات عن الطبيعة الفاتكة الوصف، فإننا بأعين طاهرة مستتيرة نرى جمال الله الأب يلمع في وجه الابن. وقد قال المسيح بحكمة لليهود الذين اعتقدوا أنهم قد رأوا الأب، "لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته"¹⁹⁴. وفيلس الذي سأل بإصرار وبطريقة محسوسة لا تليق، ولكن سأل برغبة فضولية "يا سيد أرنا الأب وكفانا"¹⁹⁵، أجابه المسيح "أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس. الذى رآنى فقد رأى الأب"¹⁹⁶ وسنرى في مثال ابنتى لابان أن التربية بحسب وصية الناموس لم تكن ثابتة ولم تكن قادرة على أن تظهر الله بدقة وبلا لوم، لأنها قد أعطيت فى ظلال وألغاز. لأنه مكتوب أن لابان كان لديه ابنتان، الكبرى اسمها ليئة والصغرى اسمها راحيل. وكانت عينا ليئة ضعيفة البصر، أما راحيل فكانت حسنة الصورة والمنظر. ويعقوب البطريك (أبو الآباء) أحب راحيل. ولكن قبل راحيل أعطيت له ليئة زوجة (تك16:24). وإذا طبقنا المثل على الواقع، سنرى سر المسيح. فهما في الواقع امرأتان قد دُعيتا وارتبطتا به بزواج روحى. فالكبرى أو الأولى تمثل المجمع (اليهودى) الذى تكوّن بواسطة موسى، إذ قال الله بواسطة الأنبياء "لأن عينيك وقلبك ليست إلا على خطفك وعلى الدم الزكى لتسفكه وعلى الاغتصاب والظلم لتعملهما"¹⁹⁷. الثانية كانت شابة صغيرة وجميلة جداً أى الكنيسة التى من الأمم والتي قال لها داود العظيم اسمعى يا بنت وانظرى وأملى أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك فيشتهى الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدى له"¹⁹⁸، وقد قيل لها في موضع آخر "عينك كالحمام"¹⁹⁹. إن جمال الكنيسة هو بالتأكيد جمال غير عالمى، وهو عقلى وحقيقى لأنه مكتوب "كل مجد ابنة الملك في خدرها"، كلمة "خدرها" تعنى في العبرية "داخلياً"، لأنه لا يمكن أن تدركها العيون، بينما من السهل أن نراها بالعقل النقى. أليس كذلك؟

بلادىوس: ليس هناك أفضل من هذا.

كيرلس: لا يستطيع أحد إذن أن يرى الجمال الإلهى وغير الفاسد بتربية الناموس، لكن سيراه بالإيمان بالمسيح والتربية التى تعطىها وصاياها.

بلادىوس: هذا حقيقى.

كيرلس: يا بلادىوس، إن الذى يقدر أن يُفدينا ويخرجنا من أيدي الشيطان وسلطان الطاغى ليس هو موسى أو الناموس، بل هو رب موسى، أى المسيح وقوة سره. ويقول الرب: "إنى قد رأيت منزلة شعبى الذى في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً"

⁶² إرميا 21:5

⁶³ يو 37:5

⁶⁴ يو 8:14

⁶⁵ يو 9:14

⁶⁶ إرميا 17:22

⁶⁷ مز 11-10:45

⁶⁸ نشيد الأنشاد 12:5

²⁰⁰. ويضيف مباشرة "والآن هوذا صراخ بنى إسرائيل قد أتى إلّى ورأيت أيضاً الضيقة التى يضيقهم بها المصريون فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر" ²⁰¹، عندئذٍ صرخ موسى: "مَن انا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر" ²⁰². أليست هذه الصياغة واضحة. هذا الرفض الذى لم يُذكر عن ذاك الذى هو الأعظم والذى هو فوق الكل الذى هو المسيح؟! لأن القول "مَن انا" غير مناسب للمسيح الذى يملك تحرير الشعوب، ويستطيع أن يخلص الأمم ويقودها إلى الحرية إذ قد سحق ذاك الذى قبض عليهم في العبودية، أى الشيطان.

بلاديسوس: تكلمت بالصواب.

كيرلس: لكن ماذا؟ أليس سهلاً تماماً أن نرى من هذا أن الوحيد الجنس قد صار رئيس خلاص الجميع؟ لأن بواسطته نلنا الفداء، كما يقول النبى "لم يخلصنا رسول ولا ملاك ولكن خلصنا الرب نفسه" ²⁰³.

بلاديسوس: من أين قولك هذا؟

كيرلس: إن إله الجميع أمر موسى بكل وضوح أن ينتقل بسرعة إلى أبناء إسرائيل، وأن يقول لهم بلا تحفظ، أنهم اتخذوا الله الكلى القدرة معيناً ومساعداً لهم وسيلقون عن كاهلهم نير العبودية المصرية، ثم يرحلون ثانية إلى وطنهم، عائدين إلى حرية الآباء، وسيسكنون الأرض المقدسة، وهناك سوف يتمتعون بالخيرات الكثيرة التى سوف يعطيها لهم. أجاب موسى وقال "ولكن ها هم لا يصدقوننى ولا يسمعون لقولى. بل يقولون لم يظهر لك الرب. فقال له الرب ما هذه في يدك. فقال عصا فقال اطرحها إلى الأرض. فطرحها إلى الأرض فصارت حية. فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى مَد يدك وأمسك بذنبها. فمد يده وأمسك به فصارت عصا في يده" ²⁰⁴.

بلاديسوس: إنها عجيبة جداً يا صديقى هذه المعجزة، قل لى أيضاً، ماذا يريد أن يظهر بها؟

كيرلس: سأقول لك، إذ عاش الإسرائيليون مع المصريين سنوات عديدة وأخذوا في الانزلاق إلى كل نوع من الخطية واستمتعوا باللذات المصرية، لم يجهل موسى أنهم سيكونون مترددين، وأنه سيكون من الصعب جداً أن ينتقلوا إلى اللياقة والترتيب. ولكنه افترض بحكمة، أن المشقة ستدفعهم - رغم إرادتهم - إلى الطاعة وخاصة لو رأوه وهو يعمل معجزات. لأن اللذة فى الواقع أمر يصعب تجنبه، وتوحش الشهوات داخلنا لا يُروض بسهولة. لكن عندما نكون في حالة مجهدة ومتعبة، عندئذٍ من السهل أن يقتنعك ذاك الذى يعدك بالخلاص، ويمكنك أن تزدري بالمسرات العظيمة. وأعتقد أن الله الذى يعرف كل صلاح بتدبير عظيم، سمح في ذاك الوقت أن يكون التسلط الطاغى للمصريين ثقيلاً ومؤلماً على الإسرائيليين، وذلك لكى يكونوا مهينين للخروج، الذى ما كان يمكن أن يحدث بسبب تقيدهم

⁶⁹ خر 8:3

⁷⁰ خر 10:3

⁷¹ خر 11:3

⁷² إش 63:9س.

⁷³ خر 4:1

بشهواتهم المعتادة، فقد كانوا قساة ومنحليين بإفراط وكانوا يحتقرون تلك النعمة التي دعته إلى الحرية، وجعلوا أنفسهم بإرادتهم عبيدًا في مصر، مفضلين اللذة الوقتية مع المشقات القليلة الموجودة، أو بالأحرى معتبرين (العبودية) أفضل من إحسانات الله نفسها. ولهذا بينما هم قد تخلصوا بفرح عظيم من التسلط الثقيل للمستبدين القدماء، وقضوا لياليهم في البرية مُستلمين طعامهم من فوق من السماء، أعنى إمدادهم بالمن، تذكروا بدموع (للأسف بحسب وجهة نظرهم الخاطئة) حياتهم السعيدة في مصر. وأيضًا زعموا أنهم يفضلون أن يموتوا في مصر مستمتعين بالموارد الغنية، فهذا كان (في نظرهم) أفضل كثيرًا وأنفع جدًّا لهم، وصرخوا كأولاد غير ناضجين "ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قنور اللحم نأكل خبزًا للشبع"²⁰⁵.

بلاديوس: تتكلم بالصواب.

كيرلس: وإذ عرف موسى أنه كان أمرًا ضروريًا أن يطيعوا حتى يمكن أن تتم المعجزات. لهذا يسأل "إن لم يسمعوا فماذا أقول لهم"²⁰⁶. وإله الجميع أمر فورًا أن تصير المعجزة كتطبيق عملي، ووسيلة إقناع مسبقة عمليًا، لخدمته وهذا سيكون للآخرين - كما له تمامًا - دليلًا يبيّن أنهم مدعوون من الله، وأن هذا الأمر الذي حدث سيكون مستمرًا معهم. وأيضًا لا يستطيع أحد أن يغيّر طبائع الكائنات إلى طبيعة أخرى، إلا خالق الكل. وقد تم بواسطة حدث عجيب وبطريقة رمزية حسنة جدًّا الإشارة إلى رسالة الخلاص بالإيمان بالمسيح. إذ سنرى فيه (في المسيح) تجديد الطبيعة البشرية إلى حالتها الأولى، أي إلى تلك الحالة التي كُنّا عليها في طبيعة آدم، بمجرد أن أتينا إلى الوجود، ولم يكن ينقصنا بعد المجد السماوي والقداسة.

بلاديوس: ماذا تعنى بهذا؟ لأن قولك ليس واضحًا.

كيرلس: أليست العصا تشير إلى الصولجان، رمز الملك يا بلاديوس؟

بلاديوس: بكل تأكيد طالما يقولون إن بعض القدامى كانوا يقسمون عليها، مثل كل الذين اعتادوا أن يمدحوا الأمور الموقرة أي اليونانيين.

كيرلس: لكن ماذا؟ أليست هي نبات من الحقل، نما فيه قبل أن يقطع؟

بلاديوس: إنى اتفق معك.

كيرلس: انطلق إذن بفكرك إلى آدم الأول، فانظر فيه كل البشرية أي بداية وأصل الجنس البشري. وفكر أيضًا أنه خُلق بحسب صورة خالقه وعُين ليكون رئيسًا لكل ما في الأرض، وكان في يد الله متمتعًا بحياة القداسة التي عاشها. وكان كنبات الفردوس، كزهور جميلة ولطيفة جدًّا، ولكن بسبب انخداعه من حيل الحية المعادية، ابتعد عن الحالة الأولى، وبعد ذلك وصل به الأمر أن يزدري بالوصية الإلهية، وعندئذٍ بالضبط فَقَدَ مكانته وأصله الأول، وانزل من يد ذاك الذي كان يحفظه في

القداسة وهو على الأرض، أى من علو الفضيلة، ووجد غير منضبط إرادياً في تفضيله للجسديات. وقد تملك داء الخبث عليه بدرجة كبيرة، أخذاً إياه من الحياة. وهكذا تعرى من الملك والمجد الذين كانا له من البداية وطُرد من الفردوس والنعيم. ألم يقل لنا موسى العظيم ذلك؟

بلادديوس: طبعاً قد قال هذا .

كيرلس: لقد رأى المشرع أن الإنسان قد أخذ في الانحدار إلى هذا الحد من الدناءة، ولذا ابتعد عنه وشعر بنفور تجاهه بسبب الخبث الذى أصابه. لذا يقول الكتاب هرب موسى تاركاً الحياة. ومكتوب أيضاً " الروح القدس المؤدب يهرب من الخداع، ويبتعد عن الأفكار الغيبية، وينسحب إذا حضر الإثم"²⁰⁷. لأنه أى اتفاق بين القداسة والنجاسة، وبين النور والظلمة، وبين العدل والظلم.

بلادديوس: هذا بالحق.

كيرلس: إذن أن تقع العصا من يد موسى يمكن أن تعنى، أن هذا الذى قد خُلق بحسب صورة الخالق كان نبات الفردوس، وأنه وُجد داخل مجد الملكوت وفي يد الخالق، لكن بسبب رغبته في اختيار الجسديات سقط على الأرض، وبفعل هذه العداوة، صار مثل حية في نظر الله. لكن تلقى موسى الأمر أن يمد يده ويمسك ذيل الحية، وفي الحال عادت العصا إلى شكلها الأول. أى لم تعد بعد حية، بل عادت ثانية عصا ونبات الفردوس. وعندما أراد الله الأب أن يجمع كل الأشياء في المسيح وان يجدد خليقته مرة أخرى على شكلها الأول، أرسل لنا من السماء ابنه الوحيد الجنس، أى يده اليمنى الذى هو بالحقيقة خالق كل الأشياء ومخلص الجميع، كما هو مكتوب "يمين الرب صانعة ببأس يمين الرب مرتفعة"²⁰⁸، وعندما أمسك البشرية في يده، وخلصنا من عداوة الوحش التى يُعبر عنها بالدناءة والخطايا، أعادنا مرة أخرى إلى القداسة والكرامة الملوكية وألفة الفضيلة، وأعطى للمؤمنين المسكن الأول، وكان أولهم اللص الذى صُلب معه. لأنه يقول "الحق أقول لك اليوم تكون معى في الفردوس"²⁰⁹.

بلادديوس: إن نقاشنا صار حسناً وصحيحاً. لكن أخبرنى لماذا أمر الله موسى بأن يمسك ذيل الحية وليس الرأس أو الوسط؟

كيرلس: لأنه هكذا كان يجب أن يصير يا عزيزى، لأنه نافع للسر أن يمسك من الذيل وليس من الوسط أو الرأس.

بلادديوس: بأية طريقة هو نافع للسر؟

كيرلس: من المعروف أن بداية أى حيوان تعتبر الرأس، بينما الذيل هى نهايته. دعنا نعتبر الجنس البشرى في مجموعه كحيوان. المسيح أمسك الذيل، أى النهاية والأجزاء الأخيرة لأنه أتى في الأزمنة الأخيرة لهذا الدهر. لكن، بالرغم من أن موسى أمسك بالذيل، إلا أن التجديد وصل حتى الرأس (لأن

⁷⁶ سفر الحكمة 5:1

⁷⁷ مز 118:16

⁷⁸ لو 23:43

الحية تغيرت بالكامل إلى عصا). بنفس الطريقة، بالرغم من أن المسيح أمسك بالأجزاء الأخيرة، لكن التجديد بالنعمة سرى في كل الجنس البشرى ووصل حتى الرأس نفسه، أى حتى آدم. لأنه مكتوب، " لأجل هذا مات المسيح وقام لكى يسود على الأحياء والأموات " (رو9:14)، وبالتالي الفداء الذى تحقق للذين في أواخر الأيام، سرى مفعوله أيضاً لأولئك الذين كانوا مستعبدين فى البدء.

بلاديسوس: إن شرحك جيد والرواية ليست بعيدة عن المقصود.

كيرلس: لقد تثبت الرب إيمان موسى بمعجزتين إلهيتين أخرتين. لأنه قد كتب مباشرة بعد ذلك " ثم قال له الرب أيضاً أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له رد يدك إلى عبك فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه وإذا هى قد عادت مثل جسده " ²¹⁰. انتبه إذن كم أن هذا العمل الذى صار هو إلهى وكم ينتمى إلى دائرة المعجزات، التى تحمل بطريقة ما مع المعجزة الأولى (تحويل العصا إلى حية) الاستعلان لسر المسيح.

بلاديسوس: أرجو مزيداً من التوضيح لأنى لم أفهم بعد.

كيرلس: إن البرص هو مرض الجسد، والأطباء يعجزون عن علاجه، وهو مرض لا يهزم وذلك من خبرتهم. والأبرص هو ذميم ونجس وذلك وفقاً للوصية القديمة لموسى، ومقرز جداً لهؤلاء الذين يُقدرون العادات اليونانية، ومن يبتلى بالبرص هو ما بين حى وميت. والميت هو مقرز ونجس. وإمكانية أن يُشفى الأبرص، هو أمر فوق الطبيعة وفوق إمكانيات مقاييسنا الطبيعية، ويتوقف فقط على فعل الطبيعة الإلهية الفائقة الوصف. لذلك اندهشوا من المسيح عندما قال للأبرص بسطان "أريد فاطهر" ²¹¹. لأن صوت خالق الجميع، الذى يقيم حتى الأموات من القبور، والأقوى من الفساد والموت، هو الذى صنع المعجزة مع ذاك الأبرص. الله يأمره أن يدخل يده في عبه وبعد ذلك يخرجها، فصارت كلها برصاء وأيضاً أن يدخلها ويخرجها مرة ثانية، فصارت خالية مما حدث لها، حتى يفهم الإسرائيليون من هذا، إنه بقوة فائقة الوصف والتعبير سيصير موسى رئيس المظلومين المستعبدين تحت نير المصريين. هذا القول بالطبع ليس عميقاً لكنه نافع للرواية ويجب كما أعتقد أن نفحص بانتباه شديد، معنى هذه الرواية، أى نبحث تلك المعجزة هكذا: ماذا يعنى إدخال اليد في العب وما هو هذا البرص المخيف الذى أصابها، وأيضاً طريقة تطهيرها، لأنه عندما أدخلت اليد في العب شُفيت من المرض.

بلاديسوس: تتكلم بالصواب. لأنه لن ينفعنا ولو بقليل فحص كل أمر على حدة.

كيرلس: فى رأى أن هذا الأمر العجيب يعلن شيئاً ما وسط الظلال. فيقدر ما كان الإنسان الذى خُلق على صورة الله وشبهه مستقرّاً في داخل حضن الله ولم يخالف بعد الوصية التى قد أعطيت له، وكان محاطاً بعناية الله ورعايته، كان يعيش فى طهارة وقداسة دون أن يعرف الموت. لكن عندما تعدى طاعة الله خرج من حماية الله ومحبتة، بسبب انحرافاته إلى الأمور الدنيئة. عندئذٍ ظهر بوضوح أنه

ذميم ومقرز ومريض بالموت ونجاسته. ثم بعد ذلك، عندما قبلنا الله الآب بواسطة المسيح وأحاطنا بالنعمة الإلهية وأخذنا مرة أخرى إلى حضنه متبنياً ومنقداً إيانا من نجاسات الموت القديم ولعنته، رجعنا إلى حالتنا الأولى، لأنه مكتوب عن يد موسى "وإذا هي قد عادت مثل جسده"²¹².

بلاديوس: ما قلته رائع جداً.

كيرلس: إن الفعل المعجزى الثالث المرتبط بهذا، يعلن بكل وضوح وبكل سهولة، سر المسيح. لأن الله قال أيضاً لموسى: "فيكون إذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى إنهم يصدقون صوت الآية الأخيرة"²¹³. ويوضح ماذا يعنى هذا قائلًا: "ويكون إذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك إنك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسة فيصير الماء الذى تأخذه من النهر دمًا على اليابسة"²¹⁴. فالعلامة الأخيرة للعالم كانت هى موت المسيح والتطهير بالماء والدم، باشتراك، الجسد المقدس الذى أشير إليه باليابسة، كما هو واضح. وإذا كان قد سال الدم لأجلنا من جنبه المقدس الذى طعن، فهذا لن أذكره لأنه معروف جيدًا للجميع. ولكن كون أن موت المخلص سُمي معجزة، يمكن لأحد أن يتعلمه بوضوح من الكتب المقدسة لأن الفريسيين المتهورين، رأوا معجزات كثيرة صنعها المسيح، إلا أنهم أتوا إليه، وكأنه لم تحدث أية واحدة وطلبوا منه قائلين: "يا معلم نريد أن نرى منك آية"²¹⁵. فقال لهم "جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبی، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ"²¹⁶. إن أول مساعدة قد أعطيت لنا بواسطة الناموس الموسوى، لأنه؛ بحسب قول النبی "أعطانا الناموس معيّنًا لنا"²¹⁷. إذ أمسك موسى بالذيل. والتطهير الثانى أيضًا في اسم المسيح صار بواسطة الأنبياء القديسين بإرسالية وكراسة يوحنا المعمدان، لأن الأنبياء قالوا "اغتسلوا وتنفقوا"²¹⁸، بينما يوحنا دعا الناس إلى معمودية التوبة. والعلامة الثالثة، التى يُقال عنها إنها الأخيرة؛ هى موت المسيح، والإيمان الذى يتبعه، لأنه يقول "فيكون إذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى إنهم يصدقون صوت الآية الأخيرة"²¹⁹. ترى إذا أنه يقول حسنًا جدًا أن الإيمان سوف لا يكون بعد العلامة الأولى أى ليس بعد معونة الناموس، ولا أيضًا بعد حالة التطهير غير الكاملة، أى بعد المساعدة بواسطة الأنبياء ويوحنا، بل سيكون (الإيمان) فقط بعد شهادة العلامة الأخيرة، لأن سر المسيح ليس بدون شهادة، إذ يدعو الجميع، كل من هم مشتتين على الأرض بالعظة السامية والمعلنة بقوة عن التطهير بالماء والدم، وبالطبع عن هبة الحياة التى تصير بالتناول من الجسد المقدس. إذن لقد خدم الناموس الأمور المتعلقة بالمسيح بالإنباء عنها، لكن هو نفسه (الناموس) لم يكن في وضع يمكنه أن يخلص الحافظين له. وكما أعتقد يمكن بالتأكيد أن يظهر أحد أن هذا هو ما يعترف به موسى بوضوح في كتاباته. فعلى الرغم من أن الله قال له "سأكون معك" وحاول أن يقتعه مسبقًا بعمل المعجزات، إلا أن

⁸¹ خر 4: 7

⁸² خر 4: 8

⁸³ خر 4: 9

⁸⁴ مت 12: 38

⁸⁵ مت 12: 39-40

⁸⁶ إش 20: 8

⁸⁷ إش 16: 1

⁸⁸ خر 4: 8

موسى توسل إليه وقال " استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس، ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان، فقال له الرب من صنع للإنسان فمًا أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرًا أو أعمى. أما هو أنا الرب. فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به. فقال استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل"²²⁰. أى أن الناموس ليس بقادر على أن يبرر ولا يستطيع أن يخلص كل الأرض ويحرر الإنسان من سلطة الشيطان الطاغية. وموسى لم يجهل بالطبع أنه كان ثقيل اللسان وكان له صوت ضعيف، عندما بدأ الله يكلمه ويأمره بالتحدث عنه، إذ قال له " هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليك. هذا اسمى إلى الأبد "²²¹. أى أن الناموس كان ثقيل اللسان في أن يصحح جيدًا الكلام عن الله الكائن، ولا يمكنه أن يدخل في سر الطبيعة المكرمة والفائقة الوصف للثالوث القدوس المسجود له. وله (أى للناموس) صوت ضعيف فيما يتعلق بهذا، فإن موسى كان يتحدث إلى الإسرائيليين فقط وكان صوته يُسمع في اليهودية فقط، بينما لم تستطع كرازته أن تصل للشعوب الأخرى. لهذا أدرك موسى الكليم مسبقًا ذاك الذى يمكن أن يبلغ لسامعيه أقوال الله بدقة وبلاغة وأن يُبشر به بسهولة في كل الأرض، أى المسيح، لذا يقول: "استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل" ²²². وهذا المرسل بالحقيقة هو المسيح. وأنه عندما يأتى الوقت بإرادة الله الآب سيُعين (أى المسيح) لهذا العمل، إذ بالتأكيد قد سبق الناموس وأخبر عنه. لكن رفض موسى من بعد الوعد الإلهي، وبراهين العلامات الكثيرة، يمكن أن يكون هو مثلاً لإسرائيل الذى لم يبال بالخدمة الإلهية والإنجيلية والطاعة للمسيح رافضًا إياها، وهو بعد عشرات الآلاف من الكلمات عن الإيمان، ومن بعد براهين عديدة من المعجزات تمسك بعصيانته، وظل غير مؤمن. ورفض موسى هو بالتأكيد ثنائى، أى على فترتين: الفترة التى كان فيها إسرائيل مشتتًا ومتوحشًا في عصر موسى، ويشوع بن نون والقضاة، ثم (الفترة الثانية) بعد هذه مباشرة، عصر الأنبياء ويوحنا (المعمدان)، الذى جاء بين الأنبياء والرسول، لأنه كان يمثل النهاية للعمل النبوى وبداية الازدهار للعمل الرسمى. لكن رفض موسى قد أثار غضب الله، لهذا حول الأمر بعد ذلك إلى نوع آخر من التدبير، الذى به كان يجب أن يخلص أولئك الذين قد تألموا من سلطة المصريين الطاغية " فحمى غضب الرب على موسى وقال ليس هرون اللاوى أخاك أنا أعلم أنه هو يتكلم. وأيضًا ها هو خارج لاستقبالك فحينما يراك يفرح قلبه فتكلمه وتضع الكلمات في فمه. وأنا أكون مع فمك وفمه وأعلمكما ماذا تصنعان وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فمًا وأنت تكون له إلهًا "²²³. فبسبب ضعف الناموس واصطدامه بالإسرائيليين، وعدم طاعتهم له، أتى المسيح اللاوى الحقيقى، رئيس الكهنة الأعظم، المُعين لأولئك الذين وُجدوا تحت الناموس، وكونه كأخ بسبب أخذه طبيعتنا البشرية، هو الذى تكلم مع موسى بالتأكيد كإله، وبكونه قد استلم الوصايا من الآب وذلك بحسب خاصيته النبوية، إلا أنه بالطبع هو الرب، لأنه يقول: "أقيم لهم نبيًا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به "²²⁴ والمسيح نفسه قال: "

89 خر 13-10:4

90 خر 15:3

91 خر 13:4

92 خر 16-14:4

93 تث 18:18

لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم²²⁵. وبناء عليه فإن المسيح تكلم إلى الشعب، وإلى موسى، وصار فمًا شارحًا لنا الناموس روحياً بوضوح، بينما موسى نقل فقط للشعب كل حالته. أى واضح - بطريقة ما - أن موسى هو الأكثر (من بين الأنبياء) قرباً من الله، لأن عمانوئيل خضع للناموس، ووعد أنه سيحفظ كل ما أمر به بواسطة موسى الحكيم قائلاً: "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل"²²⁶. إذن فقد بات واضحاً أن المسيح هو خادم الأسرار، الذى حوّل ثقل لسان الناموس إلى طلاقة، وأعاد تشكيل ضعف الحرف إلى شرح قوى التأثير. لأن ناموس المسيح هو ناموس روحى وتعاليمه لها علاقة قُربى بالقديم، لأن هارون كان أخاً لموسى.

بلاديسوس: إذن الناموس ضعيف من حيث إمكانياته، لأنه لم يُكْمَل شيئاً.

كيرلس: هذا ما أقوله. لأن السلوك غير الكامل بحسب تعليم الناموس يمكن أن يلاحظه أحد من الأمور التالية إذ مكتوب: "فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه وقال له أنا أذهب وأرجع إلى اخوتى الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء. فقال يثرون لموسى اذهب بسلام، وقال الرب لموسى في مديان، اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك. فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى مصر. وأخذ موسى عصا الله في يده"²²⁷.

بلاديسوس: ماذا يعنى كل هذا؟ لأنى لا أستطيع أن أفهم، ولا أن أرد على كل من ينتقد الحياة بحسب الناموس.

كيرلس: على الرغم من أن الأمر مملوء بالتساؤلات، يا بلاديسوس، إلا أنه يمكن للمرء أن يفهمه عندما يلاحظ المعانى المفحوصة بتبصر عظيم جداً. لقد عُين موسى كليم الله لهذه الرسالة، لم يتقدم فوراً نحو هذه الرسالة تاركاً أمور العالم، ولم يقطع اهتمامه بالجسديات، بل سبق وأعلن لاتباعه عن الرحيل. ولم يرحل من بلاد المديانيين، إلا بعد أن علم أنه قد مات أخيراً طاغية المصريين، إذ خاف جداً منه ربما يقتله. لكن عندما تخلص من مخاوفه هذه بعد إعلان الله المسبق له، أخيراً أخذ امرأته وأولاده ونزل إلى مصر، مقدماً أكثر مما أمر به، وهذا يمكن أن يكون مثلاً للحياة تحت الناموس، التى هى مجزأة بطريقة ما، وتتطلع إلى الاتجاهين، أقصد نحو ما هو للإلهيات وما هو للبشر. وبالطبع ليست الحياة حسب الناموس حرة من الاهتمامات الأرضية والعالمية، ولا هى مقدسة تماماً، بالرغم أنه بحسب السلوك الملائكى لا يوجد بتاتاً الانقسام الداخلى نحو الجسديات، أى نحو أمور العالم، لكن بكل الطرق تتركس لله هؤلاء الذين يحيون بحسب وصايا المسيح. إذ يقول "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات"²²⁸. فعندما ذهب واحد من التلاميذ إلى المسيح وقال له "يا سيد ائذن لي أن أمضى أولاً وأدفن أبى"²²⁹. عرفه السلوك المقدس بكل جوانبه، إذ قال له مباشرة: "اتبعنى ودع

⁹⁴ يو 12: 49

⁹⁵ مت 17: 5

⁹⁶ خر 20-18: 4

⁹⁷ غلا 24: 5

⁹⁸ مت 21: 8

الموتى يدفنون موتاهم”²³⁰. يكتب بولس العجيب لأهل غلاطية ” ولكن لما سرَّ الله أن يعلن ابنه فيّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحمًا ودّمًا “²³¹. لكن موسى كان له عذر في موقفه هذا، لأنه، كما قلت إن الحياة بحسب الناموس هي مقسمة وكانت ما تزال توجد تحت خوف الموت. أى لقد خاف موسى أن ينزل إلى مصر، مريدًا أن يهرب من الموت. لكن في المسيح قد أبطل الموت وهذا ما سوف يؤكد لنا بولس القديس عندما يقول عن المسيح وعنا ” فإن قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما لكي يُبديد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت، أى إبليس ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية “²³². وبناء على ذلك قد انتصب ذهن القديسين بشجاعة فائقة أمام الموت. فيولس يقول في مكان آخر ” لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح “²³³. وأيضًا ” من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف “²³⁴. لكن كون أن الخوف من الموت يسيطر على الحياة بحسب الناموس، بينما هذا الخوف من الموت يتلاشى بتأثير نور الحياة في المسيح، هذا يمكن أن يكون واضحًا جدًا، طالما الكتاب يعلن أن الموت قد ملك من آدم إلى موسى. لكن ذاك الذى أبطل الموت وزعزع قوة الفساد، لا يمكن أن يكون إلا ربنا يسوع المسيح وحده (أنظر 1كو15:24-26)، وهو الذى خلّص المؤمنين ومعهم خلّص أولئك الذين قد تهبوا بالناموس. لأن الكلمة النبوية تقول ” لا رسول ولا ملاك لكن الرب نفسه خلصهم “²³⁵. وسوف ترى بوضوح السر الخاص بهذا كمثل في كل ما حدث لموسى الطوباوى. أى عندما خرج من بلاد المديانيين وتوجّه نحو مصر، قال الله له ” عندما تذهب لترجع إلى مصر أنظر جميع العجائب التى جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون “²³⁶. وبعد ذلك بقليل يقول ” وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله. فأخذت صفورة صوّانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجله. فقالت إنك عريس دم لي. فانفك عنه، حينئذٍ قالت عريس دم من أجل الختان “²³⁷. ربما يحتاج الأمر إلى كلمة مُطوّلة لكي يصير واضحًا جدًا؟ هل شرحتى واضح؟

بلاديوس: بالطبع لا: لأنى على أية حال، لا أفهم بتاتًا ما الذى يشار إليه من هذا الذى حدث لموسى.

كيرلس: أى ألا تقبل، يا عزيزى، أن الطبيعة البشرية صارت مذنبية للموت بسبب تلك اللعنة القديمة؟ لأنه قد قيل لنا في بداية جنسنا وفي أصلنا الأول أى في آدم ” لأنك تراب وإلى تراب تعود “²³⁸.

بلاديوس: هذا أقبله بالتأكيد.

كيرلس: إذن، لأن بداية الجنس البشرى بسبب الخطية انتهت إلى مرض الموت، وهذا الموت اجتاز

99 مت 22:8

100 غلا 16:15

101 عب 15:14

102 في 21:1

103 رو 35:8

104 إش 63:9س.

105 خر 21:4

106 خر 26:24

107 تك 19:3

إجباريًا إلينا، فمن الجذر امتد إلى الفروع التي تفرعت منه. لأن الثمر الفاسد هو من الأصل الفاسد. هكذا ملك الموت على الجميع، وحتى على موسى نفسه، أى حتى ذاك العصر الذى كان فيه الناموس ساريًا. وبناء عليه فتصرف الملاك ضد موسى وقتنذ، كان مثلاً واضحاً وظاهراً على أن الموت قد سرى حتى على موسى وعلى كل إنسان قد وُجد تحت سلطان الفساد. لكن زوجة موسى صفورة الساكنة معه في الخيمة توسلت للملاك المهلك ومنعته عن زوجها، إذ قطعت بحجر غرلة ابنها وطلبت إليه قائلة "أوقف الدم من ختان ابني". وتعبير "أوقف الدم" قالتها، ليس لأنه قد انقطع تدفق الدم، ولا كما أظن أنها إطلاقاً قد غيرت رأيها وأرادت ترهيب المهلك، ولكن كأنها قالت "تمت إرادة الله وتحققت، أى ختان الولد". مثلما يقول الواحد "أنه بدلاً من القول بأن الأمر قد وصل إلى نهايته وصار مقبولاً"، يقال توقف الحديث عن النموذج أو المثال.

بلاديس: بعد ذلك، كيف ستفهم صفورة؟ وماذا يعنى الحجر والختان الذى صار به؟ وماذا يعنى توسلها لملاك الله، وإنقاذ موسى من تهديد الملاك والموت المحقق وذلك بختان الولد؟.

كيرلس: حقيقة أن الحديث في هذه الأمور التي نفحصها هو غامض وصعب الفهم. لكن لدينا ثقة في الله، وسأسرع ثانية لشرح هذا الأمر بقدر ما أستطيع. صفورة التي كانت ابنة كاهن مديان (هذا كان من أمة أخرى وليس من دم إسرائيل) تُصَوِّر وتُشير إلى الكنيسة التي أتت من الأمم والتي دُعيت من العبادة الدنيوية إلى عبادة الله. لأنه قد قيل عنها في موضع ما بقم داود "إسمعى يا بنت وانظري وأميلي أنذك وانسى شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك حُسْنُكَ لأنه هو سيدك" ²³⁹. أى دُعيت (صفورة) بينما اتبعت الناموس وكانت بطريقة ما مرتبطة (كزوجة) بالمؤدب موسى وانقادت بالصواب نحو سر المسيح (انظر ع5)، لأن الناموس هو مُعلم البدائيات، ويقودنا إلى أساسيات أقوال الله ويلقى داخلنا - بالأغاز وظلال - بذرة معرفة سر المسيح. ولذا قال المسيح لليهود، الذين لم يكن عندهم وفاء لموسى القديس "لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب. يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاءكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عني" ²⁴⁰. إذن طالما قد قبلنا أن صفورة تمثل الكنيسة التي من الأمم فإن ابنها سيكون على أية حال مثال للشعب الجديد، إذ أن كل الذين آمنوا قد قبلوا الطفولة الروحية للمسيح وميلادهم الثانى الإلهي، وهم الذين يدعوهم داود في موضع ما "وشعب سوف يُخلق" ²⁴¹. فالطفل حديث الولادة في الإيمان بالمسيح، أى الشعب الجديد، بختان الإيمان أبعد عنه الموت. لأن الحجر هو رمز للطبيعة التي لا تنكسر، وقساوته تشير إلى قوتها وترابطها. ويشوع بن نون حيث إنه عبر بالأسرائيليين من الأردن، فعل لهم أيضاً ختاناً بسكاكين من الحجارة، كمثال للختان الذى سيصير بالروح باسم المسيح. لأن المسيح هو صخر (أى حجر)، والحجر الذى به عملت صفورة ختان الطفل، يعلن مسبقاً ما قلته الآن كمثال. وعندما هرب الموت الذى طلب أن يقتل موسى وابتعد عنه، عندئذ كُرم كسر الختان بالمسيح مُعلنًا لنا هذا الأمر بطريقة رمزية، إن الموت لم يترك فقط كل الذين استحقوا الختان باسم المسيح، بل هذا الحدث أقصد سر المسيح، قد أعان الأجداد أنفسهم، أى مثلما متنا في آدم.

108 مز 11-10:45

109 يو5:46-45

110 مز 18:102

هكذا امتدت (ملكيت) نعمة المسيح لنا كلنا، لأنه مات لأجل هذا السبب أى لكى يصير رباً على الأحياء والأموات. وبناء على ذلك في وقت ختان الشعب الجديد، صارت حياة الآباء صالحة لأنهم عاشوا مع الله، وتخبّرنا الكتب المقدسة عن أهمية عيشهم مع الله. زمن الختان الروحي هو حضور المسيح، لأنه هو أكثر شفاعة من موسى لكونه إله، إلا أنه هو الثانى بعده بسبب أنه قد ظهر كإنسان ليخدمنا. انتبه إذن أن الله عين أولاً موسى، ثم بعد ذلك دعا هارون، وتمثل الدعوة الثانية - أى بعد إرسالية وخدمة موسى زمنياً، حضور المسيح الذى كان إنساناً مثل موسى، ولكن تفوق عليه بالألوهية الفائقة التى لا تقارن لأن أباه هو الله. وتستطيع أيضاً، لو أردت أن تتيقن هذا من الكتابات المقدسة نفسها، لأنها تقول "ففعّل موسى وهرون كما أمرهما الرب. هكذا فعلاً، وكان موسى ابن ثمانين سنة وهرون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلمّا فرعون"²⁴². أسمعت إذن أن الاثنين كانا متساويين لأنهما كانا في الثمانينات، بالرغم من أنه من جهة الخدمة كان هرون بالطبع بعد موسى؟ هكذا المسيح كان مساوياً لموسى من الجانب الإنساني، لكنه من جهة التدبير كان بعد موسى بالرغم من أنه الأسمى والأعظم من جهة الألوهية ومجد الثالوث القدوس.

بلاديسوس: إن كلامك واضح جداً.

كيرلس: لكن ماذا؟ ألا يستحق أن نرى شيئاً آخر إضافة لكل هذا؟

بلاديسوس: ما هو؟

كيرلس: إن الإسرائيليين لم يخرجوا من أرض المصريين، ولا تحرروا من العبودية القاسية والممقوتة لهم، وأقول بالصواب أنه، لم يكن في إمكانهم تجنب الموت الذى قضى على أبكار المصريين، ولا تفادى قبضة الملاك المهلك القوية، لو لم يذبحوا الحمل كمثل للمسيح الذى يرفع خطايا العالم. لقد دهنوا الأبواب بالدم بحسب وصية موسى التى أعطيت لهم، وسر المسيح جعلوه سلاحاً لهم وحصناً لنفوسهم. فموت المسيح هو وراء بطلان الموت. والذين يشاركون في هذه البركة السرية، لا يمسهم الفساد وفقاً للقول: "الحق الحق أقول لكم .. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ"²⁴³. لقد أكلوا الحمل، ومعه خبز غير مختمر (فطير). بهذا المثال يُعلن - بطريقة غير مباشرة - جمال ونقاء التعاليم الإنجيلية بالخبز غير المختمر، والتى لن تنفذ بدون مشقات ومرارة الأحران، لذلك كان يجب أن يأكلوا أعشاب مرة مع الخبز غير المختمر. وبناء على ذلك مع الطعام غير المختمر، يجب أن يكون لدينا المرارة (الآلام). لأنه يقول "وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون"²⁴⁴. لكن كل الذين سيتألمون بهذا سيُطوبون. لأنه بحسب الكتاب "إن كنا نتألم معه لكي نتمجّد أيضاً معه" (رو 8:17). هل كلامى خرج عن الموضوع؟

بلاديسوس: إطلاقاً.

¹¹¹ خر 7:6-7

¹¹² يو 6:53-54

¹¹³ تي 2:12

www.orthodoxonline.org

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة الثالثة

يستحيل بدون تقدّيس أن نتجنب الموت من الخطية و سلطان الشيطان، وأن التبرير لا يصير بالناموس ولكن بالمسيح.

حسنًا أتم الإسرائيليون تقديم الذبيحة، وهلك أبكار المصريين، وأبعد المسيح - رمزيًا- الملاك المهلك عن المقدسين. وعندئذ بمجرد خروجهم من أرض المستبدين، أسرعوا لكي يصلوا إلى الأرض التي وعدهم الله بها، لكن لم يسيروا إليها مباشرة، إذ ذهبوا تائبين مرة إلى يسار طريقهم ومرة إلى يمينه. لأنه مكتوب أيضًا: "وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة. لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذ رأوا حربًا ويرجعوا إلى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف" ²⁴⁵.

بلاديسوس: أى سر مُستتر هنا؟

كيرلس: فلننقحه إذا أردت. لقد أدركت أنه رغم أن الطريق الذي يقودهم مباشرة إلى مقصدهم، كان أمامهم وكان في استطاعتهم أن يصلوا بسرعة سيرًا على الأقدام. لأنه يقول كانت أرض الموعد قريبة إلا أنه قد ذهب بهم من طريق آخر والذي ترتب عليه تيه كبير إذ توقع الخالق استعدادهم للعصيان والميل الزائد للجبن الذي لازم الأقدمين منهم.

بلاديسوس: الكلام ليس واضحًا.

كيرلس: دعنا إذن نأتى إلى الرؤية الروحية للأمر. كل الذين يخرجون من الحياة العالمية ومن طغيان الأرواح النجسة، كما لو كان من أرض مصر، فالطريق المباشر تمامًا والقصير الذي يقود إلى القداسة وإلى الرجاء بالقرب من الله، هو الإيمان بالمسيح والتبرير الذي يهبه لنا. وهذا يوافق ما قاله بولس بحكمة: "لكن ماذا يقول. الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أى كلمة الإيمان التي نركز بها. لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفهم يعترف به للخلاص" ²⁴⁶. إذن لم يترك الله للأقدمين الطريق القريب جدًا والسريع لكي يسلكوا فيه، لكن ابتدع طريقًا دائريًا، لم يكن فيه بتاتًا مسار مستقيم وأعطاهم كلمات تحمل معاني كثيرة وناموسًا فيه إشارات، يهدف إلى تربية طويلة المدى وشاقة. لدرجة أنهم أخذوا بطريقة ما نوع من دراسة الأمور الكاملة من كل ما هو موجود في الظل لكي يتعلموا مسبقًا السر ولكي لا يسقطوا في المخاوف التي يمكن أن تحدث في العصيان والابتعاد عن المسيح. وحققًا بطريقة ما صاروا متدربين ومتعلمين على المنفعة الحقيقية وسيكون لهم استعداد أكثر للرغبة والتهيئة للحق، آخذين المحبة لله كسند غير مزعزع. إذا كان الناموس مربيًا بطريق طويل وليس مستقيمًا - طريق عبادة الحرف. لكن الأمر

ليس هكذا مع المسيح. لأنه أظهر لنا الطريق المستقيم والسريع، أى طريق الإيمان محولاً إِيَّاه إلى جرأة وإلى ضرورة الوقوف بشهامة في مواجهة كل ما يحاربنا. فلنحب المخاطرة من أجل الصلاح ونواجه حيل الشيطان بثبات، مرددين هذا الذي قاله النّبي "هوذا السيد الرب يُعينني. من هو الذي يحكم عليّ" ²⁴⁷. وهذا بالتأكيد هو ما يثير فينا الجرأة التي تستحق كل إعجاب: ليس شئ آخر من كل الأشياء الأخرى إلاّ القوة من السماء، أى الاتحاد وشركة الروح القدس.

بلاديوس: لقد فهمت هذا الذي تقوله ومعجب جداً بذكاء روحك.

كيرلس: بالتأكيد يمكن أن يُعلن وقت الخلاص بواسطة المسيح مباشرة، هذا الذي يُذكر مرتبطاً بما سبق لأنه يقول "في الجيل الخامس خرج الإسرائيليون من مصر" ²⁴⁸. لأنه يحررنا من العبودية ومن الآلام الناتجة عن النّية الباطل، وبالأكثر من مشقة العمل في الأرض والطين (أتفهم هذا الذي أقوله)، في الجيل الخامس، أى التعاقب الخامس للسنين وفقاً للمقطع الإنجيلي، لأنه يقول "فإن ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه. فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه. ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قِياماً في السوق بطالين. فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم فمضوا. وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشر خرج ووجد آخرين قِياماً بطالين. فقال لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين. قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد. فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم" ²⁴⁹.

انتبه إذن أن الأخيرين الذين أرسلوا إلى الكرم بطريقة ما هم الجيل الخامس وفي الأوقات الأخيرة، وذلك عندما صار الوحيد الجنس إنساناً، وعزم أن يُذبح من أجل حياة الجميع. لذلك حدّد الناموس الموسوى أن يأخذوا الخروف من اليوم العاشر للشهر الأول وأن يذبحوه نحو المساء في اليوم الرابع عشر لنفس الشهر، حتى في نفس الوقت والتعاقب الخامس للسنين بعبارة "نحو المساء"، أى الجيل الخامس الذي صار فيه ذبح المخلص.

بلاديوس: إذن كل هدف الكتب الملهمة بروح الله، كما يبدو، هو التطلع إلى سر المسيح (2تيمو3:16).

كيرلس: بالطبع بكل الطرق، لأن غاية الناموس والأنبياء هو المسيح. لأنه "لا يوجد اسم آخر تحت السماء قد أُعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص" ²⁵⁰. هذا ما قاله تلميذ المخلص. ويسهل أن نبرهن على هذا الأمر، لو فحصنا كل ما يتبع ذلك. لأنه يقول "وارتحلوا من سكوت ونزلوا إثنيام في طرف البرية. وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيئ لهم. لكي يمشوا نهاراً وليلاً. لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب" ²⁵¹.

³ إش9:50

⁴ خر3:13 س

⁵ مت7:1-20

⁶ أع12:4

⁷ خر22:20-13

أرأيت كيف أنه عندما ارتحل الإسرائيليون من أرض المصريين كان الله قائداً لهم بشكل عمودى السحاب والنار؟! وبالاثنين قد صُوِّرَ المسيح مسبقاً.

بلاديسوس: بأى طريقة؟

كيرلس: أولاً، بسبب أنه عمود وسندٍ للحق، غير متزعزع تماماً وغير قابل للسحق بل هو مرتفع عالياً عن الأرض. لأنه بنور المسيح قد تخلصنا من اهتمام الجسد ومن الالتفاف حول الشرور الأرضية، ونسمو عالياً بواسطته، جاعلين اهتمامنا بالسماويات ووطننا الحقيقي، لأنه مكتوب "أقوياء الرب يرتفعون كثيراً فوق الأرض"²⁵². والمسيح يقول في موضع ما بقم داود عن الأرض والرسول القديسين "أنا ثبت أعمدتها"²⁵³. وقد ثبت التلاميذ القديسون (بالمسيح) الذين يسندون الأرض، بقوة من الأعلى أى حاملين نعمة الروح القدس. وكانوا أعمدة بسبب طاعتهم للمسيح وتشبههم به بنعمة الروح القدس. ستقبل إذن أن المسيح سُميَ عموداً ليس لأى سبب آخر، إلا ما قلناه من قبل. لأنه قادم، عندما كان نهار بعمود سحاب، وبالليل بعمود نار لكى يُظهر لهم الطريق. اعتاد الكتاب المقدس أن يدعو الزمن الذى قبل مجئ المسيح بالليل، والذي فيه ساد الشيطان بسلطته على البشر بظلمة الجهل. ويقول أيضاً عن النهار إنه زمن ظهور المخلص، والذي فيه قد استترنا إذ قد قبلنا في عقلنا بهاء المعرفة الإلهية الحقيقية، ونرى بأعين النفس شمس البر. وسوف يؤكد هذا بولس عندما يقول عن زمن ما قبل المجيء وزمن المجيء "قد تنامى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلباقة كما في النهار"²⁵⁴ قاصداً إذن الزمن القديم على أنه ليل، والزمن الذي صار فيه وحيد الجنس إنساناً، على أنه نهار، نقول إنه تقدم أمام الإسرائيليين بشكل نار، أى بما يتناسب مع الناموس الذي يُدين ويعاقب (لأن النار هى علامة العقاب)، بينما يتقدم أمامنا بشكل السحابة، والتي هى مثال للمعمودية المقدسة لخالصنا بالماء. أليست السحابة ماء؟

بلاديسوس: وكيف لا تكون؟

كيرلس: وعندما ارتحل الإسرائيليون من مصر، استشاط غضباً سيدهم القديم، أى فرعون، وشرع في مطاردهم. إذ يقول "فشد مركبته وأخذ قومه معه. وأخذ ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها"²⁵⁵. وأيضاً بعد ذلك بقليل يقول: "فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون ورائهم ففرعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر. أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كُفَّ عنا فنخدم المصريين. لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية"²⁵⁶. فأجاب موسى على هذا "لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد.

⁸ مز 10:46 س

⁹ مز 47:4 س

¹⁰ رو 13:12-13

¹¹ خر 14:6-7

¹² خر 14:10-12

الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون“، ”فقال الرب لموسى مالك تصرخ إليّ. قل لبني إسرائيل أن يرحلوا. وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه. فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة“²⁵⁷. لقد جعل الله طريقة المعونة واضحة إذ ”انتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار ورائهم وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف ورائهم. فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل وصار السحاب والظلام وأضاء الليل. فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل“²⁵⁸. إن رواية التاريخ المقدس تخبرنا بكل هذه الأحداث. لكن يجب، على ما أظن، أن نفحص نحن ثانية عن دقة المعاني، محللين بالتفصيل كل ما كُتب بعقولنا.

بلاديس: بكل تأكيد

كيرلس: يرتحل إذن الإسرائيليون، مُسرعين إلى الأرض المقدسة آخذين الله مرشداً لهم وقائداً لمسيرتهم في شكل النار والسحابة. لأنه لن يكون من الممكن بأية طريقة أن نصل إلى المدينة السماوية المقدسة، إن لم يكن المسيح قائداً لكي يُظهر لنا طريق الخلاص. وأعداء هذا العالم يصرون على أسنانهم أمام هؤلاء الذين يفضلون طريقة العمل هذه، إذ الناموس يحثهم على أن يُظهروا الجرأة ويشجعهم في خوفهم. وكون أن جميع خصومهم سوف يسقطون، هذا يعلنه (الكتاب) بأكثر وضوح. لأن القول بأن المصريين قد خرجوا من الوسط يشير على أي حال لهذا الأمر وأيضاً الذين يخافون ربما يصابون بشئ ما، قد خلصهم الله مستخدماً المعمودية المقدسة كمثال. فهو يقول ”قل لبني إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه. فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر“²⁵⁹. ألم يكتب إذن بولس العظيم عن الإسرائيليين، أن الكل بثقة في موسى قد نالوا المعمودية داخل السحابة والبحر (1كو2:10)؟

بلاديس: أوافقك على هذا.

كيرلس: يجب إذن على كل الذين يريدون أن يتبعوا المسيح ويُسرعون نحو المدينة السماوية، أن لا يتوقفوا عند الناموس وأن لا يظلوا متمسكين بوصايا موسى، ويصرون على الحياة داخل الظلال والأمثلة لكن بالأحرى أن يرحلوا وأن يتقدموا إلى المعمودية المقدسة. هذا فعله القديس بولس من الله سائر بين الأمواج، وكما يقول بولس ”معتمدين في البحر“. إذ عندئذٍ فقط سيكون لديهم مُعين، يسوع المسيح الوسيط بين الله والناس. إذ أن الكلمة الذي هو الله، قد صار إنساناً. ومن وجهة نظر أخرى، سيتخذونه وسيطاً بحسب التدبير، لأنه دائماً يفصل بين هؤلاء الذين يتقونه وأولئك الذين يطاردونهم ولا يتركهم يتشابكون، إذ يعيق هجمات الأعداء حيث يقول ”فانتقل ملاك الله وعمود السحاب.. فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل.. فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل“²⁶⁰. يقصد بالملاك وبعمود

³ خر 14:16-13

⁴ خر 14:19-20

⁵ خر 14:15-16

⁶ خر 14:19-20

السحاب أيضًا المسيح لأن اسمه "ملاك المشورة العظمى" ²⁶¹.

بلاديسوس: أى عندما يتوسط المسيح سوف لا نصطدم بهؤلاء الذين يريدون أن يحاربوننا؟

كيرلس: هكذا يكون الأمر وأنت قد استوعبته بشكل سليم. أما ما هو غير ذلك، فإن وجهة نظري لن تتحرف عن هدفنا. لو فضلنا الآن أن نتخلص من محبة اللذة والحياة العالمية وأن نهتم بأن نتبع نواميس الله بأكثر غير ممكنة دون أن نكون أغنياء بعد بالنعمة الإلهية، بواسطة المعمودية المقدسة فلن نكون أقوياء ولا نقين عند الضرورة في تحمل الآلام والصبر عليها من أجل الفضيلة ولا نستطيع أن نتحمل محنة الحروب. ومثل النباتات التي بمجرد أن تبدأ في الإنبات لا يمكنها أن تحتل ضرر التعرض لأشعة الشمس القوية ولا أن تعاني من أى تلف صغير حتى لو زعزعتها هبوب رياح شديدة، إذ هي في حاجة شديدة على أى حال لمعونة فنية ورباط يربطها ببعضها ببعض. بنفس الطريقة على ما أعتقد، فإن نفس الإنسان المتحررة حديثاً من عبودية الشهوات والتي تسير نحو الأفضل وترغب في إتباع الناموس الإلهي، تكون غضة وطرية، ومن السهولة أن تنتهي وتتقهقر للخلف، وهي تشاهد أمامها المشقة ومتاعب الجهاد، وهكذا ستعتبر أنه من الأفضل أن ترجع إلى ما كانت عليه. هكذا الإسرائيليون عندما رأوا عدة المصريين، ارتعبوا فقط من منظر الحرب، وتشاحنوا مع موسى كليم الله وقالوا له "أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كُف عنا فنخدم المصريين. لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية" ²⁶². إذن فنفس الإنسان ضعيفة في الجهاد ومهيئة تماماً لقبول العبودية ومتخوفة جداً من المعمودية المقدسة، لكن لو أحيطت بالقوة السماوية ونالت النعمة، فسوف تواجه أولئك الذين يريدون أن يلاحقونها بقوة، وسوف تحارب ببسالة، وبسهولة كبيرة سوف تصد ثورات الخصوم، وذلك بالمسيح قائدها والمحارب عنها. لأنه ليس ممكناً أن ننتصر بطريقة أخرى، سوى هذه الطريقة.

بلاديسوس: إذن فكر بأى الأمثلة سوف تعرض لنا هذا، لأنه بالطبع لا يغيب عنك هذا الأمر.

كيرلس: نستطيع بسهولة أن نظهر هذا بأمثلة كثيرة، وأولاً من الأمثلة الغربية التي كتبها موسى نفسه. أولئك الذين ارتعبوا بشدة فقط من منظر المصريين، عندما عبروا البحر الأحمر وحققوا مثال المعمودية المقدسة، (لأنه وكما يكتب بولس الحكيم "اعتمدوا لموسى في السحاب وفي البحر")، برهنوا على أنهم محاربين ومرهبين أكثر في مواجهة الأعداء، بمعونة المسيح. فقد كُتب الآتي "وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم. فقال موسى ليشوع انتخب لنا رجالاً وأخرج حارب عماليق. وغذا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي. ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق. وأما موسى وهارون وهور فصعدوا على رأس التلة. وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذ حرجاً ووضعاه تحته فجلس عليه. ودعم هرون وهور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس. فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف. فقال الرب لموسى أكتب هذا تذكراً في الكتاب وضعه في مسامع يشوع.

¹⁷ إش. 9: 6

¹⁸ خر 14: 12

فإنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء. فبنى موسى مذبحاً ودعا اسمه يهوہ نسی. وقال إن الید على كرسي الرب. للرب حرب مع عماليق من دورٍ إلى دور“²⁶³.

بلادیوس: وأی معنى يمكن أن يكون لكل هذا الذي كُتب؟ إنى لا أفهم كثيراً.

كيرلس: لا توجد أية صعوبة، على ما أعتقد، لكل من يريد أن يفحص هذا الأمر بانتباه. لأن، لا أحد يفترض أن يشوع عندما قبل الأمر من موسى، فهذا لا يعنى بالتأكيد إلا أن الكلمة الذي هو إله بالحقيقة قد خضع للناموس، من جهة أنه قد أخذ شكل الإنسان، وقد خضع بطرق مختلفة للوصايا التي أعطيت بواسطة موسى، مرة محتملاً ختان الجسد، ومرة أخرى دافعاً الدرهمين للضرائب وأُحصى كواحد من ضمن المحسوبين في الناموس، ولذلك قال بوضوح ”لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس بل لأكمّله“²⁶⁴. لكن على الرغم من أنه خضع للناموس بسبب طبيعته الإنسانية، إلا أنه هو الإله والمخلص والفادى لكل الشعب. حيث إنه اختار من كل شعب الإسرائيليين، ومن كل جنس، رجال أقوياء، وأقصد الرسل القديسين وكل الذين قد دُعوا بالإيمان، الذين ينطبق عليهم القول ”أنتم جنس مختار، وكهنوت ملوكى، أمة مقدسة، شعب اقتناء“²⁶⁵. وقد وقف معهم رب الجميع وغالب الكل (المسيح)، أمام رئيس هذا العالم عندما قال ”الآن دينونة هذا العالم الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً“²⁶⁶. ويُتّوج العظيم يوحنا بصوتٍ مبهج كل من هم معه (مع المسيح) وبواسطته خرجوا منتصرين. لأنه يقول ”كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير“²⁶⁷. أليس هذا الذي أقوله حقيقة؟

بلادیوس: بالتأكيد

كيرلس: قال موسى إن الاصطفاف يجب أن يصير في اليوم التالى. لأنه لم تستعرض منجزات المسيح في عصره الخاص به (عصر موسى)، لكن صارت على الأغلب في (العصر) اللاحق، أى بعد موسى والناموس. بعد ذلك يصعد موسى على الجبل وعلى قمة تل ماء، لكى يستطيع أن يتابع المعركة وانتصارات يشوع فيها. لأن تعليم الناموس يصعد تدريجياً لكى نستطيع أن نلاحظ من بعد خطط المسيح القيادية. فعندما رفع موسى يديه انتصر الإسرائيليون، بينما عندما أنزلها صاروا ضعفاء وانتصر عليهم عماليق. لأنه صار حصناً منيعاً من الشيطان نفسه، ومن أى عدو كان، أراد ببغضه أن يفترسه، ليس بالطبع كل الشعب الإسرائيلى، لكن كل من فضلوا أن يتبعوا المسيح بأن يحملوا عاره، أى الصليب المكرم. لأن الأيدى مرفوعة هكذا في الهواء قد رسمت بوضوح شكل الصليب. لكن كل الذين لم يقبلوا الصليب صاروا صيداً سهلاً لهجوم الأعداء. إذ لم يأخذوا المعين معهم. فعندما يرفع موسى يديه لأجلنا مظهرًا شكل الصليب، ويسقط عماليق منهك القوى، هذا يشير لنا على أى حال، هؤلاء الذين يغلبون الشيطان ويتفوقون أمام أعدائهم بالصليب المكرم. أيضاً عندما تراه ينزل الأيدى وبعد ذلك

¹ 9 خر 16:8

² 0 مت 17:5

¹ 21 ابط 9:2

² 22 يو 31:12

³ 23 1 يو 14:2

ينتصر عماليق، فهذا يشير إلى هؤلاء الذين خضعوا للشيطان وقد هُزموا، لأنهم لم يروا أن قبول المسيح هو أمر ضروري، والذين إليهم توجه المسيح بالقول "لأنكم إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون في خطاياكم"²⁶⁸. وأن تثقل يدي موسى وصعوبة رفعهما وعبء مدهما، لكي تُظهر الشكل المكرم للصليب، يبدو لي أن ذاك يُعلن بطريقة خفية، أن الإسرائيليين لم يكونوا مهئين تمامًا لقبول الإيمان لذا تقدموا بتردد وصعوبة لحمل عار المسيح. ولهذا بالصواب دعا بولس العظيم الصليب عثرة لليهود لأنه مكتوب "فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذًا حجرًا ووضعاه تحته فجلس عليه. ودعم هرون وحور يداه الواحد من هنا والآخر من هناك فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس"²⁶⁹. المسيح هو حجر غالي، ومختار، وحجر زاوية، ثمين، الذي فوقه يستريح (لأن الجلوس يشير إلى الراحة) الموقرون والمستثيرون من الإسرائيليين، أولئك الذين غيرتهم النعمة لحسابها. ويرفعون الأيدي، أى يقبلون الصليب، والمسيح يعضدهم ويحفظهم لأجل هذا الأمر، كما دلّ على ذلك بحور وهرون، إذ يعنى في نفس الوقت القاضي (الديان) ورئيس الكهنة. لأن حور كان قاضيًا نزيهًا، بينما هرون رئيس كهنة، الذي جمع كل الذين اختارهم النعمة من الإسرائيليين لحسابها ولخلاصهم بالإيمان. أعتقد أن هذا ما يعلنه ذاك الذي قيل نبويًا بإشعيا: "لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابها عمورة"²⁷⁰. وعندما سقط ذاك الذي قاومهم، أى عماليق يقول "أكتب هذا تذكيرًا في الكتاب وضعه في مسامع يشوع"²⁷¹. وأنه كان يأمل بكتابة الإنجيليين القديسين أن تستمر ذكرى إنجازات المسيح المعجزية بلا نهاية وبلا حدود. ولكي تصير معروفة أمر أن يضعها في مسامع يشوع. إذ أن كتابات القديسين هي بمثابة إهداء للمسيح، كمدايح تمجيد له. وعندما سقط وانهزم عماليق، بنى موسى مذبحًا للرب وكتب عليه اسم "ربى هو ملجأى". وهذا يمكن أن يكون مثالاً للمسيح، لأنه صار ربنا وملجأنا عندما هزم رئيس هذا الدهر وداس سلطان الموت وقدم نفسه ذبيحة كاملة لأجلنا، لكي يصير رائحة ذكية لله الأب. وبالتالي فإن المذبح هو مثال للمسيح، الذي فيه الاسم "ربى هو ملجأى" هو لائق وحقيقى به.

بلاديسوس: أوافقك لأنك تفكر بالصواب.

كيرلس: طالما أن المسيح - بيد غير متطورة - حارب عماليق الذهني وهزمه وأخضع الأمم ونهب أمتعتهم (أنظر مت 29:12)، كما يقول هو نفسه أنه ربط القوى بالقيود. لأن القطيع الذي كان في وقت تحت سلطانه، أعنى الأمم، قد وحدهم برعيته القديمة، ولهذا قال "ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن أتى بتلك أيضًا فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد"²⁷². المسيح هو سلامنا، وفقًا للكتب، الذي جعل الاثنين واحدًا ونقض حائط السياج المتوسط، أى العداوة مبطلًا في جسده، ناموس الوصايا والفرائض اليهودى. وخلق الاثنين أى كل الذين كانوا مختونين وكل الذين هم من خارج الناموس في إنسان واحدٍ جديد (أنظر أف 2:14-15). انتبه أيضًا لهذا السر العظيم الذي

²⁴ يو 8:24

²⁵ خر 17:12

²⁶ إش 1:9

²⁷ خر 14:14

²⁸ يو 16:10

يرتبط بكل ما قلناه من قبل، كما بظلال ورموز. لأنه يقول: "فسمع يثرون كاهن مديان حمو موسى كل ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبه. إن الرب أخرج إسرائيل من مصر. فأخذ يثرون حمو موسى صفورة امرأة موسى بعد صرفها وابنيهما الذين اسم أحدهما جرشوم لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة. واسم الآخر أليعازر لأنه قال إله أبى كان عونى. ثم بعد ذلك " فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال " 273.

بلاديسوس: تعال إذن ثانيةً وخذ هذه الأمور واحدة واحدة، وأوضحها.

كيرلس: ألا تقبل أن المديانى هو من جنس آخر ومن الأمم؟ لأنه بالتأكيد لم يخرج من صلب إبراهيم. ومن جانب آخر هو كاهن وثنى ومؤمن إرادياً بالعبادة التي كانت في ذاك الوقت تُعبد في الأرض كما يقال، قد سجدوا لله العلى وقبلوه بطريقتهم الخاصة مثل ملكى صادق بالتأكيد، لكن قد قبلوا أيضاً بعض الآلهة الأخرى، محصين معه بعض المخلوقات الكاملة مثل الأرض، والسماء، والشمس، والقمر، والنجوم اللامعة جداً. وهذا الاعتقاد الفاسد والفهم المضل هو خطأ قديم ومستمر حتى اليوم. لأنه هكذا يؤمن حتى الآن بعض المخرفين من فينيقية وفلسطين، الذين يدعون من أنفسهم لعبادة آلهة، ويسلكون طريق وسط للديانة بدون أن يتفقوا تماماً لا مع عادات اليهود ولا مع اليونانيين، لكن هم مشتتون ومنفصلون عن الاثنين. وعندما اختار الإسرائيليون في وقت ما هذا الاعتقاد، وبخهم إيليا النبى قائلاً: " حتى متى تعرجون بين الفرقتين إن كان الرب هو الله فاعبدوه وإن كان البعل فاعبدوه " 274. إذن يثرون، وكما هو طبعى، اتبع طريقة عبادة مثل هذه، لكن عندما سمع بنفسه كل ما فعله الله لأجل خلاص الإسرائيليين، منبهراً من الروايات الموقرة والمستحقة كل إعجاب، ذهب إلى موسى ومعه كل أهل بيته وعشيرته. وعندما رآه موسى قبله بفرح وأخذه إلى خيمته وحكى له بالتفصيل الإنجازات الباهرة للقوة الإلهية والأعمال المعجزية التي تفوق كل منطق وكل قول. إن ذاك الجمع الذي وُجد في الضلال، أى الأمم هم مدعوون لكى يغيروا آرائهم ويرجعوا إلى الله، أولاً عن التعاليم الخاطئة التي ينادون بها عن الله وعن ذواتهم وبعد ذلك يتقدمون إلى الناموس الإلهى، أى إلى التعليم الذي يقدمه الكتاب المقدس. حتى ان الأمم تسرع إلى الخيمة الأولى، لأن الناموس هو المدخل. ومن ثم فبالروايات (الكتابية) القديمة قد غيروا اعتقادهم وبدأوا في التقدم نحو إدراك أن الله واحد ويجب أن يقدموا له التقدمة. فعندما سمع المديانى رواية موسى، قال "لأن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة لأنه في الشئ الذي بغوا به كان عليهم. فأخذ يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله. وجاء هرون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً مع حمى موسى أمام الله " 275. وبناء على ذلك فإن الناموس هو مُعَلِّم لبدائيات أقوال الله، وموسى يقودنا إلى المرحلة الأولى للمعرفة الإلهية الحقيقية أى بالمقدمة التعليمية عن الكتب المقدسة القديمة.

بلاديسوس: هذا بالتأكيد

²⁹ خر 22:18

³⁰ مل 21:18

³¹ خر 12:11

كيرلس: لكن المسيح يقود أولئك الذي تعلموا من الناموس إلى الكمال التام. وعندما أقول الناموس أعني العهد القديم. وموسى باستخدامه فقط الروايات عن الله في حديثه مع يثرون عبّر له عن معتقده حتى اعترف يثرون بصورة صريحة وقاطعة أنه لا يوجد إله آخر غير الواحد الذي هو بالطبيعة إله حقيقى. وهذا هو الإيمان الأول للمبتدئين (للموعوظيين)، أى أن يتحرروا من الاعتقاد بتعدد الآلهة وأن يقبلوا الإله الواحد الحقيقى. وهرون أعد مائدة ليثرون ودعاه ليأكل معهم، إذ يقول: " وجاء هرون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً مع حمى موسى أمام الله " ²⁷⁶. وحقاً إن المسيح هو هرون الحقيقى، الذي جعلنا كاملين بالخبز الحى، وصير ليس فقط كل الذين قد جاءوا من الأمم، ولكن أيضاً هؤلاء الذين أختيروا من دم إسرائيل، فكل هؤلاء صيرهم كاملين، الذين يُقال لهم هم الشيوخ. وكونهم يجب أن يأكلوا خبزاً أمام الله هى إشارة - ليست بقليلة الأهمية - للتقديس فماذا يمكن أن يكون إذاً هذا الذي يصير أمام أعين الله، إن لم تكن هى المائدة السرية والذبيحة والمشاركين فيها؟

بلاديسوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: وإذ نصير كاملين بواسطة المسيح نرتفع إلى فهم أعظم من تربية الناموس، ويمكن ان نتحقق من هذا بدون مشقة لو قبلنا أن موسى وهرون هما صورة نقية لهذا الأمر، لأنه يقول " إن موسى جلس ليقضى للشعب. فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء " ²⁷⁷. ويثرون اقترح عليه رأياً، وموسى قدره وقبله وراه أنه حسن جداً. إذ يقول " فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال " ²⁷⁸. أليس من يستطيع أن يصيغ فكرة أو رأى أفضل، يعتبر على أى حال من الأحوال أن لديه تعقل حسن جداً؟.

بلاديسوس: أتفق معك في هذا.

كيرلس: أيضاً إن كمالنا بواسطة المسيح هو الأعظم ويفوق كثيراً تعاليم الناموس، فالمسيح يرفعنا إلى معرفة فائقة وسامية وهذا ما يظهره لنا القديس بولس الذي - بسبب تفوق معرفة المسيح، كما قال هو بنفسه - قد قبل باستعداد هائل أن يحسب كل مكاسب الناموس خسارة، معتبراً إياها نفاية لكى يربح المسيح ²⁷⁹. وأولئك الذين يقدرون فقط كل ما سلّمه موسى، لكنهم لا يقبلون الكمال الذي يقدمه المسيح، يقول لهم النبی إرميا " كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقاً إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب. خزي الحكماء ارتاعوا وأخذوا. ها قد رفضوا كلمة الرب فأتية حكمة لهم " ²⁸⁰. أما نحن الذين لم نرفض الكلمة المخلصة " لأنه قد قبلنا بفرح تعليم المسيح "، فقد صار لنا هو نفسه حكمة مرسله من الله. إذن نحن أكثر غنى من جهة الفهم البشرى للناموس ومتعظين من وصايا الناموس ومتغذين بالخبز (كلمة الله) أمام الله، تعلمنا أن نقول ونؤمن بالأمور الفضلى. لأن يثرون يعطى مشورة وموسى يقبلها حسناً. إذن يمكن أن يعتبر يثرون ممثلاً عن الأمم، وموسى عن المؤمنين بالناموس.

³² خر 12:18

³³ خر 13:18

³⁴ خر 24:18

³⁵ في 8:7-3

³⁶ أر 9:8

بلاديسوس: ما قلته صحيح.

كيرلس: إذن، فالكمال بواسطة المسيح وقوة أسرارهِ تجعلنا حكماء وأقوى من الموت، ونسحق عماليق العقلي، أى الشيطان. وصحيح ما قاله المزمور "بالله تصنع ببأس وهو ييوس أعدائنا" ²⁸¹. أما لأجلنا نحن الذين قد حصلنا على بهاء الإيمان نادى أيضًا إليه "لأنك أنت فخر قوتهم وبرضاك ينتصب قرننا. لأن الرب مجننا وقدس إسرائيل" ²⁸². لأننا نحن الذين خلصنا نفتخر بقوة المسيح، ولدينا هذا "كترس للمسرة" ²⁸³ بحسب الكتاب. هناك مثال وصورة نقية يمكن أيضًا أن نصير، وهو ما كُتب في نهاية الكتاب الثانى للملوك (صموئيل الثانى) وهو كالآتي "ولما قام داود صباحا كان كلام الرب إلى جاد النبي: أذهب وقل لداود هكذا قال الرب. ثلاثة أنا عارض عليك فأخذ لنفسك واحدا منها فأفعله بك. فأتى جاد إلى داود وأخبره وقال له أتأتى عليك سبع سنين جوع في أرضك أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك أم يكون ثلاثة أيام وبأ في أرضك. فالآن أعرف وانظر ماذا أرد جوابا على مُرسلي. فقال داود لجاد قد ضاق بى الأمر جدا. فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة ولا أسقط في يد إنسان. فجعل الرب وبأ في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع سبعون ألف رجل. وبسط الملك يده على أورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى. الآن رُد يدك. وكان ملك الرب عند بيدر أرونة اليبوسى فكلم داود الرب عندما رأى الملاك الضارب الشعب وقال ها أنا أخطأت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا. فلتنكن يدك على وعلى بيت أبى. فجاء جاد في ذلك اليوم إلى داود وقال له أصعد وأقم للرب مذبحا في بيدر أرونة اليبوسى. فصعد داود حسب كلام جاد كما أمر الرب. فتطلع أرونة ورأى الملك وعبيده يقبلون إليه فخرج أرونة وسجد للملك على وجهه إلى الأرض وقال أرونة لماذا جاء سيدى الملك إلى عبده. فقال داود لأشترى منك البيدر لكى أبني مذبحا للرب فتكف الضربة عن الشعب. فقال أرونة لداود فليأخذه سيدى الملك ويصعد ما يحسن في عينيه. أنظر البقر المحرقة والنوارج وأدوات البقر حطبًا. الكل دفعه أرونة المالك إلى الملك. وقال أرونة للملك الرب إلهك يرضى عنك. فقال الملك لأرونة لا بل أشترى منك بثمان ولا أصعد للرب إلهى مُحرقات مجانية. فأشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلاً من الفضة. وبني داود هناك مذبحا للرب وأصعد مُحرقات وذبائح سلامة واستجاب الرب من أجل الأرض فكفت الضربة عن إسرائيل" ²⁸⁴.

بلاديسوس: أى معنى يمكن أن يكون لهذه الأمور لأنه من الصعب جدًا أن يُفهم هذا الكلام.

كيرلس: اعترف أنه صعب الفهم وحقًا هو صعب الإدراك. ولكن سوف أعرض المعنى الخارجى لهذا الجزء الذى قرأناه، ملخصين إياه في كلمات قليلة جدًا ومتعمقين فيه ذهنيًا. انتبه إذن يا بلاديسوس، (لأننا نفهم) سر المسيح وطريقة تدبير الله لأجلنا كما في مرآه وبتصورات ضعيفة.

بلاديسوس: هذا ستفعله أنت حسنًا جدًا، فأنت يمكنك أن تفهم هذا الأمر بمعونة الله.

³⁷ مز. 12:60

³⁸ مز 17:89-18س

³⁹ مز 12:5س

⁴⁰ صم 25-11:24

كيرلس: اسمع إذن. لأنى أتقدم بالفعل في هذا الذي يجب أن أقوله. لقد أهلك الموت شعب الرب من الغضب الإلهي وحتى ساعة الغذاء سيطر المهلك بدون أن يعوقه أحد. وعندما كان يضع يده على أورشليم أعاقه الله. وعندما رأى داود الملاك (الضارب) تَرَجَّى الرب بحرارة قائلاً إنه قد أخطأ، وأنه من الأفضل ومن الأحق أن يموت الراعى والرئيس لا الخراف، الذين لا يعرفون شيئاً. بعد ذلك بإعلان الله يبنى مذبح في بيدر أرونة، حيث اشتراه مع العجول التي كانت تدرس الغلال بخمسون شاقلاً من الفضة. ومن بعد أن بنى المذبح الإلهي بطريقة حسنة جداً، وقدم عليه ذبائح محرقات وذبائح السلامة، عندئذٍ توقف الشر وأبطل الموت السابق الرهيب. وأقر الكتاب المقدس أن المذبح كان في البداية صغيراً، وبعد ذلك أضاف عليه سليمان. ألا تعتقد أنه في الإمكان الوصف السريع لهذا المقطع؟

بلادديوس: نعم يمكن. والآن وضع كيف سيصير المعنى مفهوماً.

كيرلس: ألا تعرف - إننا نقرّ بأن طبيعة الإنسان قد انزلت إلى الموت والفساد، وجلبت هكذا غضب الخالق، كما حدث في بداية جنسنا أى آدم الذي خالف الوصية الإلهية الأولى وسمع الحكم "أنت تراب وإلى تراب تعود" ²⁸⁵.

بلادديوس: هذه حقيقة.

كيرلس: إذن من الصباح، أى من السنوات الأولى لعصرنا، والموت يأكل الساكنين على الأرض، حتى ساعة الغذاء، أى حتى وقت افتراش المائدة. وذلك عندما أتى وقت المائدة المقدسة، وهذا واضح بأنه يقصد المائدة السرية للمسيح، حيث نأكل الخبز الحى السماوى. إذ أن الموت السابق والمرعب والذي يصعب مواجهته قد أبطل، فالله برحمته تعطف علينا، وإذ أوقف الملاك المهلك مباشرة الذي كان يريد أن يمد يده المدمرة على أولئك الذين سكنوا المدينة المقدسة، أى أورشليم الذهنية، لكنه أعيق (عن التقدم) عندما تعطف الله برحمته. لأنه يقول "قف، كفى". بالتأكيد المدينة المقدسة هى الكنيسة، التي سكانها هم هؤلاء الذين صاروا كاملين من جهة القداسة بالخبز الحى. هذه المدينة الموقرة كثيراً والمستحقة الإعجاب يذكرها داود العظيم عندما يقول: "قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله" ²⁸⁶. لأن المسيح سكن داخلنا، الذي هو الحياة ومعطى الحياة. لهذا يعيق الله المهلك عن القديسين، لأنه لا يجب أن ينتصر بعد مجئ ساعة افتراش المائدة المقدسة، التي يشار إليها بعبارة وقت الغذاء. المسيح فداننا إذن، الذي يُشار إليه في شخص داود، لأنه إذ قد رأى الموت يُبِيد البشر، صار لأجلنا شفيحاً لدى الآب وقدم نفسه لأجلنا وخضع بإرادته للموت وأوقف الملاك المهلك عن عمله إذ اعتبر نفسه أنه خطية لأجلنا، ليس بمعنى أنه أخطأ، لكن بحسب الكتب "خطايانا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مضروباً من الله ومنزولاً فأحصى مع أئمة" ²⁸⁷. وبالطبع رغم أنه لم يعرف خطية "صار لعنة لأجلنا" ²⁸⁸ إذ يقول، يجب أن يتألم الراعى بالأحرى وليس الخراف كراعى صالح أعطى حياته لأجل الخراف. ومن ثم بالإعلان الإلهي رأى داود العظيم الملاك المهلك يهدأ ويتوقف إذ رآه يقول "بالقرب من البيدر"، وهناك

⁴¹ تك 19:3

⁴² مز 3:87

⁴³ إش 4:53 ، 12

⁴⁴ غلا 13:3

بنى داود مذبح، وقدم لله محرقات مع ذبائح سلامة (أنواع الذبائح وطرق تقديمها كانت وفقاً للناموس) بالبيدر الذي يعنى الكنيسة، التي عندما وصل إليها، توقف (المهلك) أخيراً وأبطل الموت ورّد يده التي كانت سابقاً مربعة ومدمرة لأن الكنيسة هي بيت الحياة بحسب الطبيعة، وهي بيت المسيح. نقول إن الكنيسة هي البيدر (الجرن) بالشبه والصورة إذ فيها يُجمع كحزم أى كسنابل، كل ما يُحصَد من الحياة العالمية بواسطة الحصادين القديسين، أى الرسل والإنجيليين لكي يصير حصادهم في البيادر السماوية، وكمثل مخزن للرب في أورشليم السماوية، إذ يُجمعون كقمح بعد نزع المواد عديمة الصلاح والأشياء الزائدة التي يُشار إليها بالتبن. فقد قال المسيح مرة في موضع ما إلى الرسل القديسين "أما تقولون أنه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد. ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد. والحاصد يأخذ أجره ويجمع ثمراً للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً" ²⁸⁹ وأيضاً "الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده" ²⁹⁰.

يسمى جموع المؤمنين العتيدين والحاصدين القديسين بالحصاد العقلي إذ يقول أن كل واحد منهم له في عقله ولسانه الكلمة الإلهية التي هي "حياة وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته" ²⁹¹، أظهر المعدادان الطوباوي الكنيسة باسم البيدر (أو الجرّ) قائلاً عن المسيح "أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشة في يده وسينقى بيذرة ويجمع القمح إلى مخزنه وأما التبن فتحرقه بنار لا تطفأ" ²⁹². هذا البيدر العقلي، أعنى الكنيسة، قد اشتراه المسيح بخمسين شاقل، أى بثمن ليس رخيصاً. لأنه لأجلها قدم نفسه ذبيحة وأقام فيها مذبحه. وحيث هو المُقدّم للذبيحة "لأنه صار رئيس كهنة" ²⁹³، قدم ذاته كذبيحة على شكل ومثال الثور الذي يُدرس (الغلال)، وصار ذبيحة محرقة وسلامة. لأن الحاجز المتوسط نُقض بواسطة المسيح، ونحن الذين كنا قديماً بعيدين ومنفصلين بسبب الخطية، دخلنا بواسطته، إلى الله الآب نفسه، ناقضاً تلك العداوة القديمة. لأنه "هو سلامنا" ²⁹⁴ بحسب الكتب.

بلاديسوس: بناء على ذلك الثور الذي يدرس، نعني به أنه هو المسيح؟ كيف يمكن هذا؟.

كيرلس: ألم يشر الناموس الموسوى، إلى التلاميذ القديسين على أنهم ثيران تدرس؟ لأنه يقول بطريقة مبهمّة "لا تكلم الثور في درسه" ²⁹⁵. وهذا ما يقصده بولس الطوباوي بوضوح شديد عندما يقول "فإنه مكتوب في ناموس موسى لا تكلم ثوراً دارساً. ألع الله تهمه الثيران أم يقول مطلقاً من أجلنا. إنه من أجلنا مكتوب. لأنه ينبغي للحراث أن يحراث على رجاء وللدارس على الرجاء أن يكون

⁴⁵ يو 4:35-36

⁴⁶ مت 9:37-38

⁴⁷ عب 4:12

⁴⁸ لو 3:16-17

⁴⁹ عب 6:20

⁵⁰ أف 2:14

⁵¹ تث 25:4

شريكاً في رجائه“²⁹⁶. الثيران إذن تعنى صورة الأول، أى المسيح، وهى أيضاً التلاميذ الطوباويون. وبتفسير آخر الثور الذي يدرس هو المسيح. لأنه بواسطته تحدث تنقية وإخراج للمواد غير اللازمة، أقصد الاهتمامات الجسدية العالمية والمضللة، والتي قد صارت وقوداً للهبب مثل التبن. لكن عندما أقيم المذبح وقدمت عليه ذبيحة السلامة والمحركة، بطل الحزن. لأن السيد سمع توسل الأرض وتوقف الملاك المهلك. لأنه، عندما قدم المسيح ذاته ذبيحة لأجلنا، أبطل الموت والفساد وتحول الفساد إلى عدم فساد، إذ وعد الله ضابط الكل بأنه سيكون مستعداً لسماع صلوات الجميع. إذ يقول: ”ويكون أنى قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع“²⁹⁷. هذا والاتساعات اللاحقة للمذبح الأول الصغير تعلن عن تقدم الإنجيل في الوقت المعين، كما أيضاً الانتشار الكبير للكنائس بعد الانتشار الأول المحدود. لأنه قد زادت المذابح بإضافة كنائس أخرى غير التي كانت في البدايات، وذلك بتضاعف العدد غير المحصى للشعوب، التي نالت الفداء بذبيحة المسيح، آخذين نفس المُقدم والذبيحة المقدسة، ذات الرائحة الذكية النقية، وآخذين في شكل البيدر المذبح الذي يستحق كل إعجاب والسيد رب الكنيسة.

بلاديسوس: قولك واضح جداً إذ قد صار بمهارة عظيمة.

كيرلس: وهل أنت نفسك دون أن تتردد إطلاقاً ألا تقول أن المسيح هو الحياة والفداء للجميع؟.

بلاديسوس: اعلم أنني كنت سأقول هذا لأنى عندي نفس الرأي.

كيرلس: مات الواحد لأجل الجميع، الذي هو مستحق في كل شئ، وأعطى حياته بدلاً عن حياتنا، وأبطل طرق الشيطان الشريرة، وأوقف شكاية الخطية التي تسلطت علينا وثرثرتها أيضاً عن جرائم الجميع.

بلاديسوس: بأى طريقة تعنى هذا؟

كيرلس: بسبب أنه قد ملكت الخطية على كل من على الأرض، لذا انجذب كثيرون من الأحداث إلى الشرور كما هو مكتوب (تك5:6) والجميع أصرّوا تماماً على تحقيق كل ما يريدونه، وهكذا وجدنا أنفسنا حتمياً محسوبين لقضاء الموت. لأن نتيجة مخالفة الناموس الإلهي وعدم الطاعة للإرادة الإلهية كان حكم الموت. ولذا حزن الخالق على طبيعة الإنسان التي فسدت وصار الوحيد الجنس إنساناً وجعل جسده يحتمل الموت لأجلنا ذلك الذي تسلل إلينا بسبب الخطية لى بموته يُبطل الخطية ويوقف اتهامات الشيطان نحونا، إذ قد سُددنا في شخص المسيح نفسه جزاء اتهاماتنا بسبب الخطية، لأنه وفقاً لكلمات النبي ”هو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين“²⁹⁸. ألم نُشفى نحن بآلام ذاك؟

بلاديسوس: هذا حقيقي ”لأنه هو مجروح لأجل معاصينا ومسحوق لأجل آثامنا“²⁹⁹.

كيرلس: إذن أبطلت الخطية بآلام المسيح لأجلنا، ولم يعد لها غلبة على المقدسين بواسطة المسيح.

⁵² 1كو9:9-10

⁵³ إش24:65

⁵⁴ إش12:53 أنظر يو29:1

⁵⁵ أنظر إش5:4-5

وهذا سيُظهره لنا بوضوح النبي زكريا حين قال وهو يشاهد رؤيا: "ثم خرج الملاك الذي كلمني وقال لي ارفع عينيك وانظر ما هذا الخارج. فقلت ما هو. فقال هذه هي الإيفة الخارجة. وقال هذه عينهم في كل الأرض (هذا هو ظلم البشر على كل الأرض). وإذا بوزنه رصاص رُفعت وكانت امرأة جالسة في وسط الإيفة. فقال هذه هي شر فطرحها في وسط الإيفة وطرح ثقل الرصاص على فمها. ورفعت عيني ونظرت وإذا بامرأتين خرجتا والرياح في أجنحتهما. ولهما أجنحة كأجنحة اللقلق فرفعنا الإيفة بين الأرض والسماء. فقلت للملاك الذي كلمني إلى أين هما ذاهبتان بالإيفة. فقال لي لتبنيا لهما بيتاً في أرض شنعار. وإذا تهيأ تفر هناك على قاعدتها"³⁰⁰. أتريد أن نشرح أيضاً الكل واحدة واحدة وأن نحللها بقدر ما نستطيع؟

بلادديوس: أريد جداً بالتأكيد.

كيرلس: رأى النبي وعاء مكيال قد خرج من أورشليم، وعندما سأل ماذا يكون هذا، قال له الملاك "هذا هو ظلم البشر على كل الأرض"³⁰¹. كما لو قال إنه بهذا المقياس تقاس الخطايا عبر الأزمنة لكل من يخطئون على كل الأرض. فعندما تصل خطيئتنا إلى كم ظاهر، عندئذٍ يفرض المشرع الإدانة وهو حزين. إنه باستمرار يُظهر صبراً من محبته الطبيعية للبشر ويحتمل كل من يخطئون ولا يغضب قبلما تكتمل الخطية، فمن جانب آخر قال لإبراهيم القديس "لأن نذب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً"³⁰² وإلى الفريسيين الذين تفوهوا كثيراً بغير انضباط. قال المسيح: "فاملأوا أنتم مكيال آبائكم"³⁰³. إذن عندما خرجت إيفة القياس وطُرحت وزنة الرصاص وأُلقيت المرأة التي ملئت في وسط هذا المقياس، وقبلت في فمها وزنة الرصاص. قال الملاك "هذه هي آثامهم".

بلادديوس: كلامك ليس واضحاً بعد.

كيرلس: سيصير واضحاً ولن يتأخر كثيراً. وزنة الرصاص هي المسيح نفسه، الذي رُفع بالصليب ونراه يشع بمجد الألوهية. لأن الله رفعه عاليًا وأعطاه اسماً فوق كل اسم (فيلبي 2:9)، وأغلق فم الخطية وفقاً لهذا الذي قيل في المزامير "وكل إثم يُسد فاه"³⁰⁴، الخطية لا يمكنها أن تشتكي هؤلاء الذين أخطأوا عن ضعف وقد تبرروا بالإيمان. لأنه يقول "الله هو الذي يبرر من هو الذي يدين"³⁰⁵. وطالما أن المسيح تألم لأجلنا، فكيف سنستمر نحن وفقاً لهذا أن نأخذ لأنفسنا العقوبة عن خطايانا؟

بلادديوس: تكلمت بالصواب. إذ قد تبررنا بإيماننا بالمسيح والشكوى التي ضدنا بسبب الخطية قد تصدّينا لها بأكثر فاعلية. لكن سأكون شاكرًا جداً لو علمت منك لأي سبب يشار إلى المسيح بكتلة الرصاص وتُعرض الخطية في شخص المرأة؟.

⁵⁶ زك 5:11

⁵⁷ زك 6:5

⁵⁸ تك 16:15

⁵⁹ مت 32:23

⁶⁰ مز 42:107

⁶¹ رو 8:33-34

كيرلس: هذا من السهل أن نتعلمه من الكتاب المقدس. لأنه يقدم المسيح وحتى الآن بأمور أخرى كثيرة والتي تفهم عنه بحسب النوعية التي تعلنها هذه الأمور.

بلادديوس: ماذا تعنى بهذا؟

كيرلس: صار (المسيح) لأجلنا الأساس والأمان، ودعامة ثابتة، وحجر الأساس غير المتصدع. لهذا سُميَ حجرًا إذ يقول "هاأنذا أؤسس في صهيون حجرًا حجرًا امتحان حجر زاوية كريمًا أساسًا مؤسسًا من آمن لا يهرب"³⁰⁶. وفي موضع آخر يسمى أيضًا جوهرة الكنيسة اللامعة والمستحقة كل إعجاب، غنانا الروحي. دُعي اللؤلؤة لأنه يقول "يشبه ملكوت السموات إنسانًا تاجرًا يطلب لآلئ حسنة فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها"³⁰⁷. لقد وُحِّدنا بذاته مع الله الأب مبطلًا العداوة بجسده كما هو مكتوب (أفسس 2:15-16). وحقًا قال لأبيه السماوى عن كل الذين تبرروا بإيمانهم فيه "أيها الأب أريد كما أنك أنت فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا"³⁰⁸. من وجهة النظر هذه سُميَ حجرًا من القصدير لأن القصدير يلصق كل ما يقبل اللصق، ويقول الله في موضع آخر بصوت زكريا، مظهرًا لنا ابنه نفسه الذي سوف يصل وسيأتى في وقته "فتفرح أولئك السبع ويبرون الزيج (حجر القصدير) في يد زربابل"³⁰⁹. إذن وهكذا هنا يسميه بالرصاص المفيد وسأقول لك أيضًا لأى سبب. الفضة الخام عندما تختلط بالرصاص تنقى حسنًا جدًا، حيث الرصاص يجذب إلى نفسه وبطريقة طبيعية شوائب الفضة التي تحترق معًا. شئ مثل هذا حققه المسيح لنا نحن أنفسنا. بينما كنا غير أنقياء ومرفوضين، اتحد بنا جسديًا وروحيًا وهكذا طهرنا من الوساخة التي كانت عالقة بداخلنا. لقد نزع خطايانا لكى نصير أنقياء ولامعين له وبواسطته. والشعب اليهودى الذي لم يقبل التطهير بواسطة المسيح يرثيه النبى إرميا قائلاً: "احترق المنفاخ من النار فى الرصاص. باطلاً صاغ الصائغ والأشرار لا يفرزون. فضة مرفوضة يُدعون. لأن الرب قد رفضهم"³¹⁰. هل أدركت إذن أن الكتاب المقدس لم يجهل أن نقاوة الفضة لا يمكن أن تصير بدون الرصاص. حيث إن المسيح نقانا بينما كنا غير أنقياء لهذا شبهه بالرصاص، فهو الذي سدّ فم الخطية التي أخذت شكل المرأة. إن المرأة هي رمز للضعف ولكن أيضًا للذة، (وبالضعف واللذة) يتم كل إثم. لأنه بقبول لذة مثل هذه أو أخرى يُفسد العقل، ويُقطع الحس وهكذا تهرب نفس الإنسان من الآلام التي تقود إلى الفضيلة وتسقط هكذا النفس في الخطية. لهذا يُدعى البعض بالحرى محبى اللذة لا محبى الله (أنظر 2 تيمو 3:2) ويُضيف النبى عن أولئك الذين أخذوا علة الخطية من المرض النفسى وأنحطوا في الدناءة قائلاً "شددوا الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها"³¹¹.

بلادديوس: حسنًا، هذا يُشرح هكذا. اخبرنى الآن عن المرأتين اللتين نقلن مكيال القياس والإثم إلى أرض البابليين؟ ماذا يُريدا أن يُعلمنا؟

⁶² إش 28:16.

⁶³ مت 13:45-46.

⁶⁴ يو 21:17.

⁶⁵ زك 10:4.

⁶⁶ إر 6:29-30.

⁶⁷ إش 3:35.

كيرلس: المسيح، يا عزيزي، قد سدّ فم الإثم. لأنه قد تبررنا به، وعتقنا من كل اتهام وأوقف هجوم الإثم ضدنا. طالما هدف تدبير المسيح هذا قد صار لأجلنا، واحتمل الموت عن كل واحد منا ولأجلنا، على الرغم من أنه قام ثانية. لأنه لم يكن واردًا أن تُهزم الحياة من الموت. لكن البعض لم يصدقوا إنجيل المسيح ومن حيث أنهم لم يقبلوا فدائهم من الخطية، فهم يحملونها أيضًا كالحمالين معلقين إياها على رؤوسهم وهذا من ضعف عقولهم ورخاوة النفس وعدم شهامتها. هؤلاء تجلب عليهم (الخطية) كل روح شرير وأيضًا تدفعهم إلى ممارسة كل نوع من أنواع النجاسة، أكثرين بقدر ما يستطيعون من كل رغبة في الدناءات. علامة هذه الرغبة هي الأجنحة والتي يسمونها - كما يقال - هُدهد هذا نوع من العصافير التي تغطس دائمًا في البرك القذرة جدًا وتلتقط غذاءها من داخل القذارة والنجاسة. وكل الذين ينفقون حماسهم في القذارة، هؤلاء يمكن أن يُقال عنهم بسهولة إن لهم أجنحة الهُدهُد. وسلوكهم يتصف بسلوكيات أنثوية وأخيرًا هم يتمثلون بالخطية التي تسود عليهم سطوتها القاهرة. ومثلما صار الذين يسمعون المسيح متمثلين به بالتقديس، هكذا صار أولئك الذين اختاروا أن يتنقلوا بالدناءة النجسة متمثلين بالعصيان وما شبه ذلك. وإذ تنتقلان المقياس إلى بابل وهناك يطلبين مسكنًا، فإن هذا يعنى، على ما أعتقد، أن الشخص الذى لم يُفضل حياة المسيح ولم يحب سد فم الخطية، بسبب أن كل اهتمامه ينصب فقط على النجاسات، فإنه سيخرج من أورشليم المقدسة، أى من الأم المقدسة للأبكار، مدينة السماء الجميلة وإذ يحمل حمل الخطية الثقيل جدًا سوف يسكن مع البابليين، أى سيكون لديه نصيب وميراث مشترك مع عباد الأوثان لأن كل من احتقر الفداء بالمسيح سيكون له نفس المصير مع غير المؤمنين. حقًا يقول المخلص: "وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع فخذ معك أيضًا واحدًا أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عنك كالوثني والعشار"³¹². إذن (الكتاب) ليس صعب الفهم، لكن بالحرى يؤكد لنا كل الكتاب المقدس، أن كل تبرير وكل فداء يوجد في المسيح.

بلاديس: لقد تكلمت حسنًا جدًا.

انتهى الجزء الثاني، والآن الجزء الثالث من الكتاب

مؤسسة القديس أنطونيوس

المركز الأرثوذكسي

للدراستات الآبائية

بالقاهرة

نصوص آبائية - 66

السجود والعبادة بالروح والحق

الجزء الثالث

(المقالتان الرابعة والخامسة)

للقديس كيرلس الأسكندري

ترجم المقالة الرابعة: أ. جورج عوض

ترجم المقالة الخامسة: د. سعيد حكيم

راجع المقاليتين: د. نصحي عبد الشهيد

مارس 2003م

أيقونة الغلاف:

أيقونة القدیس کیرلس عمود الدین بالمقر البابوی بالأنبا رويس بالعباسية للفنان د. إيزاك فانوس، تصوير دير مار مينا بصحراء مريوط، القس أنجيلوس أفا مينا.

اسم الكتاب : السجود والعبادة بالروح والحق - المقاتل الرابع والخامسة

اسم المؤلف : القدیس کیرلس الأسکندری (عمود الدین)

اسم المترجم : أ. جورج عوض إبراهيم - د. سعيد حكيم

الناشر : مؤسسة القدیس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية بالقاهرة:

8 (ب) ش إسماعيل الفلكي - الدور الأول محطة المحكمة مصر
الجديدة ت: 2414023

E-Mail: santonio@link.net

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة

2 ش المدارس حدائق القبة ت: 4827074 - 4865378

رقم الإيداع : 17423 لسنة 2001

الترقيم الدولي :

www.orthodoxonline.org

مقدمة

هذا هو الجزء الثالث من كتاب " السجود والعبادة بالروح والحق " للقديس كيرلس الأسكندري؛
ويحوى المقالتين الرابعة والخامسة.

ويتحدث القديس كيرلس فى المقالة الرابعة عن :

" أن من دُعوا للتبرير والفداء عليهم السلوك في طريق الله "

وفي المقالة الخامسة يتحدث عن:

" الشجاعة التي بالمسيح "

ونرجو الرجوع إلى المقدمة العامة عن كتاب "السجود والعبادة بالروح والحق" في الجزء الأول.

وكان المركز قد نشر الجزء الأول في شهر ديسمبر سنة 2001. ونشر الجزء الثاني في يوليو 2002. وسيوالي المركز نشر بقية الأجزاء تباعا.

ليبارك الرب في هذه الكتابات لبنيان كنيسته ولمجد اسمه القدوس بصلوات جميع القديسين، وصلوات قداسة البابا الأنبا شنودة الثالث،

ولإلهنا كل مجد وتسبيح وسجود الآن وإلى الأبد آمين،

المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية
بالقاهرة

15 فبراير 2003م

8 أمشير 1719ش

عيد تقديم المسيح إلى الهيكل

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية
بالقاهرة

نصوص أبائية - 66

السجود والعبادة بالروح والحق

الجزء الثالث
(المقالتان الرابعة والخامسة)

للقديس كيرلس عمود الدين

كتابات الآباء التي صدرت

: نصوص للآباء صدرت ونفدت . 59 ، 54 52 ، 5047 ، 4541 ، 38-1

- 39 : رسائل القديس كيرلس (الجزء الرابع) من 50 . إلخ
- 40 : تفسير الرسالة الثانية إلى تيموثيوس . للقديس يوحنا ذهبي الفم .
- 46 : رسالة اكليمندس الروماني إلى الكورنثيين .
- 51 : شرح إنجيل يوحنا . الجزء الرابع . للقديس كيرلس الأسكندري
- 55 : المقالة الرابعة ضد الآريوسيين .
- 56 : رسائل القديس كيرلس الأسكندري إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي (طبعة ثانية)
- 57 : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الخامس) . للقديس كيرلس الأسكندري
- 58 : السجود والعبادة بالروح والحق . المقالة الأولى . للقديس كيرلس الأسكندري
- 60 : أحد الرفاع (من تفسير إنجيل متى) . للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 60 : أحد الأول (أحد الكنوز) (من تفسير إنجيل متى) . للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 1
- 60 : صوم المسيح وتجرته في البرية . للقديس كيرلس الأسكندري
- 2
- 60 : مثل الابن الضال . للقديس كيرلس الأسكندري
- 3
- 60 : لقاء المسيح مع السامرية . للقديس كيرلس الأسكندري
- 4
- 60 : شفاء مريض بركة بيت حسدا . للقديس كيرلس الأسكندري
- 5
- 60 : شفاء المولود أعمى . للقديس كيرلس الأسكندري
- 6
- 60 : دخول المسيح أورشليم (أحد الشعانين) . للقديس كيرلس الأسكندري
- 7
- 61 : السجود والعبادة بالروح والحق . المقالتان الثانية والثالثة . للقديس كيرلس السكندري
- 62 : تجسد الكلمة (ترجمة جديدة عن اليونانية) . للقديس أنثاسيوس الرسولي
- 63 : الصلاة . للقديس يوحنا ذهبي الفم .
- 64 : المقالة الأولى ضد الآريوسيين (طبعة ثالثة منقحة) . للقديس أنثاسيوس الرسولي
- 66 : السجود والعبادة بالروح والحق . المقالتان الرابعة والخامسة . للقديس كيرلس الأسكندري
- يُطلب هذا الكتاب من :

> المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت : 2414023.

> بيت التكريس ت : 4836389.

> ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة : 2.25 جنيه

المركز الأرثوذكسي للدراسات الآثائية

السجود والعبادة بالروح والحق (المقتاتان الرابعة والخامسة)

القديس كيرلس الأسكندري

مارس 2003

www.orthodoxonline.org

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة الرابعة

إن كل من دُعِيَ من الله للتبشير وقد نال الفداء،
ينبغي أن يسلك في طريق الله،
وطالما هجر التنعم الذي يفود إلى الوضاعة،
عليه أن يُسرّع لكي يحيا بالحرى بصلابة وفقاً للناموس

السجود
والعبادة

بالروح
والحق

المقالة الخامسة

الشجاعة

التي

بالمسيح

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة الرابعة

إن كل من دُعِيَ من الله للتبرير وقد نال الفداء، ينبغي أن يسلك في طريق الله، وطالما هجر التنعم الذي يقود إلى الوضاعة، عليه أن يُسرّع لكي يحيا بالحرى بصلابة وفقاً للناموس

كيرلس: يا بلاديوس؛ إنه خطر كما يبدو، وأقول إنه مكروه جداً ويعتبر غباوة شديدة ألا يكون للإنسان الرغبة الملحّة لنبيذ الدناءة والخطية. أي العيش منغمسين في لذات غير مقبولة مستسلمين إلى تصرفات أنثوية رخوة، ونهمل التّقدم في الفضيلة، بالرغم من أنه لدينا إمكانية عظيمة بمعونة المسيح لكي نرتقي إلى حالة جديرة بالمدح. أيضاً ينصحنا بولس القديس قائلاً: "أخيراً يا اخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته"³¹³.

بلاديوس: إنك شيق جداً في حديثك.

كيرلس: إذن فلنحصل على القوة بمعونة المسيح، لكنني أعتقد أنه بدون تعب وكد وإصرار، لن يفلح أحد في محاربة الشهوات ببسالة، ولن يستطيع أن يوجه عقله نحو هذا الهدف.

بلاديوس: أوافق.

كيرلس: طبعاً إنه أمر مبهج، ويستحق أن يجتهد الإنسان لكي يناله. ومن المؤكد أن هؤلاء الذين يظنون في خمول، لن يستطيعوا إدراكه، لكن الذين يفلحون فيه بسهولة هم الذين يقدرّون التعب والكد. لأنه مكتوب: "من يتعب، يتعب لنفسه ويجاهد لعدم فتنائه"³¹⁴. لأن بقليل من الجهد والعرق يستطيع المرء أن ينجز أموراً عظيمة، أظن أنه غير مقبول أن يجهل المرء هذا الأمر. أليس خلاص النفس أئمن لنا من كل الأشياء الأخرى، وأن يجاهد المرء بكل قوته لأجل حياته؟

بلاديوس: هذا أكيد جداً.

كيرلس: ألا تظن أن السمعة الحسنة والشهرة العظيمة يحصل عليها الرياضيون، الذين يتدربون بجدية و بانتظام، واضعين الفوز بالجائزة نصب أعينهم، أم أن أولئك الذين يلقون بأنفسهم في الممتع الدنيوية مفضلين حياة الخمول على الحياة الفضلى هم الذين يحصلون عليها؟

بلاديوس: لا شك في أن الفوز لن يكون من نصيب المصابين بمرض الخمول، بل هو من نصيب أولئك النشطاء والمستعدين.

كيرلس: إذن، فإننا نقول، إن اكتساب المجد لن يكون من نصيب هؤلاء الذين يزعمون قائلين: إننا نخلص ونصير في حالة حسنة عن طريق الراحة والاستمتاع.

بلاديوس: بالتأكيد لا .

كيرلس: إذن نخرج باستنتاج، أن النجاح والسمعة الطيبة سيكونان من نصيب هؤلاء الذين يحبون التعب والجهاد، وأنه بدون جهاد لا يستطيع أحد أن يقتني المجد.

³¹³ أف: 10:6.

³¹⁴ أم: 26:16.

بلادبوس: هذا منطقي.

كيرلس: يجب إذن يا بلادبوس، أن نتقدم مباشرة نحو ما يستحق الثناء وأن نسعى إلى الشجاعة وطيبة النفس التي تقود إلى الفضيلة، التي يمدحها كثيرًا جدًا الكتاب الموحى به من الروح، وهي التي استأثرت بنفوس القديسين والذين أحبوها. ولهذا قال داود العظيم لكل هؤلاء الذين يضعون نصب أعينهم هذه الفضيلة: "لنتشدد ولنتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب"³¹⁵. وهذا بالضبط ما قد اختبره (داود) أكثر من كل الأشياء الأخرى، إذ يفخر ويقول: "الرب نورى وخلصي ممن أخاف. الرب حصن حياتي ممن أرتعب"³¹⁶. حقًا، تحيط بنا عثرات لا حصر لها، وجمع لا يُحصى من الأرواح الشريرة يحرضوننا على الخطية، وأيضًا أليست الغرائز غير المروضة المغروسة فينا، ومحبة المال والأطماع تهاجمنا مع الأمور الأخرى الناتجة عنها مثل القتل، والفساد، والكراهية، والنميمة. فلا داعي للكلام عن الذين يندفعون بسهولة بمثل هذه الأمور، ولا عن الجهد الذي يتحملونه لممارسة هذه الأمور المعيبة، إذ أنهم يقتربون منها مستسلمين للأعداء مقدمين لهم فوزًا رخيصًا، كنبات البنجر الذي لم يُسلق جيدًا وفقًا لقول النبي³¹⁷، كما لو كانوا ملقنين على الأرض ومرتعدين بدون اشتباك تحت برائن الخطية.

وبالعكس فإن كل الذين يحبون الفضيلة والصلاح ويشتهون المجد السماوي ويشتاقون لنوال الحياة الأبدية، يواجهون الشهوات التي تهاجمهم ببسالة وجرأة، مميّتين نزوات الجسد، ومنتصرين على الأهواء التي تنور في داخلهم. هكذا يصدّون كل أنواع الشرور والخطايا وفطنة عظيمة، إذ يعيشون حياة مقدسة بلا لوم. هؤلاء يقول لهم بولس العظيم: "فأثبتوا منطقتين أحقاءكم بالحق ولايسين درع البر. وحانين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة"³¹⁸. أي أن هذه الأسلحة الروحية هي التي تتناسب القديسين، والتي يجب علينا نحن أيضًا أن نقتنيها، كما يأمرنا مخلصنا نفسه بقوله: "لتكن أحقاءكم بمنطقة (مربوطة) وسرجمكم موقدة"³¹⁹. وكلمة "منطقوا" تشير إلى الأحقاء المنطقة جيدًا والمُحكمة تمامًا اللازمة للجهاد والتعب لأجل الصلاح ومحبة الله. وعبارة "البسوا أحذيتكم" تشير إلى الاستعداد والتهيؤ للرحيل من العالم، ولكي نستطيع ونحن هنا في العالم أن نسلك حسب إرادة الله. و"السرجم موقدة" تشير إلى أنه لا توجد حياة في الظلام، ظلام الجهل، لكن بنور المسيح يمكننا أن نسلك في أي أمر يستحق التقدير والثناء. ولذلك نادى المسيح اليهود الذين رفضوا أن يفعلوا هذا قائلاً: "النور معكم زمانًا قليلًا بعد، فسيروا مادام لكم النور لئلا يترككم الظلام"³²⁰. إذن الاستعداد والتهيؤ للفضيلة والشجاعة المرتبطة بالتدبير الحكيم، كل هذه تجعل محبة التقوى ساطعة وظاهرة.

بلادبوس: لقد أصبت جدًا في حديثك.

كيرلس: الإنسان لا ينال المكانة المرموقة بمحبة الاسترخاء والراحة، بل بالجهاد، فياحتماله للمتاعب يصير مرموقًا وينال التكريم. فعندما كان الإسرائيليون في مصر، وضع عليهم فرعون الشرير رؤساء مشرفين مرعبين وقساة الذين فرضوا عليهم أعمالاً شاقة، فكل أنواع القسوة والتعذيب فُرضت عليهم إجباريًا، ولكن الإسرائيليين استقادوا منها ولم يتضرروا. وكان فرعون يخاف من العبرانيين وهو يراهم يتزايدون كثيرًا، لذا حاول أن يوقف نموهم واتحادهم. ويقول الكتاب: "عَيْنُ رُؤَسَاءِ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يَنْلَوْهُمْ بِأَتْقَالِهِمْ"³²¹. لكن هذا التفكير أتى بنتيجة عكسية. إن الإذلال الذي فُرض عليهم، كان سببًا في نموهم. فقد دبر الله الأمر، إذ أمام مكائد فرعون نجد نعمته الخاصة، لأنه يقول: "ولكن بحسبما أنلوهم هكذا نموا وامتدوا"³²².

هكذا يجلب الشيطان الأحزان ويصرّ بأسنانه على القديسين، إذ يهاجم هؤلاء الذين هم خاصة الله، ويحاول

³¹⁵ مز 24:31.

³¹⁶ مز 1:27.

³¹⁷ إش 20:51.

³¹⁸ أف 6:16.

³¹⁹ لو 12:35، بحسب نص كيرلس وردت الآية هكذا: "ليكن وسطكم مربوطة وأحذيتكم في أرجلكم وسرجمكم موقدة".

³²⁰ يو 35:12.

³²¹ خر 11:1.

³²² خر 1:12.

الانقضاض عليهم واحدًا فواحدًا، وهم "طعامه المُسمَّن" كما هو مكتوب³²³. لكن هؤلاء الذين يعانون من هذه الأمور، سيصيرون أفضل بفضل هذه التجارب؛ فبالصبر والاحتمال في هذا الجهاد يكتسبون مجداً أكثر، حتى أن أموره الشيطانية التي كان يديرها للإيقاع بهم في براثن الشر قد تحولت - دون أن يقصد - إلى فائدتهم. هكذا الأمور التي ظن أنه سينتصر عليهم بها قد جعلتهم أيضاً أكثر قوة.

وبما أن مكيدة فرعون كان لها نهاية غير متوقعة، وتلك الأمور التي صنع بها الشر معهم قد تحولت لفائدتهم، فقد أدرك الأمر متأخراً ولذلك غيّر أسلوبه في السيطرة عليهم. لأنه يقول دعا فرعون قابليتي العبرانيات: "وقال حينما تُولدان العبرانيات وتتنظرانهن على الكراسي، إن كان ابناً فاقتلاه وإن كان بنتاً فتحيها. ولكن القابليتين خافتا الله ولم تفعل كما أشار عليهما ملك مصر، بل استحيتا الأولاد"³²⁴. وحيث إن شره ضد جنس العبرانيين ظل عبثاً وبلا جدوى - إذ أن الله لم يترك القابليتين لتفعلوا هذا الأمر - استمر فرعون في تعسفه الواضح. فهو لم يرد أن يذلهم (بالطريقة الأولى)، لكنه شرع في حرب بلا هوادة، وكرر موتاً شنيعاً للأطفال حديثي الولادة، لأنه يقول: "ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً: كل ابن يُولد تطرحونه في النهر. لكن كل بنت تستحيونها"³²⁵. بالتأكيد لم يعط اهتماماً بالبنيات، لأن المرأة بطبيعتها لا تحب الحرب، وكذاها لم يكن ذو أهمية عنده. بينما الذكر يزججه إذ أنه ذو حكمة وفطنة في الحرب.

إن التنتين بتعطشه للدماء؛ أي الشيطان، يفرح ويُسرّ بطبيعة النساء الضعيفة وعدم القدرة على الحرب، وعدم الدراية بفنون الحرب. على العكس، فهو يحارب حياة التأهب والاستعداد، التي هي أفضل من الرخاوة، وبسبب امتلاكها للمعرفة تنتصر على الخوف. لذلك ترك الأنثى لتعيش، ولم يحكم عليها بالموت. لأنه من الغباء أن يحارب أولئك الذين خضعوا له بإرادتهم، ولهم في أنفسهم ميل لأن يصيروا عبيداً. ولكنه يغرق الذكور طارحاً إياهم في التجارب والمخاطر. وهذا ما يبدو لي عندما يرسم داود العظيم ويقول: "لولا الرب الذي كان لنا ليقُل إسرائيل. لولا أن الرب كان معنا عندما قام الناس علينا، إذن لا بتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا. إذن لجرفتنا المياه لعبير السيل على أنفسنا. إذن لعبرت على أنفسنا المياه الطامية"³²⁶.

بلاديسوس: نعم هكذا.

كيرلس: لاحظ إذن الطريقة التي صارت بها السيطرة. أولاً كان يعذبهم مسيئاً لهم آلاماً شنيعة، وهو يخبث عظيم ومكر ودهاء وبكافة الطرق لم يدخر وسعاً في أن يسبب لهم شراً، حتى يعوقهم عن الازدياد والنمو. وحتى في الوقت الذي كان فيه الظلم مستتراً، ولم يكن هدف الطاغية قد ظهر، إلا أنه، كما قلت من قبل، فإن الله الرحوم بنعمته، حارب ضده. هكذا بينما أذلّوهم فإنهم ازدادوا بالأكثر في القوة والعدد. وفيما بعد أراد الطاغية أن يسلط عليهم القابلات العبرانيات، ولكن الرب لم يسمح بهذا. وكطريقة ثالثة وأخيرة للسيطرة، أمر فرعون كل شعبه بأن يغرقوا أولاد بني إسرائيل الذكور.

إذن كل الذين يملكون الشجاعة يحاربهم الشيطان بطريقة غير منظورة ويخطط مكيدته بطريقة ثلاثية؛ يبدأ المحاربات بأفكار شريرة لكي يعطل تقدم الذهن في الفضيلة ويوقع عليهم عذابات وآلام مرعبة، موقعا إياهم في صراعات قاسية. وعندما لا يستطيع إيذاءهم بأي طريقة من هذه الطرق، بفضل حماية الله، فإنه كثيراً ما يحرض الذين هم مثلاً في الإيمان والجنس لكي يكرهونا ويحاربونا. وهذا ما يؤكده بولس قائلاً: "بأسفار مراراً كثيرة. بأخطار سيول. بأخطار لصوص. بأخطار من بني جنسي.. بأخطار من اخوة كذبة"³²⁷. وإذا حدث وأخفق في هذا بسبب أن حامى القديسين يرسل عليهم (أي على الذين هم من بني جنسنا) خوف الله، كما حدث قديماً مع القابلات العبرانيات، فهو يستعمل علانية كل أسلحته، مثيراً الرعب لهم بالفتك والقتل. إذن فلنتمسك هكذا بالمحبة التي تقود إلى الجرأة والشجاعة، دون أن نجهل أن كل ما يبغضه ذاك (الشيطان) هو ذو قيمة عند الله. لأن كل من يرتفع فوق التمتع يعمل له الشيطان حساباً عظيماً ويحزن لأنه لم يستطع الإيقاع به.

بلاديسوس: أصدقك. لكن نستطيع على ما اعتقد، أن نرى الأمر من الكتاب المقدس نفسه. بالتأكيد أنت تفهم كل هذه الأمور.

³²³ حب 1:16.

³²⁴ خر 1:17.

³²⁵ خر 1:22.

³²⁶ مز 124:5.

³²⁷ 2كو 11:26.

كيرلس: إذن، بنعمة الله، مكتوب في سفر العدد بواسطة موسى: " وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً: احصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرتهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء كل ذكر برأسه. من ابن عشرين سنة فصاعداً كل خارج للحرب في إسرائيل تحسبهم أنت وهرون حسب أجنادهم"³²⁸. أي أن الذكور والمحاربين الذين قد نضجوا في العمر، أي الذين وصلوا إلى النضج الروحي وإلى قياس قامة ملء المسيح³²⁹، قد صُنّفوا في السجل الإلهي إِي في سفر الله، وهذا يمكن أن يصير واضحاً جداً بالآتي: أحصى الذكور من ابن عشرين سنة فصاعداً، ليس لأي سبب آخر، كما اعتقد، إلا لكي نستطيع أن نفهم نحن أن هذا له دلالة وقيمة، بمعنى أنه يستبعد كل من هو غير مختبر وضعيف وغير كامل عقلياً، الأمر الذي يتمشي بالحرى مع صغار السن ولم يصلوا إلى مقياس النضج الذي حدده الناموس الإلهي، أي ابن العشرين. ابن العشرين الذي قد وصل إلى سن النضوج من الذكور هو ذو قيمة ومكانة ومعترف به من قِبَل الله. لأنه هكذا قال المسيح لرسله القديسين عندما صاروا رجالاً في الإيمان، وقد وصلوا إلى هذه الدرجة الذهنية الناضجة: "لا تفرحوا أن الشياطين تخضع لكم بل بالحرى افرحوا أن أسماءكم كُتبت في السموات"³³⁰. ومرة أخرى أيضاً "أليس عصفوران يباعان بفلس. وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم. وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة"³³¹. وكونه يقول إن الشعور محصاة هو برهان على عنايته الفائقة بهم.

إذن، الذكر الناضج مكتوب في سفر الله. وقد صار التسجيل عن طريق موسى وهارون، فعن طريق الاثنين معاً، المشرع موسى وهارون رئيس الكهنة ندرك المسيح الواحد الذي صار لنا مشرعاً، وأيضاً رئيس كهنة قدوس بلا شر، وبواسطته صار التسجيل في السفر الإلهي لكل الذين هم في مرحلة النضوج ومنتزين في الفضيلة. إلى هؤلاء يتوجه يوحنا الحبيب قائلاً: "اكتب إليكم أيها الأحداث لأنكم قد غلبتم الشرير"³³². هؤلاء إذن هم أولئك الذين تحدثنا عنهم سابقاً "من ابن عشرين فصاعداً كل خارج للحرب في إسرائيل"³³³. هؤلاء يستحقون كل الرعاية والاهتمام، لأن الخالق يحب الفضيلة: وسوف تتحقق من هذا يا بلاديوس، من كل ما هو مكتوب. قال الله أيضاً إلى الاثنين، موسى وهارون: " ويكون معكما رجل لكل سبط. رجل هو رأس لبيت آبائه. وهذه أسماء الرجال الذين يقفون معكما..."³³⁴. أي كل سبط يعين من له سمعة طيبة، رأس لبيت آبائه ومدافع مخلص ورئيس ومقدم للأعمال ينوب عن أهل بيته، وهؤلاء الرؤساء يمكن اعتبار الملائكة كنماذج لهم، فالملائكة يشرفون على المختارين والمكتوبين في سفر الحياة. لأنه مكتوب لكل بار "ملاك الله حال حول خائفه وملاك حضرته ينجيهم"³³⁵. فإننا بمساعدة الملائكة نخلص حسب إرادة الله. وهذا الأمر واضح من جميع الجوانب، وأعتقد أنه ليس من المفيد أن أقدم شهادات على ذلك، ولكن بالطبع هذا ممكن لكل من يريد وهو بالحرى سهل جداً.

بلاديوس: بالتالي وفق نموذج موسى وهارون، فإن المسيح يكتب أسماء الذين وصلوا إلى مرحلة النضج.

كيرلس: هكذا أقول. وسوف يتضح هذا الأمر مما يقوله دانيال الطوباوي، الذي هو جدير بالثقة.

بلاديوس: ما الذي تقصده؟

كيرلس: رأى دانيال الآب في رؤيا وهو في صورة شيخ، متوج بشعر أبيض وبملايس لامعة مثل الثلج وقال: " وفُتحت الأسفار وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوته لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض"³³⁶.

³²⁸ عدد 1:31.

³²⁹ أنظر أف 3:4.

³³⁰ لو 20:10.

³³¹ مت 10:29-30.

³³² 1يو 2:13.

³³³ عدد 1:3.

³³⁴ عدد 1:54.

³³⁵ مز 33:8.

³³⁶ دا 10:14.

عندما صار الوحيد الجنس في شكلنا، عندئذٍ فُتحت الأسفار لكي يغفر الله خطايا المذنبين، وأعطى الرجال الشجعان أن يسجلوا أسماءهم ويصلوا إلى الصفوف السماوية وأن يصيروا محفوظين في ذاكرة الله. اسمع داود الطوباوي وهو يرتل عن أولئك الذين استهانوا بالمسيح قائلاً: "لِيَمْحُوا مِنْ سَفَرِ الْأَحْيَاءِ وَمَعَ الصَّدِيقِينَ لَا يُكْتَبُونَ"³³⁷، لأنهم سقطوا بسبب فكرهم الضعيف وبسبب جبنهم لم ينجحوا في السير مع المسيح. ورغم أن الآب بمحبته للبشر وجه لهم الدعوة، فقد دُعوا إلى الأفراح، لكنهم استجابوا لدعوة العشاء بخمول ولا مبالاة، فأحدهم قال: "اَشْتَرَيْتَ حَقًّا"، والآخر: "إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ فَلَنْذَلِكَ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ"³³⁸. وفي كل مكان، تسمعونهم يقولون: لا نستطيع، وذلك بسبب أن الذهن البشري الذي استسلم لحب اللذة العالمية هو خامل وضعيف عن أن يعمل وصايا الله. وسوف لا يكون لهذا العقل البشري نصيب الاشتراك في العرس السماوي.

بلادديوس: إذن فالذين هم في سن القوة والشجاعة، والذين هم ناضجون ذهنيًا، هؤلاء سوف يأخذون مكانًا في سجل الله وفي سفر الأحياء، بينما كل الذين ليسوا مثلهم فلن يُسجلوا في السفر، أليس كذلك؟

كيرلس: لو تمعنت كل ما هو مكتوب بدقة ويقظة، سوف تعلم الحقيقة. لأن التسجيل لم يشمل الذين هم في سن العشرين فقط، لكن الأمر يخص كل ذكر. ألا تفهم ما أقوله؟

بلادديوس: إنني أفهم.

كيرلس: إذن، لو عرفنا ماذا تعني الشجاعة حسب المسيح، وما هي طريقة هؤلاء الشجعان، لكي يقتنوا الفضيلة بنجاح. فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه المرحلة سيكون لهم تسجيل خاص بهم، إذ هم محاربون شجعان ومعرفتهم أسمى من المعرفة الطفولية. حينئذٍ ألا يتناسب مع كل واحد منا يا صديقي، إذ يكون له موضع خاص به وسجل لائق ومجد يتناسب مع بهاء الأعمال؟

بلادديوس: أوافق على هذا.

كيرلس: ولا ينبغي أن يغيب عنا أنه لن يكون لأحد مكانًا بين الرسل والقديسين إن لم يتشبه بهم.

بلادديوس: هذا صحيح.

كيرلس: وأيضًا فإن كل من لا يتشبه بالمستتيرين والسائرين في كل أنواع الفضيلة، والذين نجحوا في الحياة، لن ينضم إليهم، بل سوف يرث بحسب القياس الذي يتناسب معه.

بلادديوس: لقد أصبت.

كيرلس: بناءً على ذلك، طالما آمنا بالمخلص وفادي الكل، وقد اغتنينا بالمعمودية، ولبسنا قوة من الأعالى مختومين بالروح القدس، فقد دخلنا في عداد الذكور وكُنُتِنا في سفر الله. ولكن يوجد هنا اختلاف ما، إذ أن القديسين هم أقرب إلى الله، فالإيمان بالمسيح هو واحد، لكن ليس كل الذين آمنوا لهم نفس طريقة المعيشة، فالبعض يحيون هكذا والآخرين غير ذلك وفق كلام بولس الطوباوي³³⁹. إذن كل الذين يهتمون بالتقوى اهتمامًا عظيمًا، ولذلك فهم أكثر قداسة، هؤلاء يكونون في الموضع الأول في السجل الإلهي وفي فكر الله، أما الذين هم أقل قداسة، بسبب أنهم أقل في الفضيلة، فهؤلاء يكونون في المرتبة الثانية.

بلادديوس: وكيف يمكن أن يصير هذا واضحًا؟

كيرلس: هذا يتضح من الكتب المقدسة، لأن كلامنا ليس بلا سند. فبعد الإحصاء الذي صار للذكور، ولكل الذين كانوا

³³⁷ مز 28:69.

³³⁸ لو 14:19.

³³⁹ أنظر 1كو 7:7.

في سن الشباب، قد تكلم إله الجميع عن طريقة أخرى كما يلي: "وكلم الرب موسى في برية سيناء قائلاً: عد بني لاوي حسب بيوت آبائهم وعشائرتهم كل ذكر من ابن شهر فصاعداً تعدهم. فعدهم موسى حسب قول الرب كما أمر³⁴⁰. وعندما صار التسجيل هكذا بحسب العشائر وبيوت الآباء، يضيف مباشرة قائلاً: "وجميع المعدودين من اللاويين الذين عدتهم موسى وهرون حسب قول الرب بعشائرتهم كل ذكر من ابن شهر فصاعداً اثنان وعشرون ألفاً³⁴¹. لكن يضيف مباشرة ويقول: "وقال الرب لموسى عد كل بكر ذكر من بني إسرائيل من ابن شهر فصاعداً وخذ عدد أسمائهم. فتأخذ اللاويين لي أنا الرب بدل كل بكر في بني إسرائيل وبهائم اللاويين بدل كل بكر في بهائم بني إسرائيل. فعد موسى كما أمره الرب كل بكر في بني إسرائيل. فكان جميع الأبكار الذكور بعدد الأسماء من ابن شهر فصاعداً المعدودين منهم اثنين وعشرين ألفاً ومئتين وثلاثة وسبعين. وكلم الرب موسى قائلاً: خذ اللاويين بدل كل بكر في بني إسرائيل وبهائم اللاويين بدل بهائمهم فيكون لي اللاويون أنا الرب. وأما فداء المئتين والثلاثة والسبعين الزاندين على اللاويين من أبكار بني إسرائيل. فتأخذ خمسة شواقل لكل رأس على شاقل القدس تأخذها عشرون جيرة الشاقل. وتعطي الفضة لهرون وبنيه فداء الزاندين عليهم³⁴². المعنى عميق وصعب الفهم يا بلاديوس حتى يكون بمقدورنا إدراك هذا الأمر بالتفصيل والدقة، أقصد لكيما نعرضه بتوسع هنا.

بلاديوس: نتكلم بصواب. لكن دعنا نفحص الأمر، ولنا ثقة في المسيح مانح كل صلاح.

كيرلس: كان كل المطلوب في التسجيل الأول هو أن يكون ذكراً ابن عشرين سنة، أي يتصف بالتعقل والشجاعة والنضوج، لكي يمكن أن يحقق كل ما يريده الله. وهذا ما تكلمنا عنه بما فيه الكفاية. أما في هذين التسجيلين، فإن كل الذكور من سبط لاوي اندرجوا وانضموا إلى الإحصاءات الإلهية المقدسة. لم يشمل في التسجيل الثاني كل الذكور، لكن الأبكار فقط وأحصي كل الأبكار من شهر فما فوق. وإحصاء أطفال اللاويين هو اثنان وعشرون ألفاً، بينما للأبكار اثنان وعشرون ومائتان وثلاثة وسبعون. ثم يشرح الله بعد ذلك، أنه بدلاً من الأبكار فليُكرَس أطفال اللاويين. وحيث إن العدد فاق الحد، بمعنى وُجد مجموع أطفال الإسرائيليين الآخرين أكثر بمائتين وثلاثة وسبعين طفلاً عن أطفال اللاويين، حكم المشرع بأنه يجب أن يعطوا سبط لاوي فدية عن هؤلاء، كأنه بطريقة ما، قد تمموا لأجل هؤلاء (سبط لاوي) الطقوس الدينية، وقدموا ذبائح آخذين هذه الفدية عن هؤلاء الأطفال، لأجل تقديم الخدمة التي هي بلا لوم، والتي يقوم بها سبط لاوي عن الأطفال. ألا تتفق معي بأن هذا هو ملخص كل ما قرأناه؟

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: إذن، سأحدث في هذا الأمر وحديثي لن يبتعد عن هدفنا، إذ سأحدث بقدر الاستطاعة وفق الكلام المنطقي والأوقع. بمعنى أنه يذكرنا بأهمية الشجاعة مع الحكمة، كما تعني هذه في المسيح، ومع أنه طلب في المثال إحصاء الذكور بالعمر الجسدي الظاهري، إلا أنه كان يجب أن يُعلن التسجيل الذي صار في اسم المسيح بالإيمان والمحبة محتوياً على التنوع الذي يمكن للمؤمنين التعرف عليه. فهناك من يقبلون الإيمان ويمارسون معه القداسة في أعمال وخضوع لله، بينما آخرون لم يخضعوا لله خضوعاً كاملاً، بل مشنتون في أمور هذا العالم. هكذا فالمشرع على حق عندما يأمر بأن يُفضل المُقدس من بين الاثنين، وهذا يُفهم من اختيار سبط لاوي، ويأمر بأن يكون له الموضع الأول في التسجيل. لأنه يذكر أولاً اللاوي وبعد ذلك يذكر الذكر والبكر. وبولس العظيم يقول في رسالته إلى أشخاص يعرجون من جهة الإيمان مترددين: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم³⁴³. فمن هو بكر من جهة الخضوع للمسيح وله تعقل عظيم فهو أيضاً مقبول في سفر الله. لاحظ كما قلت من قبل لا يؤخذ أي ولد من الذين هم من سبط مختلف، لكن فقط البكر. لأنه لا يوجد انفصال بين الإيمان وبين الخضوع للمسيح، فالبكر مقبول في التسجيل والإحصاء، وذلك لأجل البكر (المسيح) الذي هو بيننا، بين أخوة كثيرين³⁴⁴. لقد سجلوا وأحصوا كل ذكور سبط لاوي بدون تمييز. لأن المُقدس بالكامل هو من أهل بيت الله. الأولاد المعدودون هم من شهر واحد فما فوق. فما هو المبرر؟ لأن طفولة الذين يؤمنون بالمسيح ليست مرفوضة عند الله، لأن الصغير في السن هو رمز لبساطة المسيح وللطفولة الروحية. وكما قلنا إنه من الأكمل والأفضل للمحاربين التسجيل من عمر عشرين عاماً فما فوق، هكذا فمن الممكن القول إن العلامة المحددة للطفولة في

³⁴⁰ عدد 3:16.

³⁴¹ عدد 3:39.

³⁴² عدد 3:4840.

³⁴³ غلا 4:19.

³⁴⁴ رو 8:29.

المسيح هي سن الشهر الواحد. وشئ مثل هذا يقوله بولس: "أيها الأخوة لا تكونوا أولاداً في أذهانكم بل كونوا أولاداً في الشر. وأما في الأذهان فكونوا كاملين"³⁴⁵.

بلادديوس: إذن فنحن نؤمن بأنه سيكون لنا نصيب مع القديسين الذين يُظهرون شجاعة واهتماماً للتقدم في الفضيلة.

كيرلس: بالتأكيد، إذ أنهم مملوئين حقاً من المواهب الإلهية، وهم يقتنونها بأتعاب ومشقة، ويصلون إلى هذا المستوى بالجهاد المستمر. هكذا يساعدوننا بالعطايا التي أخذوها من محبة الله. لذلك قال بولس العظيم لبعض المؤمنين "إني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم"³⁴⁶. ألا تقبل أن العطية السماوية والموهبة الروحية تجعلنا نعرف الله معرفة صحيحة بلا لوم وتخبرنا عن كل الأمور الحسنة.

بلادديوس: حسناً، طالما أن الأمر حيوي. إن المعرفة الواضحة عن الله الذي هو بالحق خالق الكل، وعن ماهية الحياة والطريق الحسن، كل هذه تقودنا إلى الحياة الدائمة التي بلا نهاية.

كيرلس: بالصواب حكمت. وهذا ما علمنا به المسيح نفسه، إذ أعطي وصية للرسل القديسين قائلاً: "مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا"³⁴⁷. ومن ناحية أخرى، فإن بهاء القديسين هو نافع للآخرين، لأن انتصارات أولئك هي انتصارات لنا، فإن الله المُحب يغفر للضعفاء خطاياهم، وفي الوقت نفسه يُلفت النظر إلى الأقوياء المملوءين مجداً. فالإسرائيليون الذين وقعوا في العصيان، قد هيجوا بالضرورة المُشرع ضدهم. لأنه أراد أن يفرض العقاب بسبب الخطايا التي تجرأ هؤلاء على ارتكابها. فقد أحزنوه بشدة وتحدث النبي إرميا عن هذا الأمر متوسلاً عنهم: "طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها.. أما أنا فقلت إنما هم مساكين قد جهلوا لأنهم لم يعرفوا طريق الرب قضاء إلههم"³⁴⁸. وفي موضع آخر يقول: إنه سيؤجل لسدوم عقابها بالنار لو وُجد هناك خمسة قديسين وصالحين. إذن مرات كثيرة يكون وجود القديسين سبباً في أن لا يعاقب الله الخطاة في الحال، فإن وجود القديسين يُسكن الغضب الإلهي في حينه. هكذا أيضاً، فرغم أنه ليس كل الذين قبلوا الإيمان بالحق، عندهم القوة للوصول إلى هذه الدرجة من الشجاعة في احتمال الأتعاب من أجل الامتلاء من المواهب الإلهية، إلا أنهم يمكن أن يشاركوا في مسرات القديسين، إذ أن القديسين يعلمونهم ويرشدونهم إلى كل ما هو مرضي عند الله ويُظهرون أهمية اشتراكهم في الأعمال الصالحة. وهؤلاء (القديسون) كل ما يبلغون إليه بعد مشقة وأتعاب كثيرة يغرسونه في نفوس الآخرين. وبذلك يمكن أن نشترك في بهاء القديسين، إذ نصير مشاركين لهم في أعمالهم الصالحة. وبسبب محبته، فإن الله يمزج إنجازات القديسين بضعفائنا، ليكون الجميع مقبولين أمامه. هذا الأمر يمكن أن يتضح من الآتي.

بلادديوس: أي شئ تريد أن تقول؟

كيرلس: كان المديانيون والموابيون شعوباً غير مؤمنة وبرابرة، وكانوا يسكنون أرض الميعاد التي كان من المنتظر أن يرثها الإسرائيليون، وحيث إن الحرب كانت بالقرب منهم وأثارتهم، إذ كانوا على وشك أن يفقدوا ويذوقوا ويلات الحرب من ساعة إلى ساعة، ولم يكن لديهم قوة لمواجهة قوات بني إسرائيل، فقاموا بمحاولات سحرية وبأعمال قبيحة لكي يُسقطوا أعداءهم. لكن رغم تنفيذ كل أفكارهم لم يستطيعوا أن يلحقوا بهم أي ضرر، إذ أن الله كان مدافعاً عنهم. وبلعام المُنجم الكذاب قد حوّل له لكي يبارك إسرائيل، بالرغم من أنه قد أخذ أجره لكي يلعنهم، وقد وصل (المديانيون والموابيون) في النهاية إلى حالة من الحيرة والارتباك، وبدأوا يفكرون في طريقة أخرى يستطيعون بها أن يفعلوا الشر بالإسرائيليين، بدون أن يصطدموا مع الله المُدافع عنهم، وذلك لكي عندما يتجرّدون من المعونة السماوية، يشتبكوا معهم في معركة ينتصرون فيها. ولأنهم يلمسون مدى الميل الجنسي بين الذكر والأنثى، وأن الشباب لا يصمد أمام هذه اللذات، أخرجوا إليهم نساء متزنيات لكي يُوقعوا الإسرائيليين في الجماع الجسدي القبيح. هكذا فإن الذين تساهلوا مع الأهواء الجسدية انخدعوا بواسطة الفتنة والجمال، ثم شيئاً فشيئاً ابتعدوا عن العبادة الإلهية، سائرين في دروب أولئك الوثنيين.

³⁴⁵ 1كو 14: 20.

³⁴⁶ رو 1: 11.

³⁴⁷ مت 10: 8.

³⁴⁸ إر 5: 1 و 5.

فالعصيان هو نتيجة مرض الزنا، لأنه مكتوب: "فدعون الشعب إلى نباح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن"³⁴⁹. ونفس الأمر بالضبط قاله الله بصوت الأنبياء: "لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنيّن ولا كناتهن لأنهن يفسقن. لأنهم يعتزلون مع الزانيات وينبجون مع النازرات الزنى. وشعب لا يعقل يُصرع"³⁵⁰.

إنّ، غضب المشرع كان على حق بسبب هذا، والأمر لم يكن بلا ضرر للإسرائيليين. لأنهم جلبوا على أنفسهم كوارث لا تُحتمل، إذ بسبب هذا الأمر قُتل الجار والأخ. عندئذ أمر الله موسى القائد العظيم ليشن فوراً حرباً ضد المديانيين: "وكلم الرب موسى قائلاً: انتقم نعمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك. فكلّم موسى الشعب قائلاً جردوا منكم رجالاً للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نعمة الرب على مديان. ألفاً واحداً من كل سبط من جميع أسباط إسرائيل ترسلون للحرب. فاختر من أوف إسرائيل ألف من كل سبط اثنا عشر ألفاً مجردون للحرب. فأرسلهم موسى ألفاً من كل سبط إلى الحرب هم وفيحاس بن ألعازار الكاهن إلى الحرب، وأمتعة القدس، وأبواق الهتاف في يده. فتجنّدوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلهم فوق قتلاهم أوي وراقم وصور وحوور ورابع خمسة ملوك مديان وبلغام بن بعور قتلوه بالسيف. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم، وأتوا إلى موسى وألعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أربن أريحا. فخرج موسى وألعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة. فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. وقال لهم موسى هل أبقيت كل أنثى حية. إن هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الويا في جماعة الرب. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوا. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حياتاً"³⁵¹.

قد أمر الله بكل هذا، والشباب المُختار أتوا لإجراء الحرب. المتدربون والمختبرون كثيراً تجمعوا من كل سبط، حتى أن القسم المُنتخب لكل سبط يصير فخراً للمجموع، ومجد القسم الواحد يصير مجداً للمجموع، وفقاً للحكيم بولس: "فإن كان عضو واحد يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه، وإن كان عضو واحد يُكرّم فجميع الأعضاء تفرح معه"³⁵².

بلاديسوس: هذا صحيح.

كيرلس: حسناً، الجمع المُنتخب والشجاع جداً استُدعوا إلى الرحب ضد المديانيين، ورافقهم فيحاس الكاهن بالأواني المقدسة، وأيضاً الأبواق للهتافات. لأن المسيح دائماً يشارك (في الحرب) ويدافع عن المحاربين الشجعان، إنه رئيس كهنتنا الأعظم، وأيضاً الملائكة تَوازرهم، وهذا ما تشير إليه الأواني المقدسة التي للخدمة، هي الأرواح السماوية العاقلة، إذ عُينوا من الله ليكونوا مساعدين لنا. وأبواق الهتاف ترافقهم، أي كلمات المعلمين الإلهيين، وهذا يُظهر الطريقة التي يجب أن ننصرف بها على الأعداء، أي على شهواتنا الداخلية. إذن الكاهن فيحاس هو مثال للمسيح، والأواني المقدسة تشير إلى الملائكة، وأبواق الهتاف تُشير إلى الكلمة الإلهية. هكذا بقوة المسيح سننتصر بدون مشقة على كل الذين يقفون ضدنا، مرددين هذا الذي يرغم به المرنمون: "بك نطرح مضايقتنا. باسمك ندوس القائمين علينا"³⁵³. هذا بالضبط ما فعله الإسرائيليون، عندما أخبروا كل مدن المديانيين، اقتادوا الأسرى إلى ألعازار الكاهن وكل شعب بني إسرائيل. حقيقة إنها مخصصات مقدسة إلى ألعازار الكاهن، الذي يشير إلى المسيح رئيس الكهنة. وهكذا الأعمال الباهرة للقديسين لا تكون مخفية، بل تصير ظاهرة لكل الشعوب، وفق المكتوب: "لأنه ليس خفي لا يظهر ولا مكتوب لا يُعلم ويُعلن"³⁵⁴. إذن فقد تجمع جميع الأسرى أمام الكاهن والشعب، لكي يتحقق نموذج واحد وتدبير واحد. لدرجة أن موسى وبخ المنتصرين لأنهم لم ينهوا الحرب وفق الطريقة المضبوطة والرؤية الثاقبة. لا يجب أن يُسمح، يقول موسى، بأن يكتفوا بأسر الذكور وأيضاً النساء المتزوجات. والسبب المحتمل لهذا الأمر، هو أنه من اللازم أن يميتوا ذكور هذا البلد حتى لا يفلتوا من تحت سيطرتهم. لأنهم لو أفلتوا، فإنهم بعد قليل سيصيرون رجالاً أقوياء وأعداء لشعب الله. ومع هؤلاء (الذكور) كان يجب

³⁴⁹ عدد 2:25.

³⁵⁰ هو 4:14.

³⁵¹ عدد 18:31.

³⁵² 1كو 12:26.

³⁵³ مز 44:5.

³⁵⁴ لو 8:17.

أيضاً أن يميتوا النساء، لأنهم كانوا سبب عثرة، وفي حالة نجاتهم من الموت سوف يصيرون سبب عثرة مرة أخرى. من جهة التفسير الروحي؛ أعتقد أن هذه الأمور تشير بطريقة ذكية إلى المعنى الروحي.

بلادبوس: ماذا تقصد ؟

كيرلس: لقد أصاب الشجعان من الشعب القصور، بالرغم من أنهم أحرزوا نصراً مؤكداً، ورغم انتصارهم، فلا يمكن أن يظلوا بلا لوم. هذا الذي نعتقه أنه تم بطريقة صحيحة من جانبنا، سوف لا يخلو من التوبيخ والالتهام في شيء، وذلك عندما يُفحص أمام الله. لذلك مكتوب: "إن كنت تراقب الأثام يارب يا سيد فمن يقف" ³⁵⁵. وأيضاً: "السهوات من يشعر بها. من الخطايا المستترة ابراني. أيضاً من المتكبرين احفظ عبد فلا يتسلطوا على. حينئذ أكون كاملاً وأتبرأ من ذنب عظيم" ³⁵⁶.

فمرات عديدة يمكن أن يتم البر شكلياً عند الشجعان. بينما المشرع يبحث عن أمر آخر لا ندركه نحن بتأتاً وفق ما هو مكتوب: "السهوات من يشعر بها" ³⁵⁷، وإشعيا يقول، إن كل أعمال برنا هي كثوب عدة ³⁵⁸، لأنه لا يمكن أبداً أن نكون أنقياء تماماً وبلا لوم. والحكيم جداً بولس يكتب: "فإني لست أشعر بشيء في ذاتي. لكنني لست بذلك مُبرراً. ولكن الذي يحكم فيّ هو الرب" ³⁵⁹. إن توبيخ موسى لم يوجه عمومًا إلى الكل، لكن فقط إلى رؤساء القوة، أي رؤساء الألوف ورؤساء المئات، لأنه مكتوب: "الأقوياء يتطلبون مراقبة قوية" ³⁶⁰، وصرامة الناموس تركز على هؤلاء. لأنه مكتوب: "فكل من أعطي كثير يُطلب منه كثير" ³⁶¹. لذلك كتب تلميذ المخلص: "لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم" ³⁶². الاتهام إذن وجه إلى الرؤساء وقادة الطغمان. لأن ببقطة الرؤساء وسهرهم ينمو المتطوعون. لهذا يقول الكتاب: "أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يُعطون حساباً لكي يفعلوا ذلك بفرح لا أنين لأن غير هذا نافع لكم" ³⁶³. بعد موت النساء والأطفال، لم يسمح موسى العظيم للمحاربين أن يظلوا نجسين في المحلة، لكنه أمر بأنهم يجب أن يتطهروا قائلاً: "وأما أنتم فأنزلوا خارج المحلة سبعة أيام. وتطهروا كل من قتل نفساً وكل من مس قتيلاً في اليوم الثالث والسابع أنتم وسيبكم. وكل ثوب وكل متاع من جلد وكل مصنوع من شعر معز وكل متاع من خشب تطهرونه" ³⁶⁴.

أرأيت إذن، أن حالة المختارين المتميزين ليست بلا لوم تماماً. لأنه مكتوب: "من يخرج الطاهر من النجس. لا أحد" ³⁶⁵، وحتى لو كان من المقبولين (عند الله) فإن القداسة الكاملة هي محفوظة للدهر الآتي (وليست في العالم)، فهذا هو موسى يأمر المنتصرين بالجلوس خارج المحلة لكي يتطهروا، إذ يقول: "في اليوم الثالث واليوم السابع". في اليوم الثالث إما أنه بهذا يشير إلى العصر الثالث الذي فيه صار تطهيرنا بالمسيح بعد عصر موسى والأنبياء القديسين، أي زمن القيامة الذي قام فيها المسيح مسمراً الصك الذي كان ضدنا فوق الصليب المُكرّم ³⁶⁶، محتملاً لأجلنا الألم الذي أبطل الخطية. اليوم السابع يقودنا إلى التفكير في زمن نهاية الحياة الحاضرة، عندما نكون قد طرحنا عنا الخطية، وعندئذ نعيش مع المسيح حياة طاهرة ونقية مشتركين في غبطة المسيح.

بلادبوس: كل هذا صحيح.

³⁵⁵ مز 130:3.

³⁵⁶ مز 12:19، 13.

³⁵⁷ مز 12:19.

³⁵⁸ إش 64:6.

³⁵⁹ 1كو 4:4.

³⁶⁰ حكمة سليمان 6:6.

³⁶¹ لو 48:12.

³⁶² يع 1:3.

³⁶³ عب 13:17.

³⁶⁴ عدد 20:31.

³⁶⁵ أي 4:14.

³⁶⁶ أنظر كو 14:3.

كيرلس: كما أنك سوف تندش أيضًا من السر الآتي. فبعد حديث موسى عَقَّب عليه ألعازار الكاهن قائلاً للرجال الذين أتوا من ساحة المعركة ما يلي: " هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى. الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص. كل ما يدخل النار تحبزه في النار فيكون طاهرًا غير أنه يتطهر بماء النجاسة وأما كل ما لا يدخل النار فتحبزه في الماء. وتغسلون ثيابكم في اليوم السابع فتكونون طاهرين وبعد ذلك تدخلون المحلة. وكلم الرب موسى قائلاً: أحص النهب المسي من الناس والبهائم أنت وألعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة "367.

لاحظ أن موسى في البداية أظهر للمتصيرين وقت التطهير، وليس طريقة التطهير، بمعنى أن الناموس أخبر أولاً عن وقت التطهير بواسطة المسيح. ثانيًا بعد موسى تحدث الكاهن ألعازار. لأن المسيح يعطي وصيته بعد موسى. وهو الذي أظهر طريقة التطهير وقدم نفس السر مفسراً الهدف الدقيق للناموس. فالكاهن أمر أن كل الأنية التي يمكن أن تحتمل قوة النار، أن تجتاز في النار، لكن كل ما ليس له تحمل طبيعي وكان ضعيفاً ويخضع بسهولة للفناء التام، أي الملابس والأشياء التي من جلد وخشب، فهذه تجتاز في الماء. لأن الأواني الذهبية والفضية والأشياء الأخرى، ترمز إلينا نحن، أي إلى الذين تطهروا بواسطة المسيح، كما من النار والماء. إذ قد اعتمدنا بالروح القدس والنار³⁶⁸. أما أن يجتاز كل ما جُمع من السلب في النار والماء، فهذا يشير إلى تطهيرنا الحالي، إننا في وقت ما كنا مملوءين شرورًا، لكن جعلنا ملكًا له، إذ دخل إلى مسكن القوى ونهب أوانيهم بعد أن قيد هذا القوي³⁶⁹. يقول ألعازار ليدخل المنتصرون إلى المحلة فقط، بعد أن يغسلوا ملابسهم في اليوم السابع، وهكذا يصيرون أطهارًا. أي أن التطهير الكامل وغسل كل فذارة سيصير في أزمنة النهاية الأخروية، كما قلت منذ قليل، بإبطال الخطية تمامًا واستعادة الطبيعة البشرية لجمالها الأول السماوي. إذ هو مكتوب: " وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة. لا يعبر فيها نجس بل هي لهم من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل "370. هذا الكلام الواضح - كما سردناه - ليس خارج هدفنا. لكن لو فضل شخص تفسيرًا آخر، فإننا نقول إن معنى أن يجتاز إناء كل واحد من المنتصرين سواء كان من ذهب أو فضة أو نحاس أو من أي مادة أخرى في النار، فهذا يشير إليه بولس الطوبوي عندما يقول: " فعمل كل واحد سيصير ظاهرًا لأن اليوم سيبيته. لأنه بنار يُستعلن وتستمتحن النار عمل كل واحد ما هو "371. والمرم يلمح لنا بأنه لا تُختبر نفوس القديسين إلا بهذه الطرق فقط. إذ رنم داود: " لأنك جربتنا يا الله. محصتنا كمحص الفضة. أدخلتنا إلى الشبكة. جعلت ضغطًا على متوننا. ركبت أناسًا على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء ثم أخرجتنا إلى الخصب "372.

بلاديسوس: لكن يا عزيزي، ربما يقول لنا محبو التعلّم، كيف اصطف المحاربون أمام المديانيين، وكيف انتصروا وبأي طريقة غسلوا وسخ الحرب؟ على أية حال، المناقشة أظهرت هذا بما فيه الكفاية. فالآن نريد أن نعرف إن كنا سنصير بالحقيقة مشاركين لجرأة المحاربين الشجعان، وإن كنا سنشارك فيما وصلوا إليه، بالرغم من أننا لسنا مساوين لهم في الفضيلة، إذ نحن متأخرون عن أولئك في فضيلة النفس.

كيرلس: ها الناموس يعضد كلامي ولديه البرهان الواضح وشرح هذا الأمر ليس فيه أية صعوبة. لأنه مكتوب: " وكلم الرب موسى قائلاً: أحص النهب المسي من الناس والبهائم أنت وألعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة. ونصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب وبين كل الجماعة. وارفع زكوة للرب من رجال الحرب الخارجين إلى القتال واحدة نفسًا من كل خمس مئة من الناس والبقر والحمير والغنم. من نصفهم تأخذونها وتعطونها لألعازار الكاهن ربيعة للرب. ومن نصف بني إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم من جميع البهائم وتعطيها للاويين الحافظين شعائر مسكن الرب. ففعل موسى وألعازار الكاهن كما أمر الرب موسى "373.

لقد نُفِذ الأمر الإلهي مباشرة وصار الإحصاء الدقيق والتفصيلي للغنائم ووزع النصف، وكل ما خُصص، ليكون بكورًا للرب، أُعطى إلى ألعازار الكاهن، وأقصد إلى أبناء سبط لاوي. وأظن أنك تذكر ما سبق أن قلناه في البداية إذ أن لك ذهن قوي.

367 عدد 2621:31

368 أنظر مت 11:3.

369 أنظر مت 29:12.

370 إش 8:35.

371 1كو 13:3.

372 مز 12:10:66.

373 عدد 31:25:31.

بلاديسوس: ماذا تقصد ؟

كيرلس: ألم تقل الكلمة الإلهية بأنه قد جُمعت الآلاف من كل سبط لأجل احتياجات الحرب؟

بلاديسوس: نعم لقد قالت هذا.

كيرلس: وقلنا بوضوح تام إن بهاء القديسين وفرحهم سوف يغطي الجميع، وأن صلاح الله وحيه للبشر، سيرتب هذا جيداً، وذلك مثل خلطة بخور من أنواع مختلفة تصعد إلى الله رائحة ذكية من الجميع. وهكذا فيواسطة الذين هم متقدمون جداً في الفضيلة يُقبل معهم الذي ليس له نفس كرامتهم.

بلاديسوس: هذا حقيقي. لأن هذا ما نبتغيه من الحوار.

كيرلس: لاحظ كيف أن الله يشرع الأمر مباشرة للإسرائيليين، والألوف المختارة بحسب السبط تجندوا ضد المديانيين علناً، وعندما كسبوا نصراً مكلفاً بعد تعب وجهاد، فإنهم قسموا كل ما جمعه من الحرب مباشرة على جموع الشعب، وبقية الشعب افتخروا بالإنجازات التي حققها المحاربون الشجعان، لأنه مكتوب: "أحصى النهب المسيبي من الناس والبهائم أنت وألعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة. ونصّف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب وبين كل الجماعة"³⁷⁴.

إن بولس العظيم أعلن أن المؤمنين الذين جاءوا متأخرين بعد القديسين العظماء المختارين والمستنيرين، يُحسبون مع كل الآباء القديسين الذين تميزوا بإيمانهم، وكان مجد تقواهم الشديد نحو الله معروفاً تماماً، إذ يقول: "فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الوعد. إذ سبق الله فنظر لنا شبيهاً أفضل لكي لا يكملوا بدوننا"³⁷⁵. وكتب أيضاً إلى آخرين يقول: "إنكم قد شبعتم قد استغنيتم. ملكتم بدوننا. وليكنم ملكتم لكي نملك نحن أيضاً معكم"³⁷⁶. أرأيت أن كل الذين في رتبة أقل سيصلون إلى الكمال مع الرؤساء المختارين، وهؤلاء الذين ليس لهم نفس القوة كالمختارين، سيتمجدون معهم!.

وأيضاً يرسم داود العظيم: "الرب قد نكرنا فيبارك. يبارك بيت إسرائيل يبارك بيت هرون. يبارك متقي الرب الصغار مع الكبار"³⁷⁷. يبارك الرب المدعويين صغاراً مع الكبار، بدون أن يقتخر الصغار، بأن لهم نفس القوة مثل الكبار، إذ يقولون عنهم في درجة الاستعداد لتحمل الآلام، بينما يماثلونهم أحياناً في الغيرة والإيمان والقدرة على الاحتمال التي تبهج المسيح.

ويمكن أن يكون الاثنان، موسى وألعازار، مثلاً للمسيح الذي هو نفسه رئيس الكهنة، والمُشرّع، الذي يوزع على الشعب الغنائم، بينما الملائكة القديسون يقفون مؤازرين لهم، هؤلاء الملائكة أشير إليهم برؤساء الآباء. أم تظن أنه لا يوجد على الأرض كثيرون من الملائكة - الذين هم رؤساء على الشعوب - معينين من الله لمؤازرة أولئك الذين آمنوا؟

بلاديسوس: أقبل هذا. كيف لا ؟!

كيرلس: عندنا الرجاء بأن المسيح سيأتي مع الملائكة القديسين من السماء، وعندما يجلس على عرش مجده، سيوزع المكافآت على كل واحد بحسب استحقاقه، ويعطى الكرامات التي تتناسب مع الأعمال. ولذلك يقول إشعياء الحكيم عن المسيح: "لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أئمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المننبيين"³⁷⁸. فالمسيح هو المُشرّع ورئيس الكهنة في الوقت نفسه.

بلاديسوس: لقد عبّرت عن الأمر بصورة حسنة.

³⁷⁴ عدد 2726:31.

³⁷⁵ عب 4039:11.

³⁷⁶ 1كو 8:4.

³⁷⁷ مز 13.12:115.

³⁷⁸ إش 12:53.

كيرلس: ماذا إذن، ألا تثير طريقة منح المكافآت دهشتنا؟!

بلادتيوس: لا شك أنها تثير دهشتنا، فقد كُرم الذين لم يشتركوا في الحرب بنصيب مساوٍ لأولئك الذين ذهبوا إلى المعركة.

كيرلس: ليس بنصيب مساوٍ تمامًا، بل هو يختلف عن هذا، وذلك بالرغم من أن المحاربين أخذوا نصف الغنائم وجموع الشعب أخذوا النصف الآخر. فالإسرائيليون كانوا ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة، وهؤلاء غير تعداد السبط الذي يخدم الكهنوت. وتعداد المحاربين كانوا ألفًا من كل سبط، لو وُزعت إذن الغنائم بالتساوي، وكل جزء أخذ النصف من محصلة الغنائم، فالكرامة الأكثر ستكون بالأولي للأقلية، وليس للأكثرية في العدد. بالتالي يكون المجد الذي سوف يُعطى إلى كل الشعب، حسب قياس العطية السماوية. فإن النصف بالضبط يُمنح للمختارين؛ أي لهؤلاء الذين هم مؤهلين أن يسكن الله في نفوسهم. النصف الآخر سيُعطى للجموع، بالرغم من تفوقهم الكبير في العدد. أتفهم ما أقول؟

بلادتيوس: نعم أفهمه. وحتى عندما نصير مشاركين لمجد القديسين، فإن استمتاعنا بالمجد سيكون أقل منهم، فهذا أظن أنه مقصدك في الكلام.

كيرلس: لقد قلت هذا بوضوح. الآن أنظر شيئًا آخر، يُسهّل لنا رؤية الشجعان أمام الله.

بلادتيوس: ماذا ستقول؟

كيرلس: (المُشرّع) أمر الاثني عشر ألف المحاربين أن يحضروا إلى رئيس الكهنة من نصف الغنائم التي أُعطيت لهم، واحدًا لكل خمسمائة، إنسان أو حيوان. وهذه كانت تقدمتهم إلى الله. أما الجمع الآخر فقد حكم الرب بأن يعطوا واحدًا لكل خمسين، يقدم إلى السبط المقدس. فأليعازار نفسه هو مثال الكاهن الواحد والوحيد والحقيقي؛ أي المسيح، وذلك بطريقة ليس لها نظير، بل هي حقيقية وشخصية ومثالية، إذ أن التقدّمات تقدم إليه. لماذا يقدمونها إليه هو نفسه بدون وساطة أحد. هذا بالضبط ما فعله التلاميذ الطوباويون، وما يفعله الآن قادة الشعوب، إذ يجعلون جهادهم في الكرازة الإلهية كتقدمة خاصة إلى المسيح. أما الجمع الآخر الذين يرغبون في التقدّم للأمام، فهم يقدمون عطايا إلى المسيح بتقديمها للقديسين، مثلما يشير السبط المقدس إلى ذلك. لأنه مكتوب: "جنس مختار كهنوت ملوكي"³⁷⁹. فالذي يقدم للقديسين هو يقدم لله بورع وتقوى، وتقدماتهم هي لسد احتياجات القديسين. شيء مثل هذا فعله أولئك الذين جمعوا عطايا، أو ما يُسمى بالبركات، وأرسلوها إلى القديسين في أورشليم، أو أي معونة أخرى لتعريض المكرسين لله (انظر أع 17:24، 2 كو 9:1 وما بعده). إذن فالمخصص لله هو عطايا المميزين، أما الذي للقديسين فيأتي في المرتبة الثانية للذين هم أدنى. فالمميزون يقدمون نفسًا واحدة من خمسمائة، أما الآخرون فيقدمون نفسًا واحدة من خمسين. لأن كل الذين هم متقدمون يدفعون أقل، لذا فتقدماتهم هي قليلة، أما أولئك الذين هم في المرتبة الثانية فيدفعون أكثر جدًّا، لذا كل ما يقدمونه هو أكثر في العدد وفقًا لقياس كل واحد.

لأنه مكتوب: "قد عُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحببت كثيرًا. والذي يُغفر له قليل يحب قليلًا"³⁸⁰. إذن؛ الذين هم في المرتبة الأدنى يقدمون عشرة أضعاف أكثر من المختارين، ليس لأنهم أكثر تقوى ويعيشون أفضل من أولئك (المختارين)، لكن لأنهم سقطوا في مخالفات كثيرة، وبالضرورة يحتاجون لتطهير مضاعف، لأنه كما قال الرب: "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله. وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم"³⁸¹. القديسون يحتاجون إلى تطهير قليل جدًّا. لأن طبيعتنا قابلة للمرض، ولا يمكن أن تظل طاهرة تمامًا من الخطية.

بلادتيوس: نتكلم بالصواب.

كيرلس: إذن؛ المنتخبون من الأسباط الطائعين للنواميس الإلهية، وُزعت عليهم غنائم الحرب مع كل جمع الشعب، وقدموا إلى الرب العطايا وفق ترتيب الناموس. رؤساء المنتخبين يكرمون الله بالنذور الأكثر جمالًا، لأن مجدهم كان أكثر

³⁷⁹ إبط 2:9.

³⁸⁰ لو 7:47.

³⁸¹ يو 13:10.

لمعاناً، لأنه مكتوب: "ثم تقدم إلى موسى الوكلاء الذين على ألوف الجند رؤساء الألوف ورؤساء المئات. وقالوا لموسى عبيدك قد أخذوا عدد رجال الحرب الذين في أيدينا فلم يفقد منا إنسان. فقد قدمنا قربان الرب كل واحد ما وجده أمتعة ذهب حجباً وأساور وخواتم وأقراطاً وقلائد للتكفير عن أنفسنا أمام الرب. فأخذ موسى وألغاز الكاهن الذهب منهم كل أمتعة مصنوعة. وكان كل ذهب الرفيعة التي رفعوها للرب ستة عشر ألفاً وسبع مئة وخمسين شاقلاً³⁸² من عند رؤساء الألوف ورؤساء المئات. أما رجال الجند فاغتنموا كل واحد لنفسه. فأخذ موسى وألغاز الكاهن الذهب من رؤساء الألوف والمئات وأتيا به إلى خيمة الاجتماع تذكراً لبني إسرائيل أمام الرب"³⁸³. أترى الدقة في بيان المقاتلين، حتى لا يفلت أحد من إعطاء مقدمة، لم تكن مطلوباً منهم تقديمها، مثل الأساور والخواتم والجلود وكل الحلي المصنوعة من الذهب. لأن المُشرّع قد حدد العطايا التي ينبغي أن تُقدم بأنها بشر وحيوانات. هذه هي التي تُقدم بحسب الأمر الإلهي والسموي. إذن فكل ما اختاروا من الجواهر يمثل مقدمة اختيارية. فرؤساء الألوف والمئات بسخائهم قدموا مقدمة أكثر مما حدده الناموس. عندئذٍ أخذها موسى وهارون ووضعوها في الخيمة المقدسة هناك كتذكارات أمام الله. لأن زعماء الشعب والرؤساء يكرمون الله بنذور بهية وجميلة، وهم يقدمون إلى الله - من المواد التي تستخدم في الزينة - بما يشير إلى جمال الفضيلة، وإذ يقدمون أكثر مما حدده الناموس، فإنهم يضيئون أكثر بكثير.

بلاديسوس: ماذا تريد أن تقول؟

كيرلس: لقد أمر الرب الذين يكرزون بالإنجيل أن يعيشوا من الإنجيل، الأمر الذي أراد بولس أن يؤكد من الوصية الناموسية، قائلاً: "انظروا إسرائيل حسب الجسد. أليس الذين يأكلون النبات هم شركاء المنبح"³⁸⁴، ومرة أخرى أظهر ذلك بأمثلة قاطعة لا تقبل الشك، إذ يقول: "ومن يغرس كرماً ومن ثمره لا يأكل أو من يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل. ألعلي أتكلم بهذا كإنسان أم ليس الناموس أيضاً يقول هذا. فإنه مكتوب في ناموس موسى لا تكلم ثوراً دارساً ألعلى الله تهمة الثيران. أم يقول مطلقاً من أجلنا إنه من أجلنا مكتوب لأنه ينبغي للحرث أن يحرق على رجاء وللدارس على الرجاء أن يكون شريكاً في رجائه"³⁸⁵. وأضاف مباشرة: "إن كنا نحن قد زرنا لكم الروحانيات أفعتظيم إن حصداً منكم الجسديات. إن كان آخرون شركاء في السلطان عليكم أفلسنا نحن بالأولى لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمل كل شيء لنلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح"³⁸⁶. وأيضاً بعد ذلك يضيف: "فما هو أجري إذ وأنا أبشر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة حتى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل"³⁸⁷.

أرأيت كيف أنه برغم كل ما حدده الله في الناموس القديم، ورغم أن له الحق أن يعيش من الإنجيل، فإنه لم يطلب نفقة من الإنجيل، مقدماً خدمة الإنجيل بلا نفقة؟ الزواج غير ضروري، لا الناموس القديم ولا الكرازة الجديدة أمرا بالعداوية، ومعروف أن العداوية لم تعط كوصية، وبولس نفسه يقول: "وأما العذاري فليس عندي أمر من الرب فيهن"³⁸⁸. لكن هناك البعض الذين بدافع التقوى يقدمون لله تكريساً بهياً بامانة رغبات الجسد تماماً. إن ضبط النفس والحياة الفاضلة اللذين يزيدان عن حدود الناموس، هما مثل جوهرة صُنعت بإتقان وفن عظيم، وهي مؤلفة من العمل والكلام معاً.

لقد وضع موسى وهارون في الخيمة المقدسة كل ما قدم لهما من تقدمات. فأعمال القديسين الصالحة هي مقبولة من المسيح، وهي ذات غنى ومجد بهي. وهم يربحون بهذه التقدمات ذكرى أبدية عظيمة، ويوجدون مؤهلين للعناية الإلهية. لأن القول بأن النذور وضعت أمام الرب يشير إلى مثل هذا الأمر. وأنه أمر عظيم ومنقطع النظير أن يُوجد المرء أمام الله، لأن الله هو الذي يحكم بأنهم مستحقون للرعاية والاهتمام، وهو الذي يقدرهم بطريقة فائقة.

بلاديسوس: يبدو أن الوحي يعلن بكلمات كثيرة، أننا يجب أن نؤمن، وأن يكون لدينا الاقتناع بأنه ليس الجميع يأتون بثمار كثيرة، ولكن الشجعان جداً، الذين يقدمون دائماً الصلاح والمسرة هم الذين يثمرون كثيراً.

³⁸² حوالي 170 كجم.

³⁸³ عدد 31:5448.

³⁸⁴ 1كو 10:18.

³⁸⁵ 1كو 9:107.

³⁸⁶ 1كو 9:1211.

³⁸⁷ 1كو 9:18.

³⁸⁸ 1كو 7:25.

كيرلس: أحسنت يا بلاديوس، لقد أصبت. طبيعة الأمر هي هكذا، وسوف يشهد الكتاب المقدس على ذلك. لأن الله أراد أن يبني الخيمة المقدسة للإسرائيليين عندما كانوا يعيشون في الصحراء، لتكون كصورة ومثال للكنيسة التي من الأمم، لذا حدد أيضًا أنه ينبغي أن تُجمع الأشياء التي تنفع لهذا الغرض. هكذا قال إلى موسى العظيم: "إِذَا أَخَذْتَ كَمِيَّةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ الْمَعْدُودِينَ مِنْهُمْ يَعْطُونَ كُلَّ وَاحِدٍ فِدْيَةَ نَفْسِهِ لِلرَّبِّ عِنْدَمَا تَعْدُهُمْ لئلا يصير فيهم وبأ عندما تعدهم. هذا ما يعطيه كل من اجتاز إلى المعدودين نصف الشاقل بشاقل القدس الشاقل هو عشرون جيرة نصف الشاقل تقدمة للرب. كل من اجتاز إلى المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعدًا يعطي تقدمة للرب. الغني لا يكثر والفقير لا يقلل عن نصف الشاقل حين تعطون تقدمة الرب للتكفير عن نفوسكم. وتأخذ فضة الكفارة من بني إسرائيل وتجعلها لخدمة خيمة الاجتماع فتكون لبني إسرائيل تذكارًا أمام الرب للتكفير عن نفوسكم" 389.

يقول المُشرِّع أيضًا إنه يجب أن يكون التعداد بدقة. وحدد أن يُجمع نصف شاقل كتقدمة إلى الرب. أيضًا حدد بوضوح من هم هؤلاء الذين ينبغي عليهم إعطاء تقدمات. الله لم يعط أمرًا بأن تفعل النساء هذا. وبالمثل الذين مازالوا أطفالًا، وهو بذلك يرفض، على ما أظن، الجبن والضعف والفهم الناقص. فهو قد حدد أن الشباب المملوئين بالقوة والنضج الذين يُقبلون في التعداد، ينبغي أن يكونوا قد بلغوا سن العشرين. إذن فالذين يستحقون أن يقدموا عطايا إلى الرب وفق الناموس هم الذين تخطوا المعرفة الطفولية والعقل المتردد، وهم قد بلغوا إلى قياس قامة الرجولة، أي قياس العمر الروحي مثلما يُفهم بحسب المسيح. هؤلاء يُقبلون في التعداد، أي أنهم يظهرون ذواتهم مستحقين للوجود في حضرة الله نفسه، وفق ما جاء في المزمور: "عِيبَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ وَأَنْبَاهِ إِلَى صِرَاحِهِمْ" 390، ووجودهم في حضرة الله هو للتكفير عن أنفسهم ولأجل خدمة الخيمة المقدسة، وهذا يكون تذكارًا أمام الله. وهكذا (العبادة) في الكنائس وفضائل القديسين هي مثل زينة للخيمة المقدسة، إذ يبلغون خلاص النفس ويُكَلِّل الشجعان بالمجد الدائم. ألا يبدو لك أن قلبي صادق؟!

بلاديوس: صادق جدًا.

كيرلس: فقد أوصى الله أن تُدفع الفدية - أي نصف الشاقل - وهذا كان تبرع الشجعان. ورؤساء الأسباط أضافوا على ما أمر به الناموس، إذ قدموا أشياء ذات قيمة عظيمة و ثمينة، وبذلك تفوقوا على الآخرين لأنه مكتوب: "والرؤساء جاءوا بحجارة الجرز وحجارة الترصيع للرداء والصدرية وبالطيب والزيت للضوء ولدهن المسحة وللبخور العطر" 391. ألا تقترب هذه الأمور - ولو قليلاً - مع السابقة؟ جمع المحاربين قدموا إلى الله كل ما حصلوا عليه من السبي، وفق الوصية التي أعطيت لهم، من الإنسان حتى الحيوان، أما رؤساء الألوف والمئات فأضافوا إلى هذا الحلقات والأساور والخواتم وكل متاع مصنوع من الذهب، وكل هذه وضعها رئيس الكهنة ألعازار في الخيمة المقدسة. وأيضًا فإن كل الناضجين دفعوا نصف شاقل، أما الرؤساء فقدموا أيضًا حجارة مختارة للرداء والصدرية والتي تشير إلى زينة المتقدم في الكهنوت. إذن، رؤساء الشعب يقدمون ذواتهم مزينين للمسيح، أي كأنهم حجارة ثمينة. ولذلك فإن النبي يتنبأ عن الرسل القديسين عندما يقول: "كحجارة التاج مرفوعة على أرضه" 392. وهكذا كان أيضًا بولس العظيم الذي كرز بالإنجيل من أورشليم حتى الليريكون 393.

إذن الحجارة الثمينة تشير إلى جمع القديسين الذين يعلنون مجد المسيح. هؤلاء هم الزيت للمسحة، وخطبة البخور التي تشير إلى نشر معرفة المسيح كرائحة ذكية، وكزيت يلينون بتعليمهم الحكيم وأقوال الروح نفس أولئك الذين يدخلون إلى أسرار المسيح. البخور مُركب لأنه يشير إلى أن المعرفة عن المسيح هي مؤلفة من اثنين، طالما المسيح هو في الوقت نفسه إله وإنسان معًا، إذ هو ابن واحد ومسيح واحد من الاثنين، الذي قيل عنه في موضع ما ونحن أنفسنا أيضًا نقول: "اسمك دهن مهراق" 394.

بلاديوس: إذن التعداد الذي صار بأمر الله شمل المحاربين والرجال الشجعان، الذين يشيرون إلى تأسيس الكنائس والمساهمة في كل ما يُمدد الله. لأن هذا ما يشير إليه كل ما تناولناه بالتحديد.

389 خر 16:12:30.

390 مز 15:34.

391 خر 28:27:35.

392 زك 9:16.

393 أنظر رو 19:15.

394 نش 1:3.

كيرلس: أنت تتكلم بالصواب. إن النصيب المُجد والحسن والصالح سيُمنح لهؤلاء الشجعان الذين يتقدمون هكذا كما ذكرنا. كيف يمكن للمرء أن يتشكك في هذا الأمر؟ ألم تسمع ما يرنم به داود: "لأنك تأكل تعب يديك"³⁹⁵، بل ما كتبه بولس الحكيم: "ما يزرعه الإنسان إياه يحصد"³⁹⁶.

بلادديوس: نعم سمعت ما قاله المرنم.

كيرلس: إذن، الشجاعة لها مكافأتها بلا شك. وبولس يؤكد هذا الأمر إذ يقول: "لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسآداً. ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية"³⁹⁷. الله سوف لا ينسى تعب الشجعان بتأتًا، بل سيوزع مكافآت الأتعاب لكل الذين غلبوا الرخاوة التي تقود إلى الرذيلة، وهذا ما يخبرنا عنه أيضًا ما كُتب في سفر العدد: "ثم بعد الويا كلم الرب موسى وألعازار بن هرون الكاهن قائلاً. خذا عدد كل جماعة بني إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعدًا حسب نبوت آبائهم كل خارج للجند في إسرائيل. فكلهم موسى وألعازار الكاهن في عربات موآب على أردن أريحا قائلين: من ابن عشرين سنة فصاعدًا كما أمر الرب موسى وبني إسرائيل الخارجين من أرض مصر"³⁹⁸.

وبعد ذلك، إذ حدث الإحصاء للشعب وللأسباط يضيف أيضًا: "ثم كلم الرب موسى قائلاً: لهؤلاء تقسم الأرض نصيبًا على عدد الأسماء. الكثير تكثر له نصيبه والقليل تقل له نصيبه كل واحد حسب المعدودين منه يعطى نصيبه. إنما بالقرعة تقسم الأرض حسب أسماء أسباط آبائهم يملكون. حسب القرعة يُقسم نصيبهم بين كثير وقليل"³⁹⁹. هذا هو ما شرّعه الناموس بخصوص كل ما ينبغي أن يرثه الذين تجاوزوا العشرين عامًا. وبعد إحصاء الحشد الأكبر من الشعب، صار إحصاء بني لاوي: "وهؤلاء المعدودون من اللاويين حسب عشائهم لجرشون عشيرة الجرشونيين"⁴⁰⁰. وطالما تحدثت عن نسب موسى وهرون، يضيف أيضًا عن أحفاد اللاويين: "وكان المعدودون منهم ثلاثة وعشرين ألفا كل ذكر من ابن شهر فصاعدًا لأنهم لم يعدوا بين بني إسرائيل، إذ لم يعط لهم نصيب بين بني إسرائيل. هؤلاء هم الذين عدهم موسى وألعازار الكاهن حين عدا بني إسرائيل في عربات موآب على أردن أريحا. وفي هؤلاء لم يكن إنسان من الذين عدهم موسى وهارون الكاهن حين عدا بني إسرائيل في بركة سيناء. لأن الرب قال لهم إنهم يموتون في البرية، فلم يبق منهم إنسان إلا كالب بن يفته ويشوع بن نون"⁴⁰¹.

فلنتقدم الآن أيضًا فاحصين بإيجاز كل واحدٍ على حدة، دعنا ندرس هذه الأمور بوضوح وتحديد أكثر.

بلادديوس: قل إذن ولا تمل أبدًا. لأنه من دواعي سروري أن نتحدث في هذه الأمور بالتفصيل.

كيرلس: إذن ونحن نوجز مفهوم هذه الأمور التي تكلمنا عنها، نقول الآتي: يأمر الله أيضًا بإحصاء المتمرسين في الحرب، كما قلنا منذ قليل، أي أن المعروفين والمسجلين بواسطة الله في كتاب الحياة ليسوا الجبناء وغير القادرين، ولا الذين لديهم معرفة طفولية، بل هم الأقوياء جدًا والمستعدون لمحاربة الشهوات والخطية، وكل الذين تقدموا في الفهم ويستطيعون أن يعملوا ما يجب عليهم، ولديهم النشاط والقدرة على إتمام الأمور التي يريدّها الله. هؤلاء تشاركوا في الأرض بحسب السبط وبحسب الاسم كل واحد على حدة، هؤلاء الذين نتحدث عنهم بحسب السبط والجنس يشيرون إلى الذين يرثون الأرض المقدسة، والذين سوف يشتركون في الخيرات العتيدة، هؤلاء هم الذين قيل عنهم: "طوبى للدعاة لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون. طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون"⁴⁰²، وأيضًا في التطوبيات الأخرى. هذا هو نصيب كل شخص من أولئك الذين يُرحمون، والذين هم أبرار وودعاء، والذين طُردوا من أجل البر، إذ يُعطى تاج البر لكل واحد منهم على حدة، لأن الله يقدر كل واحد وفقًا لإنجازاته. فإن الله يفيض النعمة على الشجعان بحسب قياس شجاعتهم، بالرغم من أننا نعرف أن الهبة صارت بمقياس عظيم ومُنحت بأكثر سخاء، لأنه يقول: "

³⁹⁵ مز 128:2.

³⁹⁶ عب 10:6.

³⁹⁷ غل 28:6.

³⁹⁸ عدد 41:26.

³⁹⁹ عدد 56:26.

⁴⁰⁰ عدد 57:26.

⁴⁰¹ عدد 65:26.

⁴⁰² مت 7:5.

اعطوا تعطوا كياتل جياتل ملبتا مهوزا فائضا يعطون في احضانكم، لانه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكال لكم⁴⁰³. يبدو لي أن هذا الأمر يُشار إليه في قول الله: "لهؤلاء تقسم الأرض نصيبا على عدد الأسماء. الكثير تكثر له نصيبه والقليل تقلل له نصيبه. كل واحد حسب المعدودين منه يُعطى نصيبه"⁴⁰⁴. الزائد من الأسماء في بيان الإحصاء هو نموذج واضح لمن هو أسمى وزائد في الفضيلة، لأنه بحسب الطوباوي بولس، الواحد يُكرّم هكذا والآخر بطريقة مغايرة. والأرض تُوزع بالقرعة وفقاً للقول: "نصيب في يديك"⁴⁰⁵. فتوزيع الخيرات العتيدة توزيعاً معصوماً من الخطأ، سيكون بالقرار الإلهي. لأن الله الذي يعرف كل شيء عنا، سوف يحدد النصيب الملائم لكل واحد. وهناك إحصاء منفصل للابوين من ابن شهر فصاعداً. هؤلاء لا يُعطى لهم نصيب ضمن الإسرائيليين ولا يحصون معهم. لأن نسل الكهنة هو أقدس. ولذلك فإن تسجيلهم يتم منفصلاً عن الآخرين بما أن نصيبهم ليس مع الآخرين. فهؤلاء نصيبهم وقرعتهم، هو إله الجميع نفسه وفق المكتوب: "طوبى لأتقياء القلب لأنهم يعابنون الله"⁴⁰⁶. لأن المدعوين "ودعاء" سيرثون ملكوت السموات، والحزاني سيتعزون، والرحماء سوف يُرحمون، و"أتقياء القلب" يقول عنهم: "طوبى لهم لأنهم سوف يعانون الله" هؤلاء أكثر قداسة ونقاء من الآخرين، وقرعتهم ونصيبهم هو رؤية الله، أي معرفة الله نفسه. هذا هو ما وعد به المسيح رسله القديسين قائلاً: "قد كلمتكم بهذا بأمثال ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال بل أخبركم عن الأب علانية"⁴⁰⁷.

إن تسجيل المقدسين يصير من طفل عمره شهر كما قلت من قبل قليل. فالذين يُسجلون في سفر الله ليسوا هم فقط البارزين من القديسين في القوة الروحية والحكمة، ولكن أيضاً الذين يتميزون بالبساطة في المسيح وهم أطفال من جهة الشر. إذن يُكتب كل الجنس المقدس، كل الحكماء والبسطاء. وسيمكنك أن ترى، يا بلاديوس، مثل هذا الاختلاف بالنسبة للمعرفة والطرق بين القديسين على اختلافهم. وأضاف أنه لا يوجد إنسان أحصى بواسطة موسى وهارون - من الإسرائيليين الذين أحصوا في صحراء إسرائيل - وقال لهم الرب: "يموتون بالتأكيد في الصحراء" حيث لم يبق أحد منهم فيما عدا كالب بن يَفنة ويشوع بن نون⁴⁰⁸. فهو يريد بذلك أن يبرهن على أن الميراث والتسجيل في سفر الله لا يتم للجميع، لكنه بالحرى يُعطى للذين يقبلون الإيمان بالمسيح. فقد قال داود عن أولئك الذين لم يؤمنوا: "ليمحوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لا يُكتبوا"⁴⁰⁹.

وتعلن لنا الكلمة الإلهية، أن النعمة سَتُعطى لكل الذين يؤمنون بالمسيح. لذلك نقول الكلمة الإلهية، إن التسجيل سيصير بالقرب من الأردن، فهذا يشير إلى أن من سَيُعَمَد هو الذي سَيُسجل. وهكذا لم يفقد إسرائيل رجاءه تماماً. فقد خَلَصَ كل من تبقى وفق الكلمة النبوية⁴¹⁰. وكالب ويشوع اللذان بقيا وحدهما من الجمع، صاروا نموذجاً للذين سيكون لهم نصيب في الميراث والتسجيل. لأنهما لم يرتكبا خطية العصيان. لاحظ أن التسجيل وتوزيع الأنصبة للقديسين قد نُفذ بواسطة موسى والمتقدم في الكهنوت، حتى كما قلت سابقاً، يُفهم المسيح الواحد بالاثنتين كرئيس كهنة ومُشرّع معاً، وهو الذي يعطي كل نعمة، ويسجل الأسماء في الأسفار السماوية. تلك التي شاهدها دانيال الطوباوي في الرؤيا، لأنه يقول: "قُتحت الأسفار"⁴¹¹، وذلك لأن أولئك الذين كتبوا كانوا كثيرين ومتنوعين، لهذا فإن الأسفار كثيرة وليست سفرًا واحدًا.

بلاديوس: إذن بالصواب والحكمة قال سفر الأمثال: "الكسالى يصيرون فقراء من الغنى، بينما الرجال الأقوياء والنشطون يعضدون غناهم".

كيرلس: هؤلاء بالتأكيد يعضدهم الله ويكون رفيقاً لهم ويحارب عنهم، وهو الذي يغنيهم ببركاته السماوية، ويكلهم بالكرامة البهية، ويزينهم بغنى المجد الفائق. ألا يكون صادقاً عندما يقول: "أكرم الذين يكرموني"⁴¹²!

⁴⁰³ لو 6:38.

⁴⁰⁴ عدد 26:54-53.

⁴⁰⁵ مز 16:5.

⁴⁰⁶ مت 5:8.

⁴⁰⁷ يو 16:25.

⁴⁰⁸ أنظر عدد 26:65.

⁴⁰⁹ مز 69:28.

⁴¹⁰ أنظر إش 21:10.

⁴¹¹ دا 7:10.

⁴¹² 1صم 30:2.

بلادديوس: صادق بالحقيقة وبلا شك.

كيرلس: أعتقد أن كل واحد يتم ما يشير إلى مجد الله، بالقوة الناضجة التي تظهر في الرجولة الروحية، وهو يحارب الأعداء غير المنظورين، ويعرف أن يخلص نفسه والآخرين أيضاً، وهو بمعونة الله يمكنه أن يفلح في كل شيء.

بلادديوس: إنني متيقن من كلامك.

كيرلس: أتريد إذن أن نفحص جيداً هذا الذي خطط كما في لوحة، النصوص الكتابية التي تتحدث عن ابرآم العظيم؟

بلادديوس: بالطبع نعم، وكيف لا؟!

كيرلس: حسناً، يذكر الكتاب أن لوط سكن وعاش في سدوم. ولكن بسبب أنه جرت حرب ثقيلة في هذه المدينة، ورؤساء البلاد القريبة والمجاورة قد استولوا قهراً على المدينة، وأخذوا مع المتمردين الآخرين لوطاً وآخرين من ضمن المأسورين:

"فأتى من نجا وأخبر ابرآم العبراني وكان ساكناً عند بلوطات ممرا الأموري أخي أشكول وأخي عانر وكانوا أصحاب عهد مع ابرآم. فلما سمع ابرآم أن أخاه سبي جر غلمانته المتمرنين ولدان بيته ثلاث مئة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان. وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة التي عن شمال دمشق. واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضاً والشعب. فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه إلى عمق شوى الذي هو عمق الملك. وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً للعلي. وباركه وقال مبارك ابرآم من الله العلي مالك السماوات والأرض. ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك فأعطاه عشراً من كل شيء. وقال ملك سدوم لابراآم أعطني النفوس وأما الأملاك فخذها لنفسك. فقال ابرآم لملك سدوم رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض. لا أخذن لا خيطاً ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك فلا تقول أنا أغنيت ابرآم. ليس لي غير الذي أكله الغلمان وأما نصيب الرجال الذين ذهبوا معي عانر وأشكول وممرا فهم يأخذون نصيبهم. بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى ابرآم في الرؤيا قائلاً لا تخف يا ابرآم أنا ترس لك أجرك كثير جداً. فقال ابرآم أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيماً ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي. وقال ابرآم أيضاً إنك لم تعطيني نسلاً وهوذا ابن بيتي وارث لي. فإذا كلام الرب إليه قائلاً لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج وقال أنظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدّها وقال له هكذا يكون نسلك" 413.

أرأيت كم هي شجاعة القديسين وبسالتهم. إذ هم يميلون طوعاً لتحمل الآلام؟! فيمجرد علمه (ابرآم) بأن لوط أصابه خطر، حزن في الحال لأجل نكبة قريبه، وأخذ عبيده وبعض المحاربين معه الذين لم يكونوا عبرانيين، وتقدم مسرعاً ضد أولئك الذين فعلوا شراً، وعندما انتصر عليهم بسهولة حرّر ابن أخيه لوط وأولئك الذين وقعوا في أيدي المعتدين. بعد ذلك أعطيت له الكرامة التي تليق بالمنتصر، فأتى إليه لمقابلته ملك سدوم، وملكي صادق، رئيس كهنة الله العلي كما يقول الكتاب. ولم يستقبله هكذا ببساطة، لكن كان معه رمزي الكهنوت، أي الخبز والخمر، وبارك ابرآم ومكافأة له باركه بكلمات مقدسة.

إذن فقد أظهر ابرآم شجاعة وانتصر. هكذا هم أيضاً الشجعان بحسب المسيح، والذين لهم جرأة محبة الله في نفوسهم. وسوف أضيف كمثال وتأكيد لقولي، الرسل القديسين، هؤلاء الذين حاربوا بقوة ونضوج متسلحين بالكتب المقدسة ومعهم خدام العائلات من الذين آمنوا بالإنجيل ومعهم بعض المحاربين من غير العبرانيين، كل هؤلاء حاربوا الشيطان بقوة الذي نهب كل شيء، ومعهم الذين انجرفوا عن الحق واستولوا على البسطاء، وأظهروا شجاعة عظيمة وانتصروا وانتزعوا الأسرى من سلطة الطاغية. وفي الحقيقة إنهم أنقذوا آخرين من عبادة الأصنام ومن السجود للخليفة بدلاً من الخالق، وجذبوا آخرين من الضلال. هكذا ربّحوا مكافأة وإكراماً من العالم بسبب شجاعتهم العظيمة وسمو نفوسهم، لأنه مكتوب: "فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه، وملكي صادق ملك شاليم كاهن الله العلي"، والذي بواسطته نال بركة المسيح، التي ملأته بالابتهاج وبالنعمة المحيية، بواسطة الخبز والخمر.

ملكي صادق هو مثال لكهنوت المسيح، ولا نحتاج إلى كلمات كثيرة لكي نبرهن على هذا الأمر، والكتاب

المقدس يكفي لهذا الغرض. وعندما قال ملك سدوم إلى أبرام كمننصر "أعطني النفوس وأما الأملاك فخذها لنفسك"، لم يرفض مباشرة كل شيء بصورة مُطلقة، بل قَبِلَ فقط ما أكله الغلمان، وكذلك نصيب الذين ذهبوا معه، وهم عائر وأشكول وممرا. فالمحاربون والمدافعون بشجاعة القديسين - من أجل تحرير أولئك الذين استُعبدوا آخذين على عاتقهم كل تعب - لم يأخذوا شيئاً من العالم، ولا جمعوا من غنى الأرض، رافضين بشدة أي تعبيرات من العالم، لأنه يقول: "لئلا تقول أنا أغنيت / أبرام". إذ قَبِلَ الأطعمة للغلمان، فقط لأنه مكتوب: "الفاعل مستحق أجرته"⁴¹⁴. والمسيح أعطى وصية للذين يكرزون بالإنجيل أن يعيشوا من الإنجيل. إذن، المحاربون ينالون نصيباً، لأن الله يبارك في أمور الحياة للذين يتشبهون بالقديسين، وتتضاعف لهم الخيرات التي ينالونها من الله، بقدر ما يسلكون في طريق البر. بمعنى أن الله يمنح بركاته الأرضية للذين لم يتخلصوا تماماً من الأرضيات، وهم موزعون بين الله والعالم. هكذا بارك يعقوب مضاعفاً في مواشيه⁴¹⁵.

بلاديسوس: نتحدث بالصواب.

كيرلس: وعندما يصل المجاهدون إلى مثل هذه الدرجة من النجاح والمجد، فإن الله لا يتركهم بدون مكافأة، فهذا ما يقوله الذي يعرف أن يخلص، إذ هو يعدهم بما يلائم، فهم سينالون مكافأة غنية. فالله يستبعد الجبناء والخائفين، ولكنه يشجع أولئك الذين عندهم رجاء ويجعلهم يصيرون أقوياء جداً. لذلك يقول بولس المختبر لهذه الحالة: "استطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني"⁴¹⁶، وأيضاً: "قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان، وأخيراً وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب التيان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً"⁴¹⁷. فإبرام العظيم بالرغم من أنه كان له ابن من جارية، إلا أنه كان يعاني من الحزن، إذ قال الله: ماذا تعطيني، طالما أنا أموت بدون ولد؟ فهو يعتبر أنه بلا ولد طالما أن ليس له ابن حسب الوعد. بعد ذلك يعده الله بابن من الحرّة، أي اسحق، وإنه سوف يصير أباً لشعوب كثيرة، ونسله سيكون مثل نجوم السماء في الكثرة.

الرسل القديسون لا يُسرّون بأي نوع من العبودية، للعبادة الناموسية، بل هم بالأحرى يطلبون ثمرة الحرية التي للعهد الجديد، أي الحرية في المسيح، والذي كان اسحق رمزاً له، من جهة الوعد والإيمان. لذا يقول بولس الطوباوي عن الامتيازات التي له من الناموس: "لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إنني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح"⁴¹⁸. فالرسل إذن، بواسطة الإيمان بالمسيح قد صاروا آباء لأمم كثيرة، ولنسل لا يُحصى كما وعد تماماً أبرام في شخص اسحق.

وسوف نخصص الكلام في هذا الموضوع، ليس فقط للرسل والقديسين القدماء، بل أيضاً للذين كان نصيبهم خدمة الكهنوت من بعد أولئك الأولين، وهم رؤساء الكنائس، وفي النهاية يمتد الحديث إلى كل من هو صالح وبار.

⁴¹⁴ لو 7:10.

⁴¹⁵ أنظر تك 30:30.

⁴¹⁶ في 4:13.

⁴¹⁷ 2 تي 4:8.

⁴¹⁸ في 3:8.

www.orthodoxonline.org

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة الخامسة

الشجاعة التي بالمسيح

كيرلس: إن الهدف الذى وضعه القديسون لأنفسهم يا بلاديوس، هو أنهم جاهدوا من أجل حياة الآخرين، لأنهم لم يريدوا لأنفسهم أى شئ من أمور هذا العالم.

هكذا استطاعوا أن يكونوا حكماء وأقوياء، مملوئين بالرجاء الصالح. ومُسَلَّحِينَ جَيِّدًا بِالرَّضَا السَّمَاوِيِّ. وكما تعرف جيدًا أيها الصديق أن هذه الأمور لم يكن لها أن تصبح بعكس ذلك. فقد كان لهم الفكر الذى هزم صعوبات هذا العالم والشهوات الحاضرة، وواجهوها باستقامة وهزموا الأعداء بسهولة، وأيضًا بسهولة كبيرة جدًا انتصروا على مقاومهم، لأن الله قد زلزل أولاً قوة أولئك المقاومين. لكن لو أن التلاميذ القديسين قد أسرتهم - هم أيضًا - الشهوات العالمية وحاصرتهم الرغبات الأرضية، لكانوا قد صاروا مجردين من العون السمائي، ولكانوا صيدًا سهلاً لأعدائهم كالمطاردين والمقبوض عليهم بسهولة.

بلاديوس: وهل يمكن تأكيد ما قلناه؟ أريد أن أعرف ذلك بوضوح.

كيرلس: تستطيع أن تعرف من الكتاب المقدس الذى يؤكد هذه الأمور بأسلوب مفيد من خلال ما حدث للأقدمين. فإن هذه الأمور كُنَّبت لأجل إرشادنا كما قال القديس بولس⁴¹⁹.

بلاديوس: اعترف أن كل ما تذكره الكتب المقدسة يبعث فينا فائدة ليست بالقليلة. لأن تلك الظلال إنما كانت مثالاً للحقيقة.

كيرلس: إذن فلنتقدم فى الحديث. عندما عبر الإسرائيليون نهر الأردن وهاجموا أريحا وتبعوا الوصايا الإلهية، حاولوا أن يحتلوها بالحصار، وفى نيتهم أن ينتصروا على الفور، إذ أننا نقرأ: " فدعا يشوع بن نون الكهنة وقال لهم: احمِلُوا تابوت العهد وليحمل سبعة كهنة أبواق هتاف أمام تابوت الرب. وقالوا للشعب اجتازوا ودوروا دائرة المدينة وليجتز المتجرد أمام تابوت الرب"⁴²⁰.

وأيضًا عندما يوصي المسيح على فم قادة الشعب، فإننا ننتصر على الأعداء، لأن معركتنا ليست مع لحم ودم، بل مع الرؤساء والسلاطين، ومع الناموس الذى يحارب بقسوة فى أعضاء الجسد. سنأتي أمام الله لابسين الدرع الإلهي " لأن أسلحتنا ليست جسدية " وفقًا لما قاله القديس بولس⁴²¹.

وبناءً على هذا، فالله رب الجميع، يلاحظ المحاربين وهم لا بسين الحلل المنيرة التى للحياة الفاضلة، أي أن المحاربين يتقدمون أمام المسيح، وهم مُسَلَّحُونَ. وهذا أمر نافع جدًا، وبالحق نحن نتمنى أن نأتي أمام الله. إنه من الممكن أن يفرض الله عقابًا على أولئك الذين يسببون الألم، بسبب انحرافهم، إذ يستر وجهه عنهم كما هو مكتوب " فحين تبسطون أيديكم استر عيني عنكم "⁴²².

ولأن الحصار امتد لليوم السابع، قال يشوع بن نون للإسرائيليين: " اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل ما فيها محرماً للرب. راحاب الزانية فقط تحيا هى وكل من معها فى البيت لأنها خبات المرسلين الذين أرسلناهما. أما أنتم فاحترزوا من الحرام لئلا تُحرموا وتأخذوا من الحرام وتجعلوا محلة لإسرائيل محرمة وتكدروها.

¹ انظر رو 3:15.

² يش 76:6

³ 2كو 4:10

⁴ 1ش 15:1

وكل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تكون قدسًا للرب وتدخل في خزانة الرب⁴²³.

أى أنه سُمح للشجعان أن يتمتعوا بالغانم الأخرى، لكنه يقول إنه يجب أن يُنقل ويُوضع في خزانة الرب كل شيء مصنوع من فضة وذهب ونحاس وحديد، هذا هو الذي يُقال عنه إنه مُحرم، وهذا هو الذي عُزل عن كل شيء وخصص لله. فإن "عخان بن كرمي بن زبدي بن زارح من سبط يهوذا" - لم يعط أي أهمية للوصية - فأخذ من الحرام فحصى غضب الرب على إسرائيل⁴²⁴. واعتقد أنه يجب على كل من يقاوم الشهوات العالمية ومغريات الحياة، ويعيش بحسب ما يريد الله، أن يتقدم بأسلحة البر ويتقابل فعلاً مع المسيح، وألاً يشتهي شيئاً من هذا العالم، لا غنى ولا مجد ولا سلطة ولا امتيازات، ولا أي شيء من تعاليم الحكمة اليونانية الباطلة. والفضة تشير إلى طريق الرتب والامتيازات، والذهب يرمز للغنى، والنحاس يشير إلى فصاحة هذا العالم، والحديد يشير إلى القوة والسلطة، لأنه صلب جداً ويحتمل أكثر من أي معدن آخر.

وبناءً على هذا، لو أراد المرء أن يغتصب شيئاً، حتى ولو كان له مكانة متميزة، وهو من المحاربين وكان متقوفاً في شجاعته الروحية، ولكن لأنه عصى الله واختار أن يثير أحزان أقرانه ومعاونيه بانحرافات مريضة، فإن هذا سيؤدي به للغضب الإلهي.

بلادديوس: تكلمت بالحق، وأنا متفق معك. لكن أخبرني عن هذا، ولننتقل بحديثك من الوضع التاريخي. لماذا لم يستبعد الرب من الخيمة الفضة والذهب والنحاس والحديد، كأشياء لا فائدة منها، وعادة ما تثير التلوث؟. وإذ أن رؤيتنا الروحية دائماً تُظهر أن هذه الأشياء تسبب تعطيل للمسيرة الروحية.

كيرلس: لأنه يا بلادديوس كل البهاء والحكمة والغنى والقوة تُنسب بالحق لله، لأن الله هو الذي له المجد، وكل الإكرام والغنى والحكمة والقوة. فلو أخذ أحد من الله واغتنى منه، أي أخذ غنى ومجداً وفهماً وقوة، سيكون معروفاً ويصير مثلاً للآخرين. لأنه لو أراد أن يأخذ هذه الأمور من العالم، سيصير بشعاً ومكروهاً من الله الذي يكرم الفضيلة، وسيحاسب يوم الدينونة. لأنه على كل حال، فإن الغنى الأرضي تصاحبه الشهوات الجسدية، والبريق والتميز عن الآخرين يصاحبه الغرور. ومع السلطة يكون الطمع، ومع الحكمة العالمية تكون التعاليم المُضلة. حتى ولو كانت اللغة التي يتكلم بها (هذا الحكيم) لغة مُبهجة. ولذلك يقول الرسول بولس "إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصير جاهلاً لكي يصير حكيمًا. لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله"⁴²⁵.

إن فعخان الذي لم يأخذ من كنز المسيح، كواحد من هذا العالم، أي كواحد من أريحا، فإنه يتصرفه هذا قد عصى الله. والضرر الذي يحدث من وراء كل هذا، هو أن الغضب الإلهي لا ينحصر فقط في الشخص المُدان، لكن يتصرفه (الخاطئ) أساء للشعب كله. ولأن الإسرائيليين فقدوا المعونة الإلهية، صاروا متوانين وجبناء، وهم الذين كان من الصعب جداً أن يُهزموا في الماضي.

بلادديوس: بأي الطرق وأين نستطيع أن نعرف أن هذا الكلام هو كلام حقيقي؟.

كيرلس: من المكتوب فيما بعد. فبعد كل هذا البريق وهذه البطولات في أريحا من قبل الإسرائيليين جميعاً، أرسل يشوع بعض رجال من أريحا إلى عاي، وكلمهم قائلاً: "اصعدوا تجسسوا الأرض. فصعد الرجال وتجسسوا عاي. ثم رجعوا إلى يشوع وقالوا له: لا يصعد كل الشعب بل يصعد نحو ألفي رجل أو ثلاث آلاف رجل ويضربوا عاي. لا تكلف كل الشعب إلى هناك لأنهم قليلون. فصعد من الشعب إلى هناك نحو ثلاثة آلاف رجل وهربوا أمام أهل عاي. فضرب منهم أهل عاي نحو ستة وثلاثين رجلاً ولحقوهم من أمام الباب إلى شياريم، وضربوهم في المنحدر. فذاب قلب الشعب وصار مثل الماء"⁴²⁶. هؤلاء الذين حاصروا مدناً وغنموا بلاداً، وبدون مشقة هزموا أكثر الشعوب صلاباً، انهزموا من محاربين لا ذكر لهم في عاي، فهربوا بعد أن ضُرب منهم كثيرون. في البداية لم يشأ كل المحاربين أن يأخذوا معهم أسلحة، وقالوا إنه من السهل وبعد قليل أن يحتلوا المدينة، إذ نقرأ "لا يصعد كل الشعب بل يصعد نحو ألفي رجل". أمام هذا البلية غير المتوقعة وهذه النكبة غير المنتظمة، حزن يشوع جداً ومزق ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب، وسأل

⁵ يش16:19.

⁶ يش1:7.

⁷ 1كو18:19.

⁸ يش7:52.

الله وهو منكسر ماذا تعني هذه البلية؟ قال له الرب "قم لماذا أنت ساقط على وجهك؟ قد أخطأ إسرائيل، بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به بل أخذوا من الحرام بل سرقوا بل أنكروا. بل وضعوا في أمتعتهم، فلم يتمكن بنو إسرائيل للثبوت أمام أعدائهم. يديرون قفاهم أمام أعدائهم، لأنهم محرمون ولا أعود أكون معكم إن لم تبيدوا الحرام من وسطكم"⁴²⁷. وعندما أشاروا إلى عخان، قال يشوع لعخان: "يا ابني أعط الآن مجداً للرب إله إسرائيل واعترف له واخبرني الآن. ماذا عملت؟ لا تخف عني. فأجاب عخان يشوع وقال حقاً إنني قد أخطأت إلى الرب إله إسرائيل وصنعت كذا وكذا. رأيت في الغنيمة رداءً شنعارياً نفيساً ومئتي شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلاً فاشتيتها وأخذتها. وها هي مطمورة في الأرض في وسط خيمتي والفضة تحتها"⁴²⁸. هكذا تفهم أن السارق نفسه يقول رأيت بين الغنائم رداءً شنعارياً نفيساً متعدد الألوان ومئتي شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلاً، هذه هي التي سيطرت على عقله، أي أنه اشتهاها وهو لم يكن يحق له. وهذا الرداء الشنعاري هو الزى العسكري وهو ثمين جداً، ويقولون إنه الزى الذي يُسج من خيوط مختلفة الألوان، وهو يرمز للجلع. فالعسكريون كلما يأخذوا أكثر فأكثر ترافقهم الفرحة على الدوام. والفضة ترمز للبريق العالمي، واللسان (الذهب) يرمز للحكمة اليونانية البراقة. شيء مثل هذا، هو لغة وثقافة الحكماء اليونانيين، فهي بمعنى ما، مثل الذهب وتمثل شيئاً ثميناً جداً، بسبب بريق الكلمة. عندما اكتشفت الخطيئة، وضع يشوع على عخان عقاباً، لأنه لم يظلم نفسه فقط، لكن الضرر امتد إلى كل الإسرائيليين بسبب شهوته الجامحة. هذا ما يعلنه الرسول بولس بكل التأكيد والوضوح وبشكل تام: "اعزلوا الخبيث من وسطكم. أستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله"⁴²⁹. ألم يبدو هذا الأمر بكل وضوح أولاً بالحديث عن إبراهيم، إن مجد الشجاعة يظل خالداً في القديسين ويتبعه إمكانية الانتصار السهل على الأعداء، إذ أنهم تجنبوا اقتناء أي شيء من أمور هذا العالم. ثم بعد ذلك، بالحديث عن عخان عندما حدث العكس، إذ أنه ابتعد عن الطريق المستقيم وانحصر في الأمور العالمية.

بلاديسوس: حديثك واضح جداً

كيرلس: لأنه يجب على القديسين أن يظهروا على الدوام بنفس منهج الحياة، وألاً يتغيروا في تصرفهم. هذا ما يوضحه الناموس بكلام نقي: "لا يكن متاع رجل على امرأة ولا يلبس رجل ثوب امرأة. لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك"⁴³⁰. هو شيء مقزز ومشهد بشع جداً أن تعرض نماذج للبطولة من خلال حياة مترفة. وهذا يعني متاع رجل على امرأة ورغبة التمتع من رجل قوى، نفس الشيء أن يرتدى أحد ثوب امرأة.

بلاديسوس: ما الذي تريد أن نقوله؟

كيرلس: أليس النفاق شيئاً خطأ، غير مقبول أمام الله والناس؟

بلاديسوس: هذه حقيقة.

كيرلس: إذن لو أن هناك شخصاً محباً للشهوة وفساد ويظهر هذا من أعماله، ثم يتباهي بهذه الأخلاق الزائفة، هل ستمتدحه يا بلاديسوس؟

بلاديسوس: بالتأكيد لا.

كيرلس: وماذا أيضاً عن الأخلاق الحقيقية والأخلاق العالمية؟ ألا تعتقد أنه يجب على المرء أن يكون ثابتاً على نفس الرأي على الدوام؟ وألاً يظهر بشكل مختلف عما هو عليه؟

بلاديسوس: أوافق.

كيرلس: وعليه لا يمكن أبداً لأناس لديهم فكر الترف والنعمية أن يحل هذا محل مجد الرجولة. وهذا هو معنى المكتوب: "لا يكن متاع رجل على امرأة". ولا أن تظهر القوة الحقيقية في التمتع، لأن هذا هو معنى "ولا يلبس رجل

⁹ يش 12:7.

¹⁰ يش 21:19.

¹¹ 1كو 6:5.

¹² 1كو 5:22.

ثوب امرأة". لأن الخطأ واحد في الحالتين وهو الدناءة واحتقار الفضيلة.

بلادديوس: الترف كما هو واضح يمثل خطراً، والأمر لا يخلو من ضرر.

كيرلس: لا تخف مطلقاً. لأن الخطية مُزدرأه جداً ويبغضها الله. وأنا أعتقد أنه يجب على القوي الحقيقي والشجاع ألا يترك ذهنه ينشغل بلا وعي بالأمر العالمية، وأن يحفظه بعيداً عن كل خوف وجمود، ويستند على إيمان بلا لوم أمام الله، لأنه يقول: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني"⁴³¹. وأن نتجنب كل شيء يثير الخطية، ونبدو أننا غير مُختبرين أمام الله من جهة الفكر، ونظهر أننا نفضل الأمور الأرضية. ومكتوب أيضاً في سفر التثنية: "إذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلاً ومراكب قوماً أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك الذي أضعذك من أرض مصر. وعندما تقرّبون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب، ويقول لهم اسمع يا إسرائيل. أنتم قريبتم اليوم من الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم. لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم. لأن الرب إلهكم سائر معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم. ثم يخاطب العرفاء الشعب قائلين: من هو الرجل الذي بنى بيتاً جديداً ولم يدشنه. ليذهب ويرجع إلى بيته لنلا يموت في الحرب فيدشنه رجل آخر. ومن هو الرجل الذي غرس كرماً ولم يبتكره. ليذهب ويرجع إلى بيته لنلا يموت في الحرب فيبتكره رجل آخر. ومن هو الرجل الذي خطب امرأة ولم يأخذها. ليذهب ويرجع إلى بيته لنلا يموت في الحرب فيأخذها رجل آخر. ثم يعود العرفاء يخاطبون الشعب ويقولون من هو الرجل الخائف والضعيف القلب. ليذهب ويرجع إلى بيته لنلا تذوب قلوب إخوته مثل قلبه"⁴³².

بلادديوس: وأنا أيضاً أقول لنكن لنا شجاعة أمام الله، ويجب أن نميز الفضائل، وأن ندفع بشجاعة نحو كل صلاح. لكن أن يُطرد البعض من الحرب كأناس غير مناسبين، فانا لا أستطيع أن أفهم كيف وبأي طريقة يتم هذا؟

كيرلس: ألا تعرف أنه لا يستطيع المرء أن يصير مقبولاً أمام الله حتى لو أراد أن يجوز جهاد التقوى أمامه، إن لم يعتبر أن الحياة في هذا العالم هي مسكن مؤقت؟. وقد كُتب هذا في حياة القديسين بكل دقة ووضوح كصورة ومثال. أقام البار إبراهيم كساكن مؤقت في خيام وانتقل من مكان إلى مكان، بل وكل الإسرائيليين كانوا ينتقلون باستمرار في الصحراء وكانوا يسكنون في خيام. وقد افتخر داود النبي بهذا أمام الله قائلاً: "اسمع صلاتي يا رب وأصع إلى صراخي ولا تسكت عن دعوي. لأنني أنا غريب عندك. نزيل مثل جميع آبائي"⁴³³. وكان ينتظر برغبة جارفة المسكن السماوي قائلاً: "تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي"⁴³⁴. إذن، فهؤلاء الناس كان فكرهم محصوراً في السماويات وعطشى لسكنى السموات، الأمر الذي وعد به المخلص نفسه، أولئك الذين يحبونه: "في بيت أبي منازل كثيرة، وإلا فإن كنت قد قلت لكم إنني أمضي لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعدت لكم مكاناً وأخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً"⁴³⁵. فالمقصود بمن يبني بيتاً وينشغل بالأعمال المرتبطة به هو ذلك الإنسان الذي لا يقبل أن يعيش في الحياة الحاضرة كغريب ونزيل، والذي يزرع كرماً يشير إلى ذلك الإنسان الذي يحب الممتلكات والربح، والذي يخطب امرأة يشير إلى الإنسان محب الشهوة الذي لديه شهوة للنساء، وذهنه ملتصق بالشهوات الجسدية. لذلك عندما يُنادى للقتال، فإنهم يتراجعون عن المشاركة في الحرب المقدسة. هذه الأمور كان من الطبيعي أن يفكر فيها ويقولها أولئك المأسورون من هذه الشهوات، والكارز هو الذي يعلنها ويحذر منها. فالحقيقة أن المأسورين بهذه الشهوات لا يرغبون أن يحتملوا أي جهادات، ولا أن يخضعوا للغيرة المقدسة التي تتطلبها محبة الله، وهم يظنون أنهم لو حدث وجزاؤوا هذه الجهاديات، فإنهم يفقدون البيوت والممتلكات وأيضاً الشهوات التي يحبونها. وهكذا يظهر من هم الجبناء والضعفاء. إذن فأمر طبيعي لأولئك الناس أن يفكروا ويتكلموا بهذه الأمور التي يعلنها الكاتب بطريقة غير مباشرة موجهاً إليهم لوماً واضحاً، وبفاجئ الخائف الذي يقدم أذاراً خاطئة، والذي يجمع الشهوات العالمية، كمن يجمع غداء لخوفه. ولهذا فإن الله أمر كارز الجيش أن ينطق بالكلمة الأخيرة مجردة وواضحة يقول: "ثم يعود العرفاء يخاطبون الشعب ويقولون من هو الرجل الخائف والضعيف القلب؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لنلا تذوب قلوب إخوته مثل قلبه"⁴³⁶. كأنه يقول وبكل وضوح من ينشغل بالأمور الأرضية ويبني بيوتاً ويزرع كروماً ويغوى من الشهوات الجسدية، هو في كل الأحوال خائف وضعيف وتنقصه القوة، هذا هو الجاحد الذي يمثل ضرراً للآخرين، لأنه مكتوب: "المعاشرات الرديئة تُفسد

¹³ في 4:13.

¹⁴ تث 1:20.

¹⁵ مز 13:39.

¹⁶ مز 84:32.

⁴³⁵ يو 14:32.

⁴³⁶ تث 8:20.

الأخلاق الجيدة" 437. والمأسور داخل خوفه الكامل، قد يجعل القوي والشديد البأس يجذب نحو الخوف. ولهذا فإن القديس بولس يلوم البعض، أولئك الذين أرادوا أن يعوقوه على أن يصعد إلى أورشليم، لأنه يقول: "ماذا تفعلون تبكون وتكسرون قلبي لأنني مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضًا في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع" 438. ويجب أن نسجل أن المدعوين إلى العرس كان رفضهم هكذا: "اشتريته حقلًا.. تزوجت امرأة فلذلك لا أقدر أن أجيء" 439. هذا ما ورد في الإنجيل على هيئة مثال. ولو أردت أن تفهم ذلك، فليس بالأمر الصعب أن نؤكد من الأمثلة القديمة.

بلاديسوس: تكلم إذن ولا تتباطأ أبدًا، لأنك ستفيدني كثيرًا.

كيرلس: قرأنا في سفر العدد "وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا في برية فاران. ثم كلم الرب موسى قائلاً: ارسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل. رجلاً واحداً لكل سبط من آبائه ترسلون. كل واحد رئيس فيهم. فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب. كلهم رجال هم رؤساء بني إسرائيل" 440.

وعندما أحصى رجال الإرسالية بحسب الأسباط والعائلات، أضاف أيضاً: "فصعدوا هؤلاء الاثني عشر رجلاً وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حماة. صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون" 441.

وبعد ذلك بقليل: "أتوا إلى وادي أشكول وقطعوا من هناك زرجونة بعنفود واحد من العنب وحملوه بالنقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين. فدعي ذلك الموضع وادي أشكول بسبب العنفود الذي قطعه بنو إسرائيل من هناك. ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً. فساروا حتى أتوا إلى موسى وهرون وكل جماعة بني إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش وردوا إليهما خبراً وإلى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض. وأخبروه وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقا إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها. غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً. وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك" 442. تفهم الآن كيف أن هؤلاء الخائفين من أي شيء، وهؤلاء الجواسيس الجبناء الذين أرسلوا إلى أرض الميعاد يعترفون بأن المدينة مليئة بكروم العنب وأرض خصبة ومليئة بثمار شهية، لكنهم أثاروا خوفاً في نفوس الشعب عندما وصفوا الشعب الساكن هناك بأنه معتز، قائلين أيضاً إنه توجد مدن حصينة بأسوار منيعة وهكذا نزعوا عن الإسرائيليين رجاء الانتصار إذ أخافهم دافعين إياهم إلى الجبن.

بلاديسوس: الأمر هو هكذا فعلاً.

كيرلس: لكن الحكماء والشجعان مثل كالب ويشوع قاوموا هذه الأقوال لأولئك (الجواسيس) قائلين للشعب ولموسى: "إننا نصد ونمتلكها لأننا قادرون عليها" 443. لكن الجواسيس الباقيين الذين أرسلوا معهم لم يوافقوا على هذا أبداً وأكدوا للإسرائيليين إنه من الصعب أن يحتلوا أرض الميعاد. وبعد ذلك يقول الكتاب "فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر. ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر. فقال بعضهم إلى بعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر" 444. إلى هذا الحد من الخوف والجبن وصل كل الشعب. وبينما يشوع ابن نون يحاول أن يثني الشعب حتى يصيروا أكثر جرأة، وقد مزق ثيابه وأسرف في تقدم وصف جميل لتلك الأرض، إلا أنهم لم يعودوا إلى شجاعتهم. وبهذا أثاروا حزناً لدى الله المعتني بهم، بسبب صغر نفوسهم، وانقطاع رجائهم في أن يحققوا انتصاراً لأنهم نظروا فقط إلى قدراتهم البسيطة. ولهذا أقسم أيضاً وقال: "لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن ينفة ويشوع بن نون" 445. فمن يستطيع أن يشك في أن

437 1كو 13:15.

438 أع 13:21.

439 1كو 19:14 و 20.

440 عدد 13:16 و 31.

23 عدد 13:22.

24 عدد 13:28.

25 عدد 13:30.

26 عدد 14:41.

27 عدد 14:30.

الخائف وكل من يتجنب المتاعب وقليل الإيمان يُقاد مع آخرين إلى الهلاك ويُفسد بمعاشرات رديئة، وسيفقد ميراثه ورجاءه في الله، بينما المقدام والشجاع يمتلك بداخله رجاءً ثابتاً ويصير صديقاً لله.

بلادْيوس: لا شك في هذا فهو دليل كافٍ.

كيرلس: كما قلنا في البداية إن كل من تسود عليه الشهوات العالمية هو شخص غير مُهيأ للمعركة الروحية.

بلادْيوس: بالتأكيد يكون غير مُهيأ.

كيرلس: سأضيف إنه يجب علينا كما أعتقد أن نسعي بإصرار نحو كل ما هو نافع، فإن المبتدئ في طريق الفضيلة لا تكون لديه القدرة الكافية لخوض هذه المعركة، بل من السهل جداً أن يندفع نحو الظلم.

بلادْيوس: ماذا تقصد بذلك؟

كيرلس: كُتب في سفر التثنية: "إذا اتخذ رجل امرأة جديدة فلا يخرج في الجند ولا يحمل عليه أمر ما. حرّاً يكون في بيته سنة واحدة ويسرّ امرأته التي أخذها"⁴⁴⁶.

هل تلاحظ، يا بلادْيوس، المعنى الظاهري للكلمات؟ وهل المُشرّع مُحِب الفضيلة يترك المحارب جالساً مستريحاً في بيته، ولا يجعله يتقدم وينمو؟ وهل يريد أن يُهزم بهذه العلاقة المسترخية مع المرأة، ويعتبر أن محبة الجسد هي أكثر إفادة من اجتياز هذه المعركة؟

بلادْيوس: على الأقل بالنسبة لي يصعب عليّ أن أفسر روح المُشرّع هكذا، لكن كما هو واضح فإن الأمر له شرح آخر مُحتمل.

كيرلس: سأعود مرة أخرى إلى نفس الدائرة، وسأقول لك تلك الأمور التي سبق وذكرتها. الإنسان المبتدئ في طريق الفضيلة وهو لم يكتمل تماماً بعد، من السهل أن يتحول للوضع العكسي.

بلادْيوس: أخبرني كيف؟ لأنني لا أفهمك جيداً.

كيرلس: قال سليمان في الأمثال: "قل للحكمة أنتِ أختي وادع الفهم ذا قرابة"⁴⁴⁷. بالحق نحن نفقنتي لنا فضائل، وذلك عندما نهتم أن نقدم ثماراً من خلال هذه الفضائل، أي عندما ينجح الواحد أن يقدم الحكمة في المعرفة وينجح الآخر في ممارسة الوداعة والتواضع بنشاط وحيوية. فهل بمجرد أن يبدأ الذهن أن ينشغل وبشكل مباشر بهذه الاهتمامات الجادة، يصير قادراً على تقبل التجارب والضيق؟ وذلك الذي اختبر الحكمة حديثاً ثم عاشر أولئك الذين يُعوجون المستقيمات، ألا يُعوج أكثر؟ أي هل يستطيع أن ينتصر وأن يصد هؤلاء المنحرفين، إذا لم يكن مؤسساً بعد وغير ثابت بقوة من فوق؟

بلادْيوس: يبدو هكذا.

كيرلس: ومن يمارس الوداعة، لو كان غير مُدرب عليها، ألا يسقط بسهولة في الغضب إن أثاره أحد؟

بلادْيوس: أعتقد ذلك.

كيرلس: عكس ذلك، فإن الحكيم المُدرب سيجاهد مع الحكماء وسيواجه بشجاعة الأفكار غير المستقيمة برويته المستقيمة.

بلادْيوس: هذا حقيقي.

²⁸ تث 24:5.

²⁹ أم 7:4.

كيرلس: ماذا إذن؟ إن من ينجح في ممارسة الوداعة، لا يترك مساحة للغضب، حتى ولو دفعه الآخرون إلى الغضب من حين لآخر.

بلاديسوس: أنا أوافق على ذلك.

كيرلس: فالناموس يشبه فضيلة القديسين الساكنة فيهم بجمال المرأة، لأنه يقول: "إذا اتخذ رجل امرأة جديدة فلا يخرج في الجُند ولا يُحمَل عليه أمر ما. حُرًا يكون في بيته سنة واحدة ويُسرَّ امرأته التي أخذها"⁴⁴⁸. فكما أن الذي ارتبط حديثاً (بامرأة) لا يُحمَل بمتاعب وأثقال بل يبقى حُرًا في بيته متمتعاً بالدفع، هكذا الأمر مع الذي هو حديث في اقتناء الفضيلة وفي حماسه، وهذا ما نجده في كرازة الرسل القديسين الذين أرسلوا لدعوة أولئك الذين قبلوا الإيمان حديثاً، ودعواهم إلى معرفة الله، فكتبوا بكل وضوح: "لأنه قد رأي الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثِقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة. أن تمتنعوا عما ذُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى"⁴⁴⁹. فجنبوهم بروح التدبير، أكثر الوصايا ثِقلاً، وأمروهم أن يحفظوا أموراً قليلة لكنها هامة دون أن يتجاهلوا ضعف أولئك الذين دخلوا حديثاً في الإيمان بالمسيح. إذن، فالله الكل يستطيع أن يسمح هؤلاء (حديثي الإيمان) عن الغضب أو الأخطاء، لو أنهم ضغفوا أثناء سلوكهم في طريق الآلام. لكن بعد ذلك فإن الأمر يتطلب عقاباً، ويُسلمون لشدة غضبه، لأنهم يُظهرون ضعفاً، لا لأنهم لم يعتادوا على الآلام والمتاعب، ولكن لأنهم ينجذبون للشهوة وللتنعيم ويسلكون عمداً في طريق عدم اللياقة وعدم التقوى. أم أن الفضيلة ليست تصاعدية وأن الطريق إليها ليس صعباً؟ وهل من اختار أن يقتنيها لا يحتاج أن يجاهد ويتعب؟

بلاديسوس: هكذا يكون الأمر.

كيرلس: ألا يُعتبر هذا أمراً مُبرراً، أو من الأفضل أن نقول ألا يُعتبر هذا أمراً مستقيماً وصحيحاً، أن كل من ابتدأ هذه المحاولة أن نعلمه وندرجه بإشفاق، طالما هو لم يثبت بعد وهو يتقدم بأرجل مهتزة ومازال في ضعفه، أما المختبر فيُعلم من خلال الآلام الشديدة ومخافة الله ويُقاد بالطاعة وقبول المصاعب بحسب ما هو ضروري له؟.

بلاديسوس: هذا التفكير هو تفكير راجح.

كيرلس: والأمر واضح لو فحصنا بالتفصيل ماذا حدث للأقدمين كنماذج لذلك، لأنه مكتوب: "ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء. فجاءوا إلى مارة ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مر لذلك دعي اسمها مارة. فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب. فصرخ إلى الرب فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا"⁴⁵⁰. إذن ارتحل الإسرائيليون حديثاً من مصر وتخلصوا من الآلام والنير غير المحتمل، نير عبودية المصريين، محاولين الوصول إلى الأرض التي وعد بها الله آبائهم منذ القديم. أول مشقة واجهوها هي غياب الماء الذي وجدوه بعد متاعب كثيرة وطويلة، لكن التمتع به لم يأتِ بدون عناء، لأنه كان مرّاً كما هو مكتوب. لكن بطرح الشجرة فيه تحوّل إلى ماء حلّو، وذلك بعدما أشار الله على موسى أن يلقبها في الماء. أي أنهم تعلّموا بواسطة الناموس الإلهي الالتزام بتبعية الله الذي ينقذنا من عبودية وسيطرة الشهوات المُرّة. إذن فهو أمر هام أن نجاهد مقاومين التجارب لكي ننال إكليل النصرة، ونهتدئ الجسد بالأتعاب النسكية، ونسكنه كوحش ضاري، بالعطش والابتعاد عن الطعام لكي نكبح تلك الاندفاعات التي تتجه نحو الشهوة.

معركتنا الأولى، لو أردنا أن نحقق ضبط النفس، هي مع الجسد وكل ما يتعلق به، وأعتقد أنه لا يستطيع أحد أن يحقق الفضيلة بأسلوب آخر. والعطش في الصحراء، الذي حدث للأقدمين، هو المثال الذي يُعطي للتأعب النسكية، وبداية تداريب النسك هي تلك الخاصة بالأمور الجسدية. لاحظ أيضاً كيف أن الإسرائيليين لم يسقطوا من البداية في الحرب؟ لأن كل الذين يواجهون الشهوات لأول مرة ويبدأون في تحقيق الفضيلة، لا يندفعون مباشرة نحو المعركة ضد القوات والسلطات، لأن هؤلاء الذين يتدربون ليس لديهم بعد قوة، ولم يجتازوا بعد مرحلة الخطر، لكن يُختبرون أولاً بالآلام الجسدية، بينما يدبر الله مقدار ثقل الألم، على قدر احتمال أولئك الذين يجاهدون. وأعتقد أن هذا يعني أن التجارب التي يواجهونها حتى الآن لم تكن فوق قدراتهم الإنسانية. لأن الرسول يقول: "ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما

³⁰ تث 5:24.

³¹ أع 28:29.

³² خر 25:22.

تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضًا المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا" ⁴⁵¹. ولأن جهادات الفضيلة صعبة جدًا، فإن المسيح يحولها إلى جهادات حلوة ومفرحة، المسيح هو الذي دُعِيَ شجرة الحياة. وهو نفسه يقول هذا في الإنجيل: "لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس" ⁴⁵². فهو دعا نفسه العود الرطب. والله (الآب) هو الذي أشار على موسى البار بالخشب. بمعنى أن الآب وحده أعلن الابن، لأن الابن وحده يعرف الآب. لأنه يقول: "وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن" ⁴⁵³. إذن، فبالمسيح شجرة الحياة يصير كل ما هو مُر - حلّوًا، والغير المحتمل يصير محتملاً. وكل هذه الأمور (أي الآلام) رغم أنها هامة في الحياة، وهي موجودة كوضع طبيعي، إلا أنها تتعب وتضرر الجسد.

بلادديوس: كيف يكون هذا؟

كيرلس: في الحقيقة إن الجسد تتعبه الآلام وتضره لأنها مُرة جدًا، بينما هذه الآلام تجعل النفس شريكة في الحياة الأبدية، كما يقول القدّيس بولس: "لأنني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي" ⁴⁵⁴. ويقول أيضًا: "لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفني فالدخل يتجدد يومًا فيومًا" ⁴⁵⁵. ولا يوجد أحد على وجه الإطلاق يمكن أن يعاني هذه الآلام غير المحتملة في هذا العالم، إن لم يكن يمتلك في داخله الرجاء المبارك الذي يعطيه المسيح.

بلادديوس: أعتقد أنه لا أحد يمكنه ذلك.

كيرلس: انتبه إذن يا بلادديوس، لماذا هو أمر هام أن نعود نتذكر ما قلناه في البداية. لقد عطش الإسرائيليون في البرية وتذمروا على الحكيم موسى، غير مُعاقبين، وسقطوا في صغر نفس شديد، إلا أنهم لم يُعاقبوا. ورغم أنهم لم يتعرضوا لنتائج الغضب، على الرغم من أن الله عادة يعاقب المذنبين بمثل هذا الخطأ. فالمبتدئ على التدريب لاقتناء الفضيلة ينال رحمة في البداية، حتى إن سقط من حين لآخر في بعض الأخطاء. لكن عندما يتقدم فإنه لن ينال صفًا عن صغر النفس الشديد، وعن أي انحراف عن الطريق بلا ضابط، بسبب سلوكه في شهوات غير لائقة. وفي سفر العدد يقول الكتاب أيضًا: "فارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلًا. وكانت سحابة الرب عليهم نهارًا في ارتحالهم من المحلة. وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول قم يارب فلتنتبد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك. وعن حلوله كان يقول ارجع يارب إلى ربوات أليف إسرائيل. وكان الشعب كأنهم يشكون شرًا في أنني الرب، وسمع الرب فحمي غضبه فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت في طرف المحلة. فصرخ الشعب إلى موسى فصلى موسى إلى الرب فخدمت النار. فدعي اسم ذلك الموضع تبعية (اشتعالًا) لأن نار الرب اشتعلت فيهم" ⁴⁵⁶.

ثم بعد ذلك يقول: "وارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سوف ليبدروا بأرض أدوم فضافت نفس الشعب في الطريق. وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف. فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل" ⁴⁵⁷.

أرأيت أنه بنار وحيات أهلك الله هذا الشعب الذي يتذمر ويحتج دومًا؟! بينما هؤلاء ارتحلوا من جبل الرب وتابوت عهد الرب راحل أمامهم، باحثين عن مكان للراحة، وصلى موسى وتشفع لهم لدى الله وصارت سحابة تظللهم أيضًا، ومع هذا فإنهم دعوا الطعام الذي سقط من السماء بالطعام السخيف، واحتجوا بصراخ شديد ضد الله وضد موسى، ولهذا صاروا غذاءً للنار، وبعضهم مات على الفور من لدغات الحيات.

بلادديوس: وأي شيء يمكن أن نلاحظه من هاتين المعجزتين؟ وما هو جبل الرب؟

³³ 1كو 13:10.

³⁴ لو 23:31.

³⁵ مت 27:11.

³⁶ 2كو 10:11.

³⁷ 2كو 16:4.

³⁸ عدد 31:11، 3633:10.

³⁹ عدد 64:21.

كيرلس: جيل الرب كما أتصور هو جبل سيناء، حيث نزل خالق الكل على شكل نار مشتعلة ورآه كل الشعب بحسب المكتوب، وحدد النواميس التي يجب أن يسيروا عليها لأنه يقول: "هناك وضع له فريضة وحكمًا"⁴⁵⁸، وأيضًا فإن تلك (النواميس) أعطاها المسيح. ولهذا فإن كلامه يصف هذه النواميس التي أعطاهما من خلال موسى بقوله: "فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل"⁴⁵⁹.

لنتقدم إذن ونتجاوز الغطاء المادي للحديث، ونلاحظ دقة المعاني الروحية. هؤلاء هم الذين استحقوا أن يروا الله ويعرفوه، ورأوا كما في الجبل نور الطبيعة الإلهية من خلال عيون الذهن، أي رأوا الطبيعة الإلهية في مجدها الأسمى الذي يفوق كل شيء. لأن مجد الطبيعة الإلهية هو فوق كل شيء. هؤلاء الذين بايمانهم صاروا بمعنى ما معانين المسيح. ورغم أنهم لم يعيشوا ليسمعوا منه كلماته، إلا أنه أعطاهم وعدًا من أجل طاعتهم له، لأن هذا ما صنعه إسرائيل وقتها قائلاً: "لكل ما قاله الرب إلهك ستعمل وستسمع"، هؤلاء سيستمعون بالعناية الحقيقية التي يجب أن تكون لهم وسيأخذون الاهتمام الكافي لأجل خلاصهم. ويكون الرب عونًا لهم ومحاربًا عنهم وقائدًا لهم، يعتني بمكان راحتهم. لأن المسيح هو الأول الذي بسببنا ولأجلنا وضع ذاته في مواجهة الشيطان الشرس، وواجهه بصوم وتجارب في البرية، لكي ننال نحن الراحة ونرى الشيطان ساقطًا تحت أقدامنا. ولهذا يقول: "في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم"⁴⁶⁰. ويقول في موضع آخر: "ها أنا قد أعطيتكم سلطانًا لتدوسوا الحياة والعقارب وكل قوة العدو"⁴⁶¹. إذن فهو الأول الذي بسببنا ولأجلنا، غلب الشيطان وأنهى مملكته واهتم براحتنا، وجددنا لكي نصير خالدين. أي دخل هو أولاً إلى الفردوس، إذ أنه قد أبعد بمعنى ما، السيف المسلط وأبطل الخطيئة التي كانت تعيقنا. وقد سدد عنا ديوننا كما هو مكتوب: "مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبُجبره شفيئنا"⁴⁶². لأنه سبق وصعد أولاً إلى الله الأب لأجلنا، وافتتح الطريق إلى السماء، وأعد المنازل السماوية، لهذا يقول: "أنا أمضي لأعد لكم مكانًا"⁴⁶³. إذن فالتابوت هو مثال للمسيح. لأن التابوت صنع من خشب لا يفسد، وغطى على الناموس الإلهي والذي هو كلمة الله. ونستطيع أن ندرِك أنه يشبه سر الله (المتجسد) من هذه الناحية، لأن الكلمة المتجسد هو الله داخل هيكل غير فاسد. إذن فقد صار تابوت العهد في الأمام لكي يجد الإسرائيليون مكانًا للراحة. وهكذا سار المسيح أمامنا في الطريق التي ذكرناها الآن. وبعد ذلك قام بعمل الوسيط وصار شفيعًا لدى الأب، وصار كفارة لأجلنا "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا"⁴⁶⁴، كما كان موسى في القديم، عندما كانوا يرفعون التابوت لكي يتقدموا، يقول: "قم يارب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مغضوك من أمامك"⁴⁶⁵. وعندما يضعون التابوت على الأرض، يقول: "ارجع يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل"⁴⁶⁶. بمعنى أنه الابن الوحيد الجنس قام لأجلنا، وهو الذي قال بفم المرنم: "من اغتصاب المساكين ومن صرخة البائسين الآن أقوم يقول الرب"⁴⁶⁷. وقتها سقط الأعداء وهرب أولئك الذين قاوموا المجد الإلهي وحاربوه، لأنه عندما صعد المسيح على الصليب، انتصر على الأعداء، أي السلطات والقوات المضادة، وعندما مات، أبطل سلطان رئيس هذا العالم، بحسب المكتوب: "لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يُبطلون"⁴⁶⁸. وعندما أكمل التدبير بقيامته من الأموات، ثم بصعوده إلى السموات إلى حضن الأب، جعل سكان الأرض يتحولون إليه، والساجدين له ألوف وربوات، لأنه يقول: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع"⁴⁶⁹. إذن صلاة موسى هي مثال لشفاعة المسيح كإنسان، الذي يشفع فينا أمام الله الأب. لأنه كما يقول القديس يوحنا: "لنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضًا"⁴⁷⁰. وهو لنا أيضًا غطاء عقلي، مثل السحابة التي ظللتهم. فليسمع هذا كل من يتبرر بالإيمان بالمسيح "لا تضربك الشمس في النهار ولا القمر في

40 خر 25:15.

41 مت 18:5.

42 يو 16:33.

43 لو 19:10.

44 إش 5:53.

45 يو 14:2.

46 1يو 2:1.

47 عدد 10:35.

48 عدد 10:36.

49 مز 5:12.

50 1كو 6:2.

51 يو 12:32.

52 1يو 2:21.

الليل" 471. وبحسب توزيع الأجور وفقاً للمثل الإنجيلي "نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر" 472. وأعتقد أنه يعني اللهب الشديد والقوي، الناتج عن الشهوات غير المروضة، أو ربما الناتج عن لهب التجارب وثقل النهار. إذن، المسيح صار لنا معيناً وسنداً لأجل خلاصنا. ولذلك فعندما يرفض أولئك الذين استحقوا أن يروا الله وصاروا شهوداً للأقوال الإلهية ونالوا المواعيد، ولديهم نية الطاعة باعتراف الإيمان، ثم يتحولون نحو الخطية، فإن هذا الذي سار أمامهم وقادهم، والذي يعتني براحتهم، والذي هو شفيع لأجلهم، أعني بالطبع المسيح، سيحاسبهم بعن حماقتهم وسيعانون عقوبة شديدة بالنار. وأعتقد أن هذا هو ما قاله الحكيم بولس: "فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد نبيحة عن الخطايا" 473.

بلادديوس: إذن، فكل من أخطأ وتجاوز التدبير الذي صنعه المسيح سيصير غذاءً للنار، وكما هو واضح فإن المتذمر يُظهر عصيان ويرفض خلاصه المُقدم من المسيح، على الرغم من أنه تذوق النعمة ولديه خبرة من الذين عبروا وعنده وعود أكيدة من نحو المستقبل.

كيرلس: هكذا أقول، مادام الآخرون قد أصيبوا بالخوف، فإن هؤلاء أيضًا بدأوا في الصراخ والاحتجاج الرديء ضد الله وضد موسى، ودعوا المن الذي نزل من السماء، بالطعام السخيف، لكنهم أهلكوا بالحيات. لأن هؤلاء الذين أهانوا مخلص الجميع وفادبهم بسبب جحودهم، لم يُقْتَرُوا أبدًا نعمة الحرية، بل إنهم فوق ذلك يسيئون إلى الكلمة المُحيي، وإلى عطية الروح، كأنها بلا فائدة. هؤلاء سيواجهون لدغات الوحش السامة. لكن كل من لم تستعدهم الخطايا غير اللاتقة، سينجون من الهاوية والجحيم والعقاب، وسيقهرهم أعداءهم، لأنه يقول: "على الأسد والصل تطاء، الشبل والثعبان تنوس" 474. إن أولئك الذين تدربوا بالفعل من خلال الجهادات التي جازوها ولم يتركوا نموهم بلا تدريب، بل تدربوا واعتادوا على الجهاد، من أجل الفضيلة، هؤلاء يصيبهم ضرر كثير إذا تهاونوا وأظهروا عدم شجاعة.

بلادديوس: هذه هي النتيجة فعلاً.

كيرلس: حديثنا يؤكد لنا أن المتذمر ليس فقط مكروهاً ومداناً أمام الله، بل أن هذا التذمر هو نوع من الاتهام والغضب ضد إحسانات المخلص، حتى لو ظهر في الطريق بعد الآلام. إن محبة الراحة المرذولة تستحق لعنة ليست بقليلة، لأنهم بينما كان في مقدورهم أن يتمتعوا بالمواعيد الإلهية وبالسموات وبطريقة غير مُدانة، فإنهم يُلقون بأنفسهم بدون ضوابط في شهوات فاسدة وفي محبة جسدية غير نقية. ويُعد إهانة واضحة لحياة السمو والخلاص؛ اختيار السلوك الشرير بدلاً من حياة الخلاص، ويُعد قرار خاطئ؛ تفضيل الأمور الأرضية على الأمور السماوية. هكذا يجلبون على أنفسهم أموراً مشينة. ولهؤلاء يقول إشعياء النبي باكياً: "ويل للقاتلين للشر خير وللخير شر الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً الجاعلين المر حلوً والحلو مرًا" 475. ولذلك سنجد أن الإسرائيليين قد تم أسرهم بسبب مثل هذه الأخطاء، ونتيجة لتذمرهم، أُدينوا مع ما يرتبط بهذا من فقدان الكرامة الناتج عن الشهوة. فهم قد احتقروا وصايا الله، وتذمروا على الطعام الذي هبط عليهم من السماء، وهو ما أثار ضدهم الديان العادل، لأنه مكتوب: "واللفيف الذي في وسطهم اشتتهى شهوة فعاد بنو إسرائيل أيضًا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحمًا. قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن... فلما سمع موسى الشعب ييكون بعشائهم كل واحد في باب خيمته وحمي غضب الرب جدًا ساء ذلك في عيني موسى" 476.

أما تعتقد أن سقوط رجال قديسين في اشتهااء التمتع وفي مثل هذا الفكر الطفولي، أن يكونوا مستحقين للغضب الإلهي والإدانة، على الرغم من أنهم كانوا فعلاً رجالاً مدربين، ولكن تملكهم الشهوة المنحرفة، ليعودوا إلى النجاسات الغريبة، ويسلكوا بلا ضوابط في هذه الشهوات، حتى أنهم بكوا كأطفال، ولم يستطيعوا أن يتحملوا قسوة الشهوة الشديدة.

بلادديوس: نتكلم حسنًا.

⁵³ مز 121:6.

⁵⁴ مت 12:20.

⁵⁵ عب 10:26 و 27.

⁵⁶ مز 91:13.

⁵⁷ إش 5:20.

⁵⁸ عد 11:64 و 10.

كيرلس: ولهذا تضايق موسى الحكيم جداً، وكان غاضباً جداً، وصرخ بشدة قائلاً إنه لا يستطيع وحده أن يحمل حمل هذا الشعب الذي سقط بهذه السهولة في الشهوة والعصيان. فأشار الله عليه أن يختار سبعين رجلاً لكي يكونوا عاملين ومساعدين معه في هذا العمل، وقد صاروا بنعمة الروح القدس معروفين من الجميع. لأنهم تنبأوا داخل الخيمة. في ذلك الحين قال الله لموسى: "وللشعب تقول تقدسوا للغد فتأكلوا لحماً لأنكم قد بكيتم في أني الرب قاتلين من بطعننا لحماً إنه كان لنا خير في مصر فيعطيك الرب لحماً فتأكلون. تأكلون لا يوماً واحداً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوماً. بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ويصير لكم كراهة لأنكم رفضتم الرب الذي في وسطكم وبكيتم أمامه قاتلين لماذا خرجنا من مصر" ⁴⁷⁷. أثار هذا حزناً لدى الله مخلصهم، لأن الإسرائيليين تناسوا عبوديتهم وذلك في مصر، واعتبروها كأنها لم تكن، كل هذا بسبب شهوتهم للحوم وخضروات مصر. ونحن أيضاً مرات كثيرة نخضع لشهوات قوية وملتهبة نتقننا أن نعتبر العبودية للشيطان هي أمر هين، وبسبب هذه الشهوات الأرضية الفاسدة نتقيد بعبودية الخطية. بل إنه في ذلك الحين أعطاهم الله إمكانية أن يأكلوا لحماً لا ليوم أو عشرة ولكن لثلاثين يوماً، الأمر الذي يعني استمرار غضب الله عليهم. والآن هو أيضاً يسمح لأولئك الذين يندفعون بلا ضابط نحو الشهوات الجسدية، ويتركهم لو أرادوا، أن يشتركوا في الأمور الجسدية لفترة زمنية معينة. وفي هذا المعنى يقول الكتاب: "أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" ⁴⁷⁸. والذين أكلوا انتهوا بهم الأمر إلى مرض مميت، ومن يحيا في الأمور الجسدية ويفضلها عن المن العقلي، الذي هو كلمة الله، فإن محبته للأمور الأرضية الفاسدة ستقضي به إلى الموت. وهذا كما أعتقد، معنى ما يقوله الكتاب: "لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً، ومن يزرع للروح يحصد حياة أبدية" ⁴⁷⁹. لكن ربما الخلاص من هذا الداء نجده فيما كتبه الرسول: "وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد" ⁴⁸⁰. فلو كان الإسرائيليون وقتها قد اعتبروا عطية المن طعاماً مقبولاً والذي هو خبز الملائكة ومثال للحلاوة التي ينقلها الروح، ما كانوا قد خضعوا لشهوات الجسد ولا حصدوا من ورائها الهلاك. وقبور الشعب هي خير دليل على هذا. وهكذا ماتوا بسبب شهوتهم. ويستحق الذكر ما جاء على فم إشعياء النبي القائل: "ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا على" ⁴⁸¹. الشعب الذي عاني هذه الأمور، يُسمى (شعب مشتهي) بحسب ما قيل عن بعضهم "مجدهم في خزيهم" ⁴⁸². أي أن اسمهم مأخوذ من خطيتهم، وكان هذا إعلاناً عن كل من مات في حزن وأبين إدانة أبدية، لتراخيه وعدم صلابته، وصار هذا علامة واضحة لتلك الأمور التي من أجلها أدين.

بلاديسوس: هذا حقيقي.

كيرلس: إذن، يجب على أولئك الذين اختاروا أن يصيروا تلاميذاً حقيقيين، أن يهجروا ضعفاتهم خلال مسيرة جهادهم، وأن يتركوا التذمر غير النافع، وكثرة الكلام بلا فائدة، والأحاديث التفاهة، والأكثر سوءاً من كل هذا هو الشهوات الدنسة ومحبة الجسد. هؤلاء ينساقون مرة نحو هذا الاتجاه، ومرة أخرى نحو اتجاه آخر، وهم مضطربوا الفكر، لأنه مكتوب: "ويل للقلوب الهيباء وللأيدي المتراخية وللخاطي الذي يمشي في طريقين" ⁴⁸³. لذلك يجب الاحتمال في الآلام والثبات والصبر، وأن نُقَدِّر هذه الأمور جيداً، وأن نتذكر المسيح القائل: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" ⁴⁸⁴. بمعنى أنه إن أراد أحد أن يصير لي تلميذاً يجب أن يجوز نفس الآلام معي ويسير في نفس الطريق، لأنه بهذا سيسترى وسيحيا معي إلى الأبد. هذه كانت طلبه المسيح من الله الأب لأجلنا: "أيها الأب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون لينظروا مجدي الذي أعطيتني" ⁴⁸⁵. نحن نحيا مع المسيح ونحن على الأرض، لكننا نحيا لا جسدياً بل روحياً، ونجاهد أن نجعل من هذه الحياة مكاناً للهدوء والسلام، ولكل ما يُرضي المسيح. مكتوب في سفر العدد: "وفي يوم إقامة المسكن غطت السحابة المسكن خيمة الشهادة، وفي المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح. هكذا كان دائماً السحابة تغطيه ومنظر النار ليلاً. ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بنو إسرائيل بعد ذلك يرتحلون وفي المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو إسرائيل ينزلون. حسب قول الرب كان بنو

⁵⁹ عدد 11:20.

⁶⁰ رو 1:28.

⁶¹ غل 6:8.

⁶² غل 5:17.

⁶³ إش 66:24.

⁶⁴ في 3:19.

⁶⁵ يشوع بن سيراخ 12:12.

⁶⁶ مت 16:24.

⁶⁷ يو 17:24.

إسرائيل يرتحلون وحسب قول الرب كانوا ينزلون جميع أيام حلول السحابة على المسكن كانوا ينزلون. وإذا تمادت السحابة على المسكن أياما كثيرة كان بنو إسرائيل يحرسون حراسة الرب ولا يرتحلون. وإذا كانت السحابة أياما قليلة على المسكن فحسب قول الرب كانوا ينزلون وحسب قول الرب كانوا يرتحلون. وإذا كانت السحابة من المساء إلى الصباح ثم ارتفعت السحابة في الصباح كانوا يرتحلون (إن استمرت) أو يوماً وليلة ثم ارتفعت السحابة كانوا يرتحلون. أو يومين أو شهراً أو سنة متى تمادت السحابة على المسكن حالة عليه كان بنو إسرائيل ينزلون ولا يرتحلون ومتى ارتفعت كانوا يرتحلون. حسب قول الرب كانوا ينزلون وحسب قول الرب كانوا يرتحلون وكانوا يحرسون حراسة الرب حسب قول الرب بيد موسى⁴⁸⁶. عندما أقيمت الخيمة المقدسة (خيمة الشهادة)، غطتها السحابة كما يقول. ثم بعد ذلك أمر الإسرائيليين أن يرتحلوا معها ومعها يتوقفون، ويحدد بشكل متكرر أن يحفظوا بدقة وقت الرحيل، ويظهر بهذا لكل من يريد أن يبدي كسلاً أو خملاً، إن مخالفة الوصية هو أمر خطير. هذا من الناحية التاريخية. فلنفحص الآن الأمر من الناحية الروحية.

بمجرد أن نُصبت الخيمة الحقيقية، أي الكنيسة، فوق الأرض، فإنها امتلأت على الفور من مجد المسيح.

فهذا يعني أنه كما كانت تتغطى الخيمة القديمة بالسحاب، هكذا قد امتلأت الكنيسة بمجد المسيح. وأولئك الذين كانوا يعيشون في الجهل والضلال، كمن يعيش في عتمة الليل وفي الظلام، أشرق عليهم مثل النار، أي منحهم الاستنارة العقلية. وأولئك الذين سبق أن استناروا في قلوبهم بنور النهار (أي نور الرب)، ظلهم بظله ومظلمته، أي أنه يغنيهم بتعزية سمائية روحية.

فهذا هو معنى ظهوره في الليل بشكل نار، وفي النهار بشكل سحاب. فأولئك الذين كانوا بعد أطفالاً، كان لديهم احتياج شديد للاستنارة، إلى نور يقود إلى معرفة الله، بينما من هم في وضع أسمى ومستنيرين بالكامل بسبب إيمانهم، كانوا يحتاجون للحماية والعون، حتى يستطيعوا أن يجزوا بشجاعة لهيب هذه الحياة وثقل النهار، لأنه يقول: "وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون"⁴⁸⁷.

وعندما كانت السحابة ترتفع، كانوا يرتحلون مع الخيمة، وعندما تتوقف السحابة في مكان ما، تتوقف الخيمة ويتوقف معها الإسرائيليون. وهكذا فالكنيسة تتبع المسيح في كل مكان وجماعة المؤمنين المقدسة لا تنفصل عنه هو (المسيح) الذي يدعوها للخلاص.

بلاديسوس: وكيف يمكن أن يُفهم رحيلنا وتوقفنا مع المسيح، الذي يتقدمنا ويقودنا.

كيرلس: هذه الأمور هي فقط مثال من خلاله نُظهر أننا نريد أن نكون مع الله، فنرحل مع السحابة ونتوقف معها. نرتفع بأفكارنا إلى معاني أكثر دقة بقدر ما نستطيع. ونعود مرة أخرى لهذا المثال، فنقول: إن أول ارتحال هو من عدم الإيمان إلى الإيمان، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن الجهل بالله من حيث طبيعته وحقيقته إلى المعرفة الجلية لرب الجميع وخالقهم. ثاني ارتحال، هو ارتفاع نافع ومفيد، من الرذيلة والفجور إلى إرادة صُنع الصلاح والعمل به. ثالث ارتحال، وهو أكثر أهمية وإشراقاً، هو الانتقال من النقص إلى الكمال بالقول والفعل. علينا أن نتقدم إلى الأمام، بحسب قصد المسيح في النمو، نحو قائمة إنسان كامل حتى نصل إلى الكمال الذي قياسه هو المسيح. ربما هذا ما يؤكد الرسول بولس لنا: "أنسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع"⁴⁸⁸. نرتحل عقلياً من الجهل إلى المعرفة، ومن عدم الإيمان إلى الإيمان ونتقدم دوماً نحو الفضيلة. فنحن لا نتقدم من مكان إلى مكان بحسب المزاج، ولا نشابه أولئك الذين يسلكون هكذا.

بلاديسوس: أدرك ما تريد قوله.

كيرلس: لكن لن يستطيع الإنسان أن يترك الخطية، ولا أن يصل إلى الصلاح ولا يستطيع أن يكمل إن لم يكن المسيح معه ويقوده، لهذا قال لتلاميذه القديسين: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"⁴⁸⁹. وبناءً عليه أن يكون المرء مع الله ويصنع إرادته، فمن الممكن أن يُشار إليه بالمثل السابق، أي السحابة التي يتحرك معها الشعب، عندما تتحرك ويتوقف عندما

⁶⁸ عدد 23:15.

⁶⁹ 2 تي 12:3.

⁷⁰ في 3:14.

⁷¹ يو 5:15.

تتوقف. ثم يقول: "بأمر الرب سترتحتلون"، وأعتقد أن هذا يعني احتياجهم للكلمة التي تحت على الشجاعة والتقوى التي تليق بالقدّيسين، ولكل من يريد أن يتبع المسيح، لأنه يقول: "ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب"⁴⁹⁰.

ثم كُتب أيضًا فيما بعد ما قاله موسى مُفسر الإلهيات: "اصنع لك بوقين من فضة مسحولين لعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة ولا رتحال المحلات. فإذا ضربوا بهما يجتمع إليك كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع. وإذا ضربوا بواحد يجتمع إليك الرؤساء رؤوس ألوف إسرائيل. وإذا ضربتم هتافًا ترتحل المحلات النازلة إلى الشرق. وإذا ضربتم هتافًا ثانية ترتحل المحلات النازلة إلى الجنوب هتافًا يضربون لرحلاتهم. وأما عندما تجمعون الجماعة فتضربون ولا تهتفون. وبنو هرون الكهنة يضربون بالأبواق فتكون لكم فريضة أبدية في أجيالكم"⁴⁹¹.

بلاديسوس: وماذا نقول فيما يتعلق بمعنى البوقين والضربات المختلفة للأبواق؟ ولماذا أمر بأن تكون من الفضة ومطروقة بالمدق؟

كيرلس: الأبواق هما اثنان، وعظمت النصح والإرشاد في الكنائس هي نوعان، واحدة تقود المؤمنين إلى العقيدة المستقيمة وتُظهر مقدار الزيف في حديث الهرطقة المنحرفين. مثلما حدث من أولئك الذين منعوا الزواج، والذين علّموا بغياء شديد الابتعاد عن أطعمة، قد خلقها الله، "مانعين عن الزواج وأمريين أن يُمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق"⁴⁹². وهكذا فإني أدين معلمي اليهود الذين احتقروا هذه التعاليم القديمة التي يكرمها ويوجبهها الناموس الإلهي، معتبرين إياها ذات قيمة قليلة، وأمروا المتعلمين أن يخضعوا لتعاليمهم هم ولأوامرهم الإنسانية، والبعض الآخر علّم بغياء أن يُختتن كل من تبرر بالإيمان، لكي يستطيعوا أن يتباهوا بالجسد الفاني. بحسب المكتوب عن هؤلاء: "انظروا الكلاب انظروا فعلة الشر انظروا القطع"⁴⁹³.

النوع الآخر يشرح التحسن والنمو الأخلاقي، وينير الطريق بحسب المسيح. الأبواق الفضية تشير إلى الاستنارة والوضوح التام، كما يظهر من طبيعة المعدن ذاته، فإن معدن الفضة براق. وعن طريق الأبواق يُدعى الشعب إلى الخيمة كما هو مكتوب. وبالكرازة يجتمع المتغربون على الأرض إلى الكنائس. وحين يجتمعون نقعهم أن يبتعدوا عن الأمور المشينة، ويحيوا في تلك الأمور التي تليق بالقدّيسين. ونعلمهم بطريقة ما وبأسلوب لائق، أن ينتقلوا من الخطية إلى الصلاح. أليست هذه الكرازة هي التي تقود حسني النية والطوية إلى الحب الحقيقي للحياة، وإلى استقامة العقيدة وتهذيب الأخلاق بحسب مشيئة المسيح؟

بلاديسوس: أعتقد هذا.

كيرلس: إذن، فالذي يجمع الشعب في الخيمة هما بوقان، لأنه يقول إذا بوقوا "يجتمع إليك الرؤساء رؤوس إسرائيل"⁴⁹⁴. وأعتقد أن أولئك الذين هم أكثر كمالاً يحتاجون إلى النصح والإرشاد أيضًا، وإن كان بالطبع ليس بالقدر الذي يحتاجه جموع الشعب. ولهذا فجموع الشعب يُدعون ببوقين اثنين، بينما المختارين يجتمعون ببوق واحد. فالحكيم لا يحتاج إلّا للقليل ليأخذ دافع ويكمل ما ينقصه، كما هو مكتوب: "أعط حكيمًا فيكون أوفر حكمة علّم صديقًا فيزداد علّمًا"⁴⁹⁵. ثم بعد ذلك أمر أن تُضرب أربعة أبواق مختلفة، والتي بها يمكن لهم أن يحملوا أشياءهم ويرتحلوا، إلى هؤلاء الذين هم في الشرق، والذين هم في الغرب، والذين هم في الشمال، والذين هم في الجنوب. وأعتقد أن هذا يشير إلى الأنجيل الأربعة، والتي تبشر كل العالم بعقيدة واحدة ومعرفة أخلاقية سامية. لكن لو احتاج الأمر أن نقول شيئًا آخر لما ترددنا بالمرّة، معتبرين أن السعي نحو النافع والمفيد هو أفضل من الخمول وأفضل من العرق.

في كرازتنا هناك أربع أوجه مختلفة، وهي التي تستطيع بها الأرض كلها أن تحقق الحياة الحقيقية النقية. الوجه الأول، هو الذي اعتادنا أن نحدث به أولئك الذين عبدوا الخليفة بدلًا من الخالق، لكي يعرفوا الحقيقة وبقننوا النور الإلهي، هؤلاء الذين يقولون كلامًا غير معقول عن الخشب، "أنت هو ربي"، وللحجر "أنت الذي ولدتني"، "وأبطلوا مجد الله الذي

⁷² 1كو 14:40.

⁷³ عدد 8:10.

⁷⁴ 1تي 3:4.

⁷⁵ في 2:3.

⁷⁶ عدد 4:10.

⁷⁷ أم 9:9.

لا يفني يشبه صورة الإنسان الذي يفني والطير والدواب والزحافات⁴⁹⁶. الأوجه الثلاث الأخرى لكارزتنا تليق بالطبع بكل من آمن. لأن مخلصنا علمنا أن هناك ثلاثة أنواع للحياة، أي البذار التي سقطت على الأرض الجيدة وصنعت ثمرًا كثيرًا، البعض مائة والبعض ستون والبعض ثلاثون. لكل واحد من هؤلاء توجد كلمة تناسبه، لأننا لو أردنا أن نتصرف بصواب، فلن نفيد أولئك الذين يحيون لله، ولا أولئك الذين هم في العالم، بدون التدقيق في الكلام، لأن الذين يحيون في العالم، قد دخلوا في النير القانوني للزواج، بينما الآخرون فضلوا الحياة النُسكية السامية، أي الحياة التي تليق بخدمة الله، والذين هم في العالم نقول لهم: "هل عقدت قراناً مع امرأة؟ لا تطلب انحلالاً لزواجك. هل انتهى زواجك؟ لا تطلب امرأة أخرى. وسنقول لهم أن يصنعوا كل ما يليق بالمتزوجين، أما الذين قرروا أن يسلكوا طريق النُسك والاحتمال فسنقول لهم: "أميتوا أعضاءكم التي على الأرض، الزنى النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع الذي هو عبادة الأوثان"⁴⁹⁷. وأيضاً "فاني أحسب أن ألام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيق أن يُستعلن فينا"⁴⁹⁸. وأولئك الذين دُعوا إلى الكهنوت سنقول لهم: "لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة، لأنه رسول رب الجنود"⁴⁹⁹. بالإضافة إلى كل ما يطلبه الحكيم بولس وهو يكتب إلى تيموثاوس. لكن هل كلامي من خلال الكتاب المقدس يخرج عن إطار الكلام اللائق، أو هل يفقد إلى عدم الاستقامة؟

بلادديوس: بالطبع لا.

كيرلس: لاحظ أن الذين وقع عليهم الاختيار للكهنوت هم الذين عُهد إليهم باستخدام الأبواق. فأظن أنه أعطى لمعلمي الشعب، ولكل من تقدس للكهنوت، حق ممارسة التعليم والخدمة السرائرية، وذلك في إطار الرغبة في تحقيق الفضيلة. ولهذا قيل لموسى: "اصنع لك بوقين"⁵⁰⁰. ويختم على هذا الأمر بقول: "وبنو هرون الكهنة يضربون بالأبواق فتكون لكم فريضة أبدية في أجيالكم"⁵⁰¹.

بلادديوس: إذن، فلنقبل أن طرق استخدام الأبواق تتلاءم مع الكرازة التي تتناسب مع كل واحد من المستمعين. هكذا سنتحرك ونتوقف مع السحابة، بمعنى أننا سنسلك بتعقل وسنستريح مع المسيح.

كيرلس: بالصواب تكلمت. وفي هذا ستقنعنا كلمة النبي القائلة: "وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك"⁵⁰².

بلادديوس: إذن، هو أمر حسن ويستحق كل التقدير، ويغني بالمجد لأجل مزيد من الشجاعة، أن تسير في معية الرب إلهك، كيف لا يكون هذا أمراً واضحاً؟ لكن أريد أن تشرح لي أيضاً ماذا يعني أن يكون الإنسان مستعداً؟

كيرلس: أن يكون الإنسان مستعداً هو أن تكون لنا الإمكانية أن نفقني لنا رؤية، وأن نصنع مشيئة الله دون أن يعوقنا أحد، ودون أن يجذبنا إلى ذهن غير مُحْتَبَر، فهذا هو معنى الاستعداد للسير مع الله.

بلادديوس: لكن بشكل عام، من هم أولئك الذين يمكن أن نقول عنهم إنهم يريدون أن يتبعوا الله، من هم أولئك الذين لا يريدون أن يصنعوا هذا من عمق أنفسهم، وينحصرون في الحيرة والتردد ويهجرون الصبر والاحتمال؟

كيرلس: هؤلاء هم الكسالى والذين يتصورون أنهم يشكرون الله، لكنهم يعيشون السيرة المقدسة بكل فكرهم، هؤلاء هم الذين يُعطون لمحبة الله جزءاً صغيراً من حماسهم واستعدادهم، بينما ينفقون الباقي بالكامل، بإسراف وبلا هدف في غمار هذه الحياة، في أتعاب غير نافعة واهتمامات مريرة. مثال ذلك يمكن أن يكون أبناء رأوبين وجاد، لأنه مكتوب: "وأما بنو رأوبين وبنو جاد فكان لهم مواش كثيرة وافرة جداً فلما رأوا أرض يعزير وأرض جلعاد وإذا المكان مكان مواش. أتى بنو جاد وبنو رأوبين وكلموا موسى وألغازار الكاهن ورؤساء الجماعة قائلين: عطاروت وديبون ويعزير ونمرة وحشبون

⁷⁸ رو 1:23

⁷⁹ 1كو 5:3

⁸⁰ رو 8:18

⁸¹ ملا 2:7

⁸² عدد 10:2

⁸³ عدد 10:8

⁸⁴ ميخا 8:6

والعالة وشبام ونبو وبعون، الأرض التي ضربها الرب قدام بني إسرائيل هي أرض موآش ولعبيدك موآش. ثم قالوا: إن وجدنا نعمة في عينيك فلتعط هذه الأرض لعبيدك ملكاً ولا تعبرنا الأردن. فقال موسى لبني جاد وبني رآوبين هل ينطلق إخوانكم إلى الحرب وأنتم تقعدون هنا. فلماذا تصدون قلوب بني إسرائيل عن العبور إلى الأرض التي أعطاهم الرب" 503.

ثم بعد ذلك عندما نظر إلى عدم طاعة آبائهم ونتائجها عليهم، قال: "فهذا أنتم قد قمتم عوضاً عن آبائكم تربية أناس خطاة لكي تزيدوا أيضاً حمو غضب الرب على إسرائيل. إذا ارتددتم من ورائه يعود يتركه أيضاً في البرية قتهلكون كل هذا الشعب. فاقربوا إليه وقالوا: نبني صير غم لموآشينا هنا ومدناً لأطفالنا. وأما نحن فنتجرد مسرعين قدام بني إسرائيل حتى نأتي بهم إلى مكانهم ولبث أطفالنا في مدن محصنة من وجه سكان الأرض. لا نرجع إلى بيوتنا حتى يقتسم بنو إسرائيل كل واحد نصيبه. إننا لا نملك معهم في عبر الأردن وما وراءه لأن نصيبنا قد حصل لنا في عبر الأردن إلى الشرق" 504.

أتفهم الآن أنه بسبب الموآشي والحقول ومحبة الزوجات والأبناء، لم يستطع هؤلاء الناس أن يعبروا نهر الأردن، ولم يقبلوا أيضاً أن يشاركوا في الحرب وفي المعارك ولو بجزء صغير. وبهذا لم يتقاسموا المجد مع الآخرين، ولا الخيرات التي ترجأها جميع الشعب. وبدا لهم أن تفكيرهم هذا أمر حسن، وتمنوا أن يقيموا هناك، ولم يضعوا حتى قدماً في مياه الأردن. وعندما أدانهم موسى، ورأى أن يقتنعهم بأن يساهموا في المعارك، وأن يحذروا من الغضب الإلهي، حينئذ وعدوا أنهم سيعبرون نهر الأردن مع الآخرين، وسيشاركون معهم في الحرب والمعركة. وبالطبع قالوا إنهم لن يأخذوا ميراثاً لهم هناك، لأنهم سيأخذون أنصبتهم في منطقة عبر الأردن إلى الشرق. هكذا يسلك كل الذين ينحسرون في اهتمامات هذه الحياة، ويكرسون كل قلوبهم في محبة الأمور الأرضية، وهذا يحدث بسبب إهمالهم لما هو ضروري، وعدم مبالاتهم بالصلاة الإلهية. لأنه مكتوب: "لأن كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون" 505.

إذن، فكل من هم في قائمة المدعوين لأجل إيمانهم، لكنهم لم يُحصوا مع المختارين، بسبب ميلهم للشهوة، هؤلاء هم مزيفون وكسالى ولا يسعون إلى نعمة الروح القدس. وأيضاً هم يخشون أن يُعانون المتاعب والجهادات التي تليق بالقدّيسين لمجد الله ولمنفعتهم، وأيضاً يخشون أن يجتازوا الاضطهادات مع الأنقياء عندما تدعو الضرورة إلى ذلك. وعندما يدينهم الناموس الإلهي ويرهبهم الغضب الإلهي، يتجهون بلا استعداد نحو المعمودية المخلصة، ويشاركون مع المختارين في الأتعاب بطريقة مزيفة، وأحياناً يصومون ويظهرون حماساً مع الآخرين، عندما تتعرض الكنائس للاضطهاد. ورغم أنهم اقتنعوا أن يحتقروا أمور هذا العالم، لكنهم عدلوا عن ذلك واتجهوا إلى الشهوات والملذات الأرضية، كميراث خاص بهم. ولهذا قال السيد المسيح لمحبي الاستقامة وللغيورين المتحمسين للنعوى: "فاحتزروا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة" 506. أما أنك تعتقد يا صديقي أن هذه الأمور لا تسبب ضرراً؟

بلاديسوس: بالطبع هي ضارة، وكيف لا تكون؟

كيرلس: لو فحصت بتدقيق في الكتاب المقدس، ستُدْهش جداً لجمال الصورة.

بلاديسوس: بأي أسلوب؟

كيرلس: هؤلاء الذين أظهروا نية للانفصال، بسبب تربية موآشي أو بسبب أبناء أو زوجات، أو لبناء حظائر أو مباني وتحصينات، هم بنو رآوبين وجاد.

بلاديسوس: وما أهمية هذا؟

كيرلس: الواحد كان بكر ليعقوب، بينما الآخر هو ابن من زُلفة الجارية.

بلاديسوس: هذا صحيح.

85 عدد 7.1:32.

86 عدد 19.14:32.

87 مت 14:22.

88 لو 34:21.

كيرلس: فالذين هم أبكار، بسبب الإيمان، والذين وقع عليهم الاختيار، نالوا النصيب الأعظم من الله، بقدر ما تسمح به نعمته. ولكن بسبب ميلهم نحو الخطية، لم يتمتعوا بالحرية الحقيقية. وأيضًا كنيسة الأبرار، هي تلك التي أُحصيت في السموات. وكما قلنا فإن المدعو هو كل من تبرر بالإيمان. لكن البكر ليس هو محب الحرية فقط، لكنه شريك لأولئك الذين احتملوا نير العبودية.

بلادبوس: حسنًا تتكلم.

كيرلس: لكن الآن وحديثي يقترب من نهايته، أريد أن أتجاوز التكرار، وأن أذكر بالقول وبالفعل أيضًا، إنه يجب التحلي بالشجاعة في كل شيء، من أجل المنفعة، وأن نعتبر المتاعب تدريبًا على الفضيلة، وألا نفكر بعكس ذلك. إن الله هو الذي يخلصنا ويمنحنا القوة لنتنصر على مقاومينا، حتى ولو كانت مقاومتهم تفوق قوتنا بكثير. وأن نجاهد من أجل الفضيلة، فهذا ليس بلا فائدة، هذا ما يُعلمنا إياه موسى النبي في سفر التثنية: "وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة من القفر لكي يذكرك ويذكرك ليعرف ما في قلبك وتحفظ وصاياه أم لا" ⁵⁰⁷. فهو لا يتركنا نشعر بالخوف، بل نتيقن من قوة الله الذي يدافع عنا. ويكتب موسى أيضًا: "إن قلت في قلبك هؤلاء الشعوب أكثر مني كيف أقدر أن أطردهم. فلا تخف منهم، أذكر ما فعله الرب إلهك بفرعون وبجميع المصريين. التجارب العظيمة التي أبصرتها عينك والآيات والعجائب والبيد الشديدة والذراع الرفيعة التي بها أخرجك الرب إلهك هكذا يفعل الرب إلهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجهها" ⁵⁰⁸.

انتهى الجزء الثالث، والآن الجزء الرابع من الكتاب

⁸⁹ تث 8:2.

⁹⁰ تث 17:19.

مؤسسة القدیس أنطونیوس

المركز الأرثوذكسی

للدراسات الآبائیة

بالقاهرة

نصوص آباءیة - 80

السجود والعبادة بالروح والحق

الجزء الرابع

(المقالتان السادسة والسابعة)

للقدیس یرلس الأسکندری

مراجعة

ترجمة

د. نصحي عبد الشهيد

د. جورج عوض إبراهيم

أغسطس 2004

أيقونة الغلاف:

أيقونة القدّيس كيرلس عمود الدين بالمقر البابوي بالأنا رويس بالعباسية للفنان د. إيزاك فانوس، تصوير دير مار مينا بصحراء مريوط، القس أنجيلوس أفا مينا.
تصميم الغلاف: م. جورج فرج

اسم الكتاب : السجود والعبادة بالروح والحق - المآلّان السادسة والسابعة

اسم المؤلف : القدّيس كيرلس الأسكندري (عمود الدين)

اسم المترجم : د. جورج عوض إبراهيم

الناشر : مؤسسة القدّيس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة:

8 (ب) ش إسماعيل الفلكي - الدور الأول محطة المحكمة مصر
الجديدة ت: 2414023

E-Mail: santonio@link.net

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة

2 ش المدارس حدائق القبة ت: 4827074 - 4865378

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

مقدمة

هذه هي الحلقة الرابعة من سلسلة " السجود والعبادة بالروح والحق " للقدّيس كيرلس الأسكندري؛ وتحتوي المقالتين السادسة والسابعة.

ويتحدث القدّيس كيرلس في المقالة السادسة عن: أنه ينبغي أن نكرس حياتنا لذلك الذي هو وحده الإله بطبيعته، ونحبه من كل النفس والقلب. أما في المقالة السابعة فيتحدث عن: المحبة الواجبة نحو الإخوة.

ونذكر القارئ بأن القدّيس كيرلس في كتاب " السجود والعبادة بالروح والحق " يتبع أسلوب الحوار بينه وبين بلاديوس. ويعتبر هذا العمل هو شرح رمزي وروحي للعهد القديم. اتبع القدّيس كيرلس التقليد الأسكندري في التفسير، إذ عبّر من خلال الحرف ودخل إلى قلب النص مفتشاً عن المعنى الروحي في نصوص العهد القديم.

ونرجو القارئ أن يرجع إلى المقدمة العامة عن كتاب " السجود والعبادة بالروح والحق " في الجزء الأول.

وكان المركز قد نشر الجزء الأول في شهر ديسمبر سنة 2001. ونشر الجزء الثاني في يوليو 2002 ونشر الجزء الثالث في مارس 2003م. وسيوالي المركز نشر بقية الأجزاء تباعاً.

ليبارك الرب في هذه الكتابات لبنيان كنيسته ولمجد اسمه القدوس بصلوات جميع القدّيسين، وصلوات قداسة البابا الأنبا شنودة الثالث،

ولإلهنا كل مجد وتسبيح وسجود الآن وإلى الأبد آمين،

المركز الأرثوذكسي
للدراسات الابائية
بالقاهرة

12 يوليو 2004م

3 أبيب 1720ش

عيد استشهاد الرسولين بطرس وبولس

المركز الأرثوذكسي للدراسات الآثائية

السجود والعبادة بالروح والحق (المقالات السادسة والسابعة)

للقديس كيرلس الأسكندري

أغسطس

2004

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة السادسة

ينبغي أن نكرس حياتنا

لذلك الذي هو وحدة الإله بطبيعته،

ونحبه من كل النفس والقلب.

السجود
والعبادة

بالروح
والحق

المقالة السابعة

في
المحبة
الواجبة
نحو
الاخوة

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة السادسة

ينبغي أن نكرس حياتنا لذلك الذي هو وحده الإله بطبيعته،

ونحبه من كل النفس والقلب.

كيرلس: قد تحدثنا يا بلاديوس، بشكل مُرضٍ، عن الشجاعة والقوة الروحية في المسيح. ولكن بحسب رأيي فإن تحقيق هذا الأمر يحتاج منا أن نعيد فحصه مرة ثانية.

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: إذن دعنا، ونحن نُحدِّق بعيون ذهننا في كل الاتجاهات المحيطة بهذا الأمر وننشغل بالتحليل الدقيق لأعمالنا، أن نبحث باهتمام شديد عن الطريق الذي نسلكه حتى نصير مستنيرين. ونزرع عنا كل ما يستوجب المديح. أم تظن أنني لا أفكر تفكيراً صحيحاً إذ أريد أن أفحص كل الأمور بدقة؟

بلاديوس: تفكيرك صحيح جداً. وكنت أريد أن أقول نفس الكلام، بأنه ينبغي أن نحث على الشجاعة ونختار تلك الأمور التي بها يصير المرء مستنيراً ليصل مباشرة إلى الحياة التي بلا لوم.

كيرلس: دعنا نقول إذن، إن سند كل بيت هو الأساس كما أن بداية بناء السفينة يكون من القاع، هكذا فإن معرفة الحق وكلمة الإيمان بالإله الواحد الحقيقي هي الأساس الذي يحقق ما قد اخترناه أي الشجاعة. لأنه مكتوب: "إِذَا لَمْ تَفْهَمُوا فَإِنِّكُمْ لَنْ تَأْمَنُوا"⁵⁰⁹. إن لم تفهم شيئاً من الأمور الضرورية، فيجب أن تتوقف، طالما نحن لا نعرف ما هو الذي نحققه. أم أنك ستقول إن الفحص الدقيق لكل ما نفعله ليس ضرورياً لتقدمنا؟

بلاديوس: هو ضروري بلا شك.

كيرلس: حسناً، فإن الإيمان هو غذاء الفهم، والفهم يقود إلى الفحص الدقيق للأمور التي يجب أن نفعلها. إذن عندما وضع إله الجميع للإسرائيليين ناموس موسى كمربي ومرشد وكأساس ومبدأ لا يتزعزع، فإنه قدم العربون الأول لمعرفة الإله الحقيقي. لأنه اعتبر أنه سوف لا تكون لديهم القوة لكي يصلوا إلى الحياة الكريمة والأصيلة - بمعنى أن يضعوا الناموس ومشروع الأمور الحسنة لينظم حياتهم ويخضعوا لوصاياه - إن لم يأخذوا الإيمان بالله في ذهنهم كحائط منيع مقاومين ببسالة اللذات التي تخرض على الكسل والخمول. إذن كان ينبغي على القدماء أن يعتبروا ضلال الإيمان بتعدد الآلهة كمثّل مرض للنفس ويتقوون بشدة بالإيمان بالإله الحقيقي الواحد بطبيعته. لذلك أضاء الناموس على هؤلاء قائلاً: "أنا الرب إلهك، الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية. لا يكن لك إلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهم ولا تعبدهم. لأنني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي. وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي"⁵¹⁰.

أى كان ينبغي أن يخيف الله - بتهديدات قاسية - أولئك الذين ينبغي عليهم حفظ الوصية بثبات. لذلك يدعو ذاته إلهاً غيوراً، ويفتقد خطايا الآباء في أبنائهم، بالتأكيد إذا استمروا في أن يحيوا مثل أولئك الآباء وشاركوا معهم في معاصيهم السابقة. أى أننا لم نتحدث بيقين بأن خطايا الآباء تسقط فوق الذين لم يخطئوا، إذ أن الله بالتأكيد يقول: "لا يُقْتَل

⁵⁰⁹ إش 9:7.

⁵¹⁰ خر 20:62.

الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يُقتل⁵¹¹.

لكن إذا اتبع الأبناء آراء آبائهم واستمروا في عدم تقواهم السابق، فإن الغضب سوف يمتد عليهم. وإذا حدث وأنعم الله بمحبته للبشر على الآباء الأولين، ففيما بعد ينزل على الجيل الثاني أو الثالث غضبه على الجيل الدنس. إذن هو يضغط عليهم عند الحاجة لكي يخيفهم داعيًا نفسه بأنه إله غيور، لكن يعضد إيمانهم بطريقة أخرى معطيًا لهم وعدًا بأنه سيظهر رحمته للألوف الذين يحبونه. ويضيف على هذا وصية لها علاقة بكل هذا إذ يقول: "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً. لأن الرب لا يُبرئ من نطق باسمه باطلاً"⁵¹². هذا ما صنعه البعض ناسبين اسم الله إلى الأخشاب والأحجار، وهذا الذي هو فوق كل اسم أنزلوه بحماقة إلى مستوى الفنون ورسوم الأيدي البشرية. قال الله عن هذا على فم إشعياء: "نجر خشبًا. مدّ الخيط. بالمخز يعلمه يصنعه بالأزاميل والدوارة يرسمه. فيصنعه كشبه رجل كجمال إنسان ليسكن في البيت. قطع لنفسه أرزًا وأخذ سنديانًا وبلوطًا واختار لنفسه من أشجار الوعر. غرس سنوبيرًا والمطر ينميه. فيصير للناس للريقاد. ويأخذ منه ويتدفأ. يشعل أيضًا ويخبز خبزًا ثم يصنع إلهًا فيسجد. قد صنعه صنمًا وخرّ له"⁵¹³.

هؤلاء استخدموا اسم الرب عبثًا. لكن ينبغي على الذين عرفوا الإله الحقيقي ولم يندفعوا بالشرك الشيطانية، أن لا يهذوا بمفاهيم سخيفة أو يسلموا أنفسهم لثرثرة وضعية ويستندون على أمور معاكسة وينادون بأنه ينبغي أن يعرفوا آلهة أخرى وأن هذه الآلهة موجودة فعلاً. إذ يقول الرسول: "لأنه وإن وُجد ما يسمى آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له. ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به"⁵¹⁴. أي أننا سوف لا نحصر طبيعة الألوهية، بحسب الاعتقاد اليهودي، فقط في الله الأب، بل تمتد الألوهية إلى الثالوث القدوس في الجوهر الواحد. وبالرغم من أننا نؤمن بثلاثة أقانيم إلا أننا نؤمن بإله واحد لأن الجوهر واحد. وهذا الإله نعبد ونسجد له وندعوه أب وابن وروح قدس. لأنه يقول: "لا يكون لك آلهة أخرى أمامي"⁵¹⁵. وأيضًا: "الرب إلهك تتقي إياه تعبد"⁵¹⁶. لأنه واحد هو الإله الأب واحد هو الرب الابن وواحد الروح القدس المنبثق، ونحن لا ننزع من الإله الواحد الربوبية الحقيقية. لأنه على كل حال الربوبية تصاحب الطبيعة الإلهية ومجد الألوهية يصاحب الربوبية الحقيقية.

بلاديسوس: ما تقوله صحيح جدًا وحكيم جدًا.

كيرلس: إذن، يا بلاديسوس، نعترف بإله واحد، ولا نعتبر فوقه أي إله آخر، مبعدين - بعيدًا جدًا بقدر ما تستطيع - نفوسنا عن الازدواجية المريضة والدنسة والتي هي حسودة ومهينة، حتى لا توبخنا الكلمة المقدسة: "حتى متى تعرجون بين الفرقتين. إن كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل فاتبعوه"⁵¹⁷. يجب أن نسلك في الإيمان الواحد بطريق واحد وليس بسلوكيات مختلفة ومتناقضة فاعلين ما لا يليق، مغيرين دائمًا مواقفنا. لأن تأرجح المرء بين الفريقين، بحسب رأيي، هو كفر عظيم. لذلك يعاقب الناموس القديم الإنسان الذي بلا موقف بالموت. لأنه يقول: "من نبح لآلهة غير الرب وحده يهلك"⁵¹⁸. فإن يتمرد المرء ضد مجد الله وكل الفضائل الإلهية التي يجب أن نتشبه بها، وأن يُقدّم العبادة للتي هي ليست آلهة بالطبيعة لهو أسوأ مرض، أو بالأحرى لهو انحلال وفجر الأزمنة الأخيرة. إذن من الضروري أن يتخلص المحب الأصل والحقيقي لله من هذه الأمور، وليس فقط يطهر قلبه، لكن ولسانه أيضًا فلا يتفوه وينطق اسم الصنم. لأنه مكتوب: "ولا تنكروا اسم آلهة أخرى ولا يُسمع من فمك"⁵¹⁹. لأن كل ما هو قدر لا تقوله، لأنه سوف تُصاب بأذى. ينبغي أن نتذكر بولس الطوباوي لكي نحترم ونكرم الإيمان الأصل، وذلك عندما قال: "لأن الذين استنبروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضًا للتوبة"⁵²⁰. لأن هؤلاء الذين حصلوا مرة واحدة على النعمة السماوية والإلهية، وبالمعمودية المقدسة قبلوا الكلمة الحقيقية

511 تث24:16.

512 خر7:20.

513 إش20:13-44.

514 1كو8:65.

515 خر3:20.

516 تث10:20.

517 1مل18:21.

518 خر22:20.

519 خر23:13.

520 عب6:64.

والمحيية عن القيامة وملكوت الله، إذا أرادوا أن يرجعوا إلى الحالة الأولى مسرعين إلى مرضهم السابق، سوف لا يتجددون ثانية ليتطهروا بالمعمودية: "أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله" ⁵²¹ كما يقول بولس العظيم. ولا بسبب أن البعض رجعوا إلى الخلف واحترقوا بالإيمان يجعلنا أن نحسب أن هناك عدم ثبات أو تقلب لدى النعمة الإلهية. لكن بالحرى ديان الجميع سيفرض عقوبات على هؤلاء الذين لم يتوقفوا عن الانزلاق في الفجور حتى أنهم داسوا ابن الله واعتبروا دم العهد دنساً وأهانوا روح النعمة التي تقدسوا به وبفضله صاروا شركاء الطبيعة الإلهية.

وكما أن الجندي الذي يلقي سلاحه ويصير هارباً، لا ينبغي أن يُكرم بوسام ثاني لكن يجب أن يُعاقب مباشرةً ويدفع ثمن تراجعته وجُبنه، نفس الأمر ينطبق على الذين يهينون النعمة المستحقة لكل تقدير وإعجاب. فلا يُعطى لهم شرف التجديد ثانية بعبودية الروح، طالما صار نقص للأول، لكن ينبغي أن يكونوا مسئولين عن العقوبات. لأن هؤلاء الذين استنبروا مرةً يجب أن يتقدموا إلى درجة المعرفة وثبات الأفكار، حتى يعرفوا أن الله بطبيعته واحد، ويحكمون بنجاسة الذين يُدخلون شيئاً مختلفاً عن هذا، رافضين عبادة الأصنام وهم لا يعملون حساباً بتأتا لمقدسات اليونانيين. هذا ما سوف يقوله لنا الكتاب في سفر العدد: "وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان. فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم" ⁵²².

هل أدركت أن الذين يعبرون الأردن ينبغي عليهم أن يُخرجوا من الوسط سكان الأرض عابدي الأوثان ويمحون أصنامهم وتصاويرهم بلا تردد؟ لأنه إن انتابهم حزن على هذه الأمور المعيبة فهذا يمثل برهاناً واضحاً بأنهم لم يكونوا ثابتين تماماً، ولا هم كرسوا قلوبهم المتهكرة من الذنوب إلى الله، بالرغم من أنه قال بوضوح لغير المؤمنين والأشرار ما يلي: "لا تسجد لألهتهم ولا تعبدوها ولا تعمل كأعمالهم. بل تبيدهم وتكسر أنصابهم. وتعبدون الرب إلهكم. فيبارك خبزك وماءك وأزيل المرض من بينكم. لا تكون مُسْقِطَةً ولا عاقر في أرضك. وأكمل عدد أيامك" ⁵²³.

إن، صار واضحاً من كل هذا، أن الثابتين والمؤسسين بلا ترزع والذين يقتربون من إله الجميع بعقل صحيح، وقد أعطوا برهاناً واضحاً فيما يتعلق بهذا الأمر، وبالنسبة لهؤلاء فإن إبادتهم للأصنام والمرتفعات ورفضهم للحيل البشرية التي يخترعها ذهن الفاسد، كل هذه تجلب لهم المواهب الإلهية.

بلاديسوس: هذا حق.

كيرلس: إذن، لو دمَّرت، هكذا يقول، أعمال أيدى هؤلاء وعبدت الله، كارهاً تلك العادات، عندئذ سوف يبارك خبزك وخمرك وماءك. هذا الكلام عميق وسرى. إن البركات روحية وهى الاشتراك في أسرار المسيح ونبعة المعمودية المقدسة ستكون للذين فداهم الله.

ولكن بالنسبة للذين يحيون بازواجية ويسلكون في العصيان، فإن مصيرهم هو الغضب والإدانة. وكيف لا يفقد المرء البركة الروحية وسط هذه المآسى؟! وهذا هو الذي قال عنه بولس: "من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس" ⁵²⁴. يقول إذن، إن البركة أى تناول من الأسرار المقدسة، لهؤلاء الذين هم محبين لله حقاً سوف تخلصهم من الضعف أى الخضوع الذي تمليه عليه طبيعتهم لفعل الشر الذي يقود إلى الوضاعة. وأيضاً يقول إنه لا يوجد بينهم مريض أو امرأة عاقر. لأن كل نفس مقدسة ومحبة لله هى خصبة وحاملة للثمار المقدسة، وأقول ثانية، حاملة لزيينات الفضيلة.

بلاديسوس: هذا صحيح.

كيرلس: إذن، لم يتركنا لقلبنا المتزعزع، بل إذ بحثنا بطرق كثيرة أن نختار الثبات في الإيمان والاستقامة في التقوى. مرةً يلتفت نظرنا ناحية الأفضل بكلمات مناسبة، إذ يأمرنا بأن نرفض عبادة الأصنام التي تُسبب الهلاك، مظهرًا لنا هذا المرض العضال المملوء بالوشاية العظيمة أو بالحرى مملوء بالانحلال وعدم التقوى. ومرةً أخرى يضع فينا الخوف،

⁵²¹ رو3:3.

⁵²² عد52:33.

⁵²³ خر26:24.

⁵²⁴ 1كو28:11.

أقصد خوف العقاب، كمرّي وحارس فاضل، يشجعنا مرات كثيرة إلى كل ما يحسن في عينيه. ويقول موسى الطوباوى بالحق في سفر التثنية: "هذه هى الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض. تخرّبون جميع الأماكن حيث عُبِدَت الأُمَم التي تراثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء. وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريتهم بالنار وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان"⁵²⁵.

الحكماء والأدباء اليونانيون، وأيضاً الشعراء يتحدثون عن آلهة الجبال والغابات التي يدعونها حوريات أو عرائس أى شياطين. وهؤلاء هم أولئك الذين اختاروا تكريم آلهتهم على المرتفعات وأقاموا مذابح على الجبال ليقدّموا ذبائح من الثيران. لقد أقاموا حول الأشجار الكبيرة تماثيل ونظراء للشياطين وقدموا ذبائح من الخراف. لكن كان من الضروري على الذين يعرفون الإله الحقيقي أن يهدموا بلا خوف ألعاب البشر الذين هم في الضلال ويبعدوا عن عاداتهم. لذلك يقول أيضاً: "متى قرض الرب إلهك من أمامك الأمم الذين أنت ذاهب إليهم لترثهم وورثتهم وسكنت أرضهم فاحترز من أن تُصَاد وراءهم من بعد ما بادوا من أمامك ومن أن تسال عن آلهتهم قائلاً كيف عبد هؤلاء الأمم آلهتهم فأنا أيضاً أفعل هكذا. لا تعمل هكذا للرب إلهك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذ أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم"⁵²⁶.

حسناً جداً حرّم المُشرّع التشبه بأولئك الذين هم في الضلال، وأمر بالابتعاد عن الذبح الوحشى للأطفال. مظهرًا مدى فساد ودمار الآلهة الدموية والكاذبون الذين يدسون بوحشية ناموس الرحمة الطبيعية (يقصد المحبة الطبيعية للآباء نحو أطفالهم) طالما هذه هى مسرتهم. لأنه يقول: "الله خلق كل شئ ليكون موجوداً، وتكوين العالم خلاص، وعلى الأرض لا توجد مملكة الجحيم. الموت جاء إلى العالم من حسد الشيطان"⁵²⁷. إن الإرادة الإلهية قد بدّلت الموت وأبطلت الفساد وهى تمقت إفناء المخلوقات، لأن الله خلق كل شئ لكى يوجد كما هو مكتوب. إنما كل الذين وقعوا في شبكة رغبات الشياطين يقدمون إلى الشيطان - مثل رائحة بخور حلوة وجميلة - الذين خلّقوا للحياة ويميتون الأشياء التي بُنيت لكى توجد. إذن يريد أن يبين بذلك أن تصرفاتهم كانت مملوءة من الأخطاء الكبيرة، وغيّروا الوضع الطبيعي حتى أن تقاليد محبة الأبناء التي هى محبوبة جداً قد داسوها بأقدامهم، وهو يُحرك ذهن السامعين الكاره للشر إلى ضرورة احترام وفحص كل ما يريده ذاك ويأمر به.

كل هذا شرّع قديماً لكى يُبطل عصيانهم. لكن الله حكم بالموت على من يريد أن يُبطل ما سبق أن تَنَبَّأ وقيل معرفة الحق بمحبة الله. لأنه قد قال أيضاً الآتى: "إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلاًماً وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعيدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم. وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تعبدون وبه تلتصقون. وذلك النبي أو الحاكم لك الحكم يُقتل لأنه تكلم بالزيف من وراء الرب إلهكم"⁵²⁸.

كم مقدس هذا الناموس ولائق بالله! لأن، إذا كان هؤلاء الذين يقتلون الجسد يجب أن يكون الموت جزاؤهم وفق النواميس، فكم لا يخطر هذا الذي يسبب الضلال المهلك ويرمى النفس في أهوال الهلاك، تلك النفس التي هى أغلى من الجسد بحسب قول المخلص؟ لقد حكم الله بعدل، بعقاب الموت للمضل والوقح. نفس الجزاء قرره على ذو العقل الطائش الذي سقط بسهولة، وانقاد خلف هؤلاء الناس. لأنه، بينما هو يستطيع تجنب هذا بسهولة مقيلاً إلى الحق، لماذا - بدلاً من هذا - يلجأ بارادته إلى الشر؟ "إذا وُجد في وسطك في أحد أبوابك التي يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شراً في عيني الرب إلهك يتجاوز عهده ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء. الشيء الذي لم أوص به. وأخبرت وسمعت وفحصت جيداً وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس في إسرائيل فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذي فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وارجمه بالحجارة حتى يموت. على فم شاهدين أو ثلاثة يُقتل الذي يُقتل. لا يُقتل على فم شاهد واحد. أيدي الشهود تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً فتتزع الشر من وسطك"⁵²⁹. عندما يتعدى المرء على الله من جهة التقوى والاحترام في شخصه، أليس من الخطر أن تُظهر رحمة لهذا الذي يفعل هذا الشر؟. كونك تُظهر محبة غير نقيّة تماماً تجاه الله هو أمر ضار جداً. وهذا هو الذي

525 تث 31:12.

526 تث 31:29.

527 حكمة سليمان 14:1.

528 تث 5:13.

529 تث 17:72.

قال عنه الرب: "من أحبّ أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقّني"⁵³⁰. فليذهب بسلام ناموس الحنان، ولتنتفيء قوة المحبة الطبيعية وكل شيء يشدنا ناحية محبة البشر، ولْيُعبد الله بتقوى صارمة. أم تظن أن الذين يخرجون عن العهد بدون سبب لا ينبغي أن يُعاقبوا بدون رحمة، إذ أنهم لا يكفون عن إهانة الله الذي كان ينبغي بالأحرى أن يشكروه بيقين ثابت؟

بلاديسوس: إنه ينبغي، كيف لا يكون هذا؟

كيرلس: سوف أذكر الأقوال التي قالها للأقدمين: "ماذا وجد فيّ أبائكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً"⁵³¹. وقال، مندهشاً من غياب الإسرائيليين الذي لا حد له، ما يلي: "ابتهتي أيتها السموات من هذا واقشعري وتحيري جداً يقول الرب. لأن شعبي عمل شرين. تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينفروا لأنفسهم آباًراً مشقة لا تضبط ماء"⁵³². فالذين ابتعدوا عن عبادة الله ويعبدون المخلوق وليس الخالق، فقدوا عقلهم إذ انزلوا إلى الضلال وراحوا يسجدون لأعمال أيديهم، بالرغم من أنه كان من السهل أن يتعقلوا - إن أرادوا - برؤية جمال الطبيعة الذي لا يوصف وأيضا نظام وتناسق المخلوقات ليصلوا إلى أن هناك مدبر وخالق لهذا الكون. لكن بعض الأقدمين احتقروا هذا الرأي الرصين والقيم واستبدلوه بعبادة المشغولات الذهبية والنحاسية وفق ما قاله الشعراء اليونانيون⁵³³. ويتركهم الله وعبادتهم للطبيعة، بطريقة صبيانية، التفوا حول عبادة نافلة جالين على أنفسهم العار والخزي واختاروا بارادتهم السقوط من المعونة السماوية. وحققاً قال الله: "افهموا أيها البداء في الشعب ويا جهلاء متى تعقلون. الغارس الآن لا يسمع. الصانع العين لا يبصر"⁵³⁴.

بلاديسوس: إنه خطأ فظيع يا صديقي.

كيرلس: لكن مرات كثيرة، لا يكون للواحد منا ثبات في الإيمان، بل قد تكون لديه محبة زائفة للمسيح ويعتقد في ذاته أنه محب لله فيصير وحشاً مفترساً وشريراً، مأكراً ومتقلباً دائماً، لدرجة أنه في بيته ليلاً، أقصد في الخفاء سراً، يُسلم نفسه إلى عبادة الشياطين معتقداً أنه، يمكن أن يهرب من الله نفسه ويخدع منطق ناموس الطبيعة الذي لا يوصف. ويمكن أن يبين المرء - بدون أي تعب إطلاقاً - أن الذي يتصرف هكذا يُفكر أسوأ من غياب اليونانيين. لأن الحكماء اليونانيين اعتقدوا بأن الشمس ذلك الكوكب العظيم والمنير⁵³⁵ خلقت لترى كل شيء وتسمع كل شيء، ولذلك فهي خلقت من الله. لأنهم اعتقدوا أن ما يدخل ضمن نظام الله يجب أن يكون ممثلًا من ملامح الطبيعة الإلهية - وملح الطبيعة السامية هو معرفة ورؤية كل شيء. وأولئك (اليونانيون) هكذا رأوا واعتقدوا. أما بالنسبة لنا، فإن الله نادى قديماً "أعلى إله من قريب يقول الرب ولست إلهاً من بعيد، إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة أفما أراه أنا يقول الرب"⁵³⁶. لا شيء بالتأكيد يمكن أن يهرب ويختبئ من الإله الحقيقي. داود الطوباوي يعلمنا بطريقة سرية حين يقول: "افهموا أيها البداء في الشعب ويا جهلاء متى تعقلون. الغارس الآن لا يسمع. الصانع العين لا يبصر"⁵³⁷. ولأن البعض لم يستطيعوا أن يفهموا، قالوا: "الرب لا يبصر وإله يعقوب لا يلاحظ"⁵³⁸. أليس من حماقة أن يقول المرء أن مانح المعرفة لا يعرف، ومُعطي السمع لأولئك الذين خلقهم لا يسمع؟

بلاديسوس: هذا مستحيل تماماً.

كيرلس: بناء على ذلك ينبغي أن نسجد فقط للرب الإله بكافة الطرق وفق الكتب المقدسة، وليس أحد آخر سواه. لأنه

530 مت 10:37.

531 إر 2:5.

532 إر 13:12.

533 انظر هوميروس، الإلياذة: Z.236.

534 مز 94:98.

535 هوميروس الإلياذة: Δ

536 إر 23:24-23.

537 مز 94:98.

538 مز 94:7.

مكتوب: "تكون كاملاً لدى الرب إلهك"⁵³⁹. والكمال الروحي هو الثبات في الإيمان، والعبادة التي بلا لوم وجمال المحبة النقية لله.

بلادْيوس: هكذا أعتقد.

كيرلس: لكن، يا بلادْيوس، أولئك الذين لا يريدون بالتأكيد السجود لآلهة أخرى، أى للمخلوقات، يقتنعون - ولا أدري كيف - بأقوال المنجمين الذين يعبدون الأصنام، هل سوف نعتبرهم بلا إدانة وبلا لوم، أو أنهم أبرياء من تهمة العصيان، لأنه - من يعرف - هل حقاً أصلاء؟

بلادْيوس: إطلاقاً لا يمكن أن يكونوا بلا خطر.

كيرلس: إنَّ تَتَّبَع ومراقبة النجوم والتنجيم ومعرفة الغيب والأمور الشيطانية المضلة تتمشى فقط مع الذين لديهم استعداد لأن يضعوا في عقولهم عبادة الأصنام المردولة والملعونة.

بلادْيوس: تتكلم بالصواب. لأن الكلمة الإلهية تخبرنا بأنه ينبغي أن نتأفف من رجس هؤلاء الناس. وهذه هي الكلمة الإلهية: "متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جأناً أو تابعة ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك.. تكون كاملاً لدى الرب إلهك. إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا. يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع"⁵⁴⁰.

كيرلس: حسناً، يا صديقي. وبالتأكيد سوف لا نتبع المنجمين والعرافين، ولا سوف نُسلم بأن طيران الطيور، سواء كانوا يطيرون يميناً أو يساراً⁵⁴¹، أو كان هذا الطيران مساءً أو فجرًا هو شيء حقيقي، لا يوجد جهل أسوأ من هذا. لكننا فلنجعل المسيح رئيسنا، والذي لأجلنا صار شبيهاً لنا ومعلماً لنا نستمد منه معرفة احتياجاتنا، وبالقرب منه نبقي دائماً بعيداً عن الأكاذيب الشيطانية. لأن القوة التي تُحيي كل شيء توجد فقط عند الله، وهو سيد ورب على الكل بطبيعته وبخصائصه الأقتومية. وهكذا فهو يعرف الكل. فمن خصائصه أنه يعرف بوضوح كل ما يحدث إذ يعرف كل شيء. أليس هذا الكلام حقيقياً؟

بلادْيوس: هذا صحيح تماماً.

كيرلس: لذلك سنخطئ إلى الله ونهين المجد الفائق، لو أننا بأن الأرواح الدنسة لها الصفات الصالحة التي يتحلّى بها الله ويتميز بها. لنا الآن عدة ساعات في هذه الثرثرة، لدرجة أنه قد يُفهم خطأ من هذه الثرثرة أننا نُلجج بأنه يمكن للشيطان أن يعطى حياة ويكون خالقاً، هذا إذا نسبنا للشيطان خصائص الطبيعة الإلهية وقلنا إنها مغروسة فيه. لكن الصلاح المميز للطبيعة السامية (الإلهية) هو معرفة أمور المستقبل، أم أن هذا الذي أقوله ليس صحيحاً؟

بلادْيوس: صحيح تماماً. لأنه يقول على فم إشعياء لبعض الذين أعطوا للطبيعة (المخلوقة) كل ما يُنسب إلى الله: "انكروا هذا وكونوا رجالاً رندوه في قلوبكم أيها العصاة. انكروا الأوليات منذ القديم لأنى أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي. مخبر منذ البدء بالآخر ومنذ القديم بما لم يُفعل قاتلاً رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي"⁵⁴².

إن تصريحه بأنه يمكن أن يفعل "بالآخر" قبل أن يصير، يكشف للسامعين، أنه لا يوجد آخر فيما عدا الإله الحقيقي.

⁵³⁹ تث 18:13.

⁵⁴⁰ تث 18:169.

⁵⁴¹ هوميروس، الإلياذة 237-240، M.

⁵⁴² إش 46:108.

كيرلس: حسنًا جدًا، يا بلاديوس، أريد أن نفحص من كل الجوانب الآتي: طالما نحن موجودون بين هؤلاء الذين يحيون باستقامة وبحسب تعاليم الإنجيل، أي عذر لنا حتى نصدق الوعود الكاذبة للمنجمين، ربما تحتوي هذه الوعود الكاذبة على قول حقيقي؟ أليس عندئذٍ نُكذِّبُ كلام المخلص! لأنه يقول لليهود الحاسدين والشاتمين "أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب"⁵⁴³. إذن كيف يكون الكذاب صادقاً؟ وكيف لا يكون كاذباً من لم يثبت في الحق؟!

إذن من الواضح، يا بلاديوس، أننا حين ننسب الحق إلى كلام الشياطين نتهم المسيح بأنه يقول كلاماً كاذباً، وكأننا نقول بذلك أن الحق يقول الكذب.

بلاديوس: إن قلنا هذا نكون في خطر.

كيرلس: على الجانب الآخر أستطيع أن أضيف إلى كل ما قلته، لقد تعلمنا من المسيح أن لا نقبل أقوال الأرواح النجسة، حتى لو أرادت أحياناً أن تقدم الحقيقة، رغم أن هذا الأمر غير معتاد تماماً بالنسبة لهم.

بلاديوس: ماذا تقصد بهذا؟

كيرلس: ألم تسمع الإنجيليين القديسين الذين كتبوا، أن الشياطين كانوا يصرخون بشدة، ويقتربون بتخوف من المسيح قائلين: "آه مالنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتهلكنا. أنا أعرفك من أنت قدوس الله"⁵⁴⁴. "ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه"⁵⁴⁵. وأنه طبيعي أن يتساءل المرء، لماذا ينتهر المسيح الشياطين، طالما أنهم ينطقون بالحقيقة؟ إطلاقاً هذا الذي صار (اعتراف الشياطين) كان مفيد لنا. بل علينا أن نتعلم (من انتهار المسيح لهم) أنه لا ينبغي أن نؤمن بأقوالهم، حتى لو أرادوا أن ينادوا بالحق ويقولوا الأمور الحقيقية الواضحة. لأنهم يخلطون أحياناً الكذب بالحقيقة، ويؤذون مستمعيهم، ليس بطريقة أخرى بخلاف ما سوف يراهم المرء، يحاولون خلط العسل في المر لكي يُخففوا طعم المرارة.

بلاديوس: عموماً إنه خطر تماماً أن ينشغل المرء بأقوال الدجالين.

كيرلس: الله يعاقب من يرتكب هذه الخطية بالموت ويضع هذه الخطية في قائمة الخطايا الفظيعة. لنرى ماذا يقول في سفر اللاويين: "والنفس التي تلتفت إلى الجان وإلى التواضع لتزني وراءهم أجعل وجهي ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها. فتتقدسون وتكونون قديسين لأنني أنا الرب إلهكم"⁵⁴⁶. وأيضاً يقول: "وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يُقتل بالحجارة يبرجمونه. دمه عليه"⁵⁴⁷. إنه يُحرّم أولاً التجاء البعض إلى المنجمين أو العرافين، قائلاً إن هذه العادة هي بعيدة جداً عن الحياة التي تليق بالقديسين ولا تنسجم تماماً مع القريبين من الله، ثم بعد ذلك حكم بالموت ضدهم وقال إنهم مذنبون. لا يسمح أن نُظهر رحمة إلى الذين وصلوا إلى هذه الدرجة من الشر، حتى أنهم صاروا مصيدة للموت وشبكة للنفوس البريئة وباب للهلاك ومصيدة للهاوية، وأى شيء آخر يكون من مثل هذه الشرور؟ لكن أظن أنه سنعتبر (هذا الإجراء) معياراً للحكمة، لأن الله كان لا يفرض هذا الجزاء القاسي جداً، والذي يفوق أي شر على هؤلاء الذين لديهم قوة (مثل الأنبياء الحقيقيين) ليعرفوا إعلان وكشف هذه الأمور التي تحدث، وقد قالوا شيئاً من هذه الأمور التي حقاً ستحدث. لأن كلمة الحق لا تجلب عقاباً. لكن كلمة الكذب هي دنسة وإذا قصد شخص أن يتفوه بها بادعاء الاستنارة من الله فإنه يسئ إلى هذه الطبيعة الإلهية فائقة الوصف، إذ ينسب الكذب إلى الحق، وطالما يخضع لعقاب معادل لمن ارتكب جريمة، فإنه يذهب كلية إلى الدمار. لأن الكتاب لم يحدد عقاباً للذين يتحدثون نيابة عن الله، لكن الذين ينقلون الكلمة - مدعين بالكذب - كما لو كانت في نفس الوقت كلمة الله، لأن نبوتهم لم تكن نقية تماماً من الكذب. وبسبب أنهم لا ينهلون من الحق، لكن يقولون كل ما يريدونه وما تقوله لهم ذواتهم يرتكبون بسبب هذا خطأ.

⁵⁴³ يو 8:44.

⁵⁴⁴ مر 1:2524.

⁵⁴⁵ مر 1:34.

⁵⁴⁶ لاو 7:20.

⁵⁴⁷ لاو 20:27.

بلادِيوس: بالتالي من هنا سوف نفهم أن أولئك يقولون كلامًا من عندياتهم.

كيرلس: بالضبط. سوف يقنعنا الناموس الإلهي مباشرةً لأنه يقول الله في سفر التثنية الآتي: "وإن قلتَ في قلبك كيف نعرف الكلام الذي يتكلم به الرب. فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصِرْ فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه"⁵⁴⁸. أسمعَت ما يقول؟ الإخفاقات التي ذكرت سابقًا هي برهان واضح أن الكلام ليس من الله، لأن الحق يحب الحق. ومثل هذا قاله على فم إرميا: "العلیٰ إله من قريب. يقول الرب ولستُ إلهًا بعيدًا. إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة أفما أراه أنا يقول الرب. أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب. قد سمعتُ ما قالته الأنبياء الذين تنبأوا باسمي بالكذب"⁵⁴⁹. ثم بعد ذلك، طالما أدان المحققين للناموس الإلهية، يعطى دليل واضح لكل النبوات التي هي من الله والتي ليست منه. لأنه يقول أيضًا: "النبي الذي معه حلم. فليقص حلمًا والذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق"⁵⁵⁰. لأنه إن بدا أنه لم يقل الحق، فهذا سوف يظهره مباشرةً أنه مبتدع الكلام الكاذب الذي أعلنه، وأنه يتكلم من نفسه وليس من فم الله كما هو مكتوب.

بلادِيوس: أتريد أن نضع شيئًا من الأمور الضرورية تحت الفحص الدقيق، أم نتركه ونمضي حيث يقودنا كلامك؟

كيرلس: الكلام، يا بلادِيوس، عن الضروريات للاستفادة ليس ثقیل على. ولأنني أحب التعبير الحر عن الرأي، أخبرني إذن ولا تتردد أبدًا.

بلادِيوس: إن لم يتحدث البعض من فم الرب، لكن يُعبرون، كما تقول، بكل ما في داخلهم، بأي طريقة أحضرت تلك المرأة التي عليها الجن إلى شاول صموئيل النبي، بالرغم من أنه كان قد مات، ولقد وضَّح له نهاية الأمور التي سوف تحدث؟ لأن البعض يعتقد أنه هكذا حدث ما قيل وليس شيئًا آخر.

كيرلس: أنت تعتقد أنه لا يكون هكذا الأمر، وتعتبر هذا أفضل، أم تقول إنه بمثابة ثرثرة أن نفس البار أُغْصِبت في الواقع وأنت طائعة لدعوة إمراة؟.

بلادِيوس: لا أستطيع أن أرد بحسم. الفحص الدقيق، على ما أظن، سوف يستطيع أن يُظهر الحق.

كيرلس: حسنًا تقول. دعنا نفحص الأمر بدقة. أي بأي من الاثنتين؟ أين خلال الله يعطون هذه الأمور المفيدة ويقولون هذه الأمور الفائقة للطبيعة ويحضرونها، أم من الأرواح الشريرة التي تهتم بهذه الأمور؟.

بلادِيوس: ومن سوف يمكن له أن يصل إلى هذه الأفكار غير المعقولة، حتى يعتقد أنه من خلال الله يعمل العرافون والسحرة والذين عليهم الجان هذه الأمور فوق الطبيعة؟ لأنه سوف أذكر الناموس الذي يحدد عقابًا كبيرًا لكل واحد يريد أن يفعل هذا الأمر. ثم بعد ذلك، كيف لا يجلب اندهاشًا أن نفكر بأن المُدان بالموت ليس هو مضاد لله؟ ألا يكون بالتأكيد محاربًا للناموس الإلهية.

كيرلس: تفكر بطريقة فائقة. أي سوف نقبل أن نفوس القديسين، قد تخلصت من الجسد، تطير بدون حساب، وقد وصلت إلى هذا المستوى من التعذيب، حتى أنها تخضع للأرواح الشريرة والذنسنة ويتبعونها بدون إرادتهم حيث تريد هذه الأرواح، بالرغم من أن في سفر الرؤيا الذي كتبه يوحنا الحكيم، وقد وضعوا الآباء هذا السفر من ضمن قانون العهد الجديد - ما يؤكد لنا بوضوح أنه رأى نفوس القديسين تحت مذبح الله نفسه⁵⁵¹. إذن إذا سحبهم من المساكن السماوية، وأنزلوهم من الأماكن المقدسة بدون أن يعيقهم أحد، فالسما هي عندئذٍ مفتوحة للجميع، وباب الفردوس يفتح لهؤلاء. والسيف الناري ينسحب لكي يدخلوا ويخرجوا، ويكون عندهم تصريح بأن يُخرجوا البعض - بعد أن دخلوا - من السماء خارجًا. ألا يظهر هذا خيبة رجائنا في المسيح وألا يُعلن أن حياة الرجال الذين أعجبنا بها هي بانسة تمامًا؟

⁵⁴⁸ تث 18:22.

⁵⁴⁹ إر 23:25.

⁵⁵⁰ إر 23:28.

⁵⁵¹ انظر رؤ 9:6.

بلادبوس: هكذا يبدو.

كيرلس: الأمر بالتأكيد يصير واضحاً من جهة أخرى أي كيف كان من الأفضل لبولس العجيب أن يرحل من هذا العالم ويكون مع المسيح⁵⁵²؟ لأنه إذا رحلنا من الأمور الأرضية، وبينما نحن مع المسيح، نكون في قبضة الأرواح المعادية لنا، فإن الإيمان يفقد محتواه وفق المكتوب، ويكون من الأفضل أن يوجد المرء في الجسد من أن يكون مع المسيح، كل واحد، على ما أظن، سوف يقبل الرأي فكيف يختلف (هذا الأمر) - بلا مقارنة - عن الأفضل. وهذا الذي لا يمكن لأحد أن يتحملة بعد بالأكثر، عندما نكون في هذه الحياة لسنا مقيدين (مربوطين) في إرادة الشيطان وحسناً ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو وفق كلمة المخلص⁵⁵³. ثم بعد ذلك، عندما نكون مع المسيح، كيف نوجد في حالة أسوأ؟ وكيف أنه يقول الحقيقة، قائلاً: "خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي. أبى الذي أعطانى إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى"⁵⁵⁴.

هل خدع بطرس رجال التقوى في المسيح وهو يكتب الآتى: "فإذا الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير"⁵⁵⁵؟

وإن كان الشيطان يمارس القهر على النفس التي تثق في ذاته وهى في يد الله، وتذهب وتحجى بحسب ما يريد (الشيطان)، كيف سوف نعتبره جديراً بالثقة هذا الذي يقف بجانب المؤمنين وقد أخذ روح كل واحد كوديعة؟ إذ هذه الأمور ثرثرة وحمافة رهيبية، أن يعتقد المرء حقيقة بأن نفس النبى قد نزلت من الأماكن التي ذهبت إليها وذلك بنداوات وتعويدات لامرأة كريهة.

بلادبوس: لآى سبب إذن صيغت هذه الاعتبارات؟ هذه الأمور السخيفة، على ما أظن، لا ينبغي أن نتحدث فيها، حتى لو بها أى شئ بسيط جداً من المعنى.

كيرلس: عندما نعرض كلام الكتاب المقدس، عندئذ سوف نوضح كل ما خطر في ذهننا، إذ سندرك من كل الجوانب هذا الذي ينبغي أن نفهمه. هذا الكلام هو الآتى "ومات صموئيل وندبه كل إسرائيل ودفنوه في الرامة مدينته وكان شاول قد نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض فاجتمع الفلسطينيون وجاءوا ونزلوا في شونم وجمع شاول جميع اسرائيل ونزل في جلبوع و لما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء فقال شاول لعبيده فتشوا لي على امرأة صاحبة جان فأذهب إليها واسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور. فتتكر شاول وليس ثياباً أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا الى المرأة ليلاً وقال اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك فقالت له المرأة هوذا أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض فلماذا تضع شركاً لنفسى لتميتها فحلف لها شاول بالرب قائلاً حي هو الرب أنه لا يلحقك إثم في هذا الأمر فقالت المرأة من أصدك لك فقال أصعدي لي صموئيل فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلمت المرأة شاول قائلة لماذا خدعتني وأنت شاول فقال لها الملك لا تخافي فماذا رأيت فقالت المرأة لشاول رأيت آلهة يصعدون من الأرض فقال لها ما هي صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطي بجبة فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه إلى الأرض وسجد فقال صموئيل لشاول لماذا أفلقتني بإصعادك إياي فقال شاول قد ضاق بي الأمر جداً الفلسطينيون يحاربونني والرب فارقتي ولم يعد يجيبني لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكي تعلمني ماذا أصنع. فقال صموئيل ولماذا تسألنى والرب قد فارقتك و صار عدوك وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدي وقد شق الرب المملكة من يدك وأعطاه لقرينك داود لأنك لم تسمع لصوت الرب ولم تفعل حمو غضبه في عماليق لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم ويدفع الرب إسرائيل أيضاً معك ليد الفلسطينيين وغداً أنت وبنوك تكونون معي ويدفع الرب جيش إسرائيل أيضاً ليد الفلسطينيين"⁵⁵⁶. إذن هل بقى لك شيئاً لم نوضحه لكى نتحقق بأن شاول أدين وهلك بمشورته الخاصة؟ بسبب أنه خاف معركة أولئك الذين احتشدوا ضده، طلب من الرب ليعلم ما الذي سوف يحدث له؛ ولأن الله صمت ولم يعلن شيئاً، قرر أن يزعم ذلك الذي فضّل الصمت. هكذا ذهب للعرافة والمنجمين الذين يعتقدون أنهم يعرفون الأمور المستقبلية. وهناك يقول

⁵⁵² انظر في 3:1.

⁵⁵³ انظر لوقا 19:10.

⁵⁵⁴ يو 10:29-27.

⁵⁵⁵ 1بط 4:19.

⁵⁵⁶ 1صم 28:193.

"أصعدى لى صموئيل"، ليس بسبب أن فن السحرة استطاع أن يحضر نفس القديس، لكن العرافون هم الذين يستخدمون دائماً هذا الكلام. أى كان عنده علم بأن بكلمات مكتوبة (غير مفهومة) يسحرون الجان، وبينما هم يغنون ويرشون بالماء يرون صور وظلال وأشكال كما في مرآة من إبداع الشياطين، وذلك لى يصعدوا أشكال أولئك الذين يحضرونهم. قالت المرأة العرافة بالتأكد في البداية " رأيت آلهة يصعدون من الأرض". ثم بعد ذلك "رأت صموئيل". لا يكون إطلاقاً صعباً أن يظهر بشكل مشابه لصموئيل الطوباوى بل ظل وشكل مشابه بفعل شيطانى. إذن حتى لو ظن أحد أن نفس النبى قد استعلنت عملياً ويعطى لكلام المرأة الحق، بسبب أنها قالت قد رأيت آلهة يصعدون من الأرض، فعليه أن ينعث أعمال التنجيم بالكذب، وإلا فعليه أن يعتقد بأنه توجد بعض الآلهة يصعدون من الأرض بالرغم من أنه بالتأكد نؤمن بأنه يوجد إله واحد فقط.

بلاديسوس: نتكلم بالصواب. لكن لم نبذل محاولات ولو لوقت قليل لنبرهن بأن الحقيقة لا توجد عند الأرواح الدنسة.

كيرلس: بالتأكيد لا. لأنه لا يتفق النور مع الظلمة ولا المسيح مع بليعال. ولأولئك الذين يُغضبون الله ويسببون له حزناً، يُعلن الله الأمور التي سوف تحدث أحياناً وبطرق ملائمة على الأقل، برسالة الملائكة إلى العقل البشرى، وعندما يعلمون بها أولئك، يتركون الحزن، ويصير التنبؤ بالنسبة لهم كبدية للغضب والعقاب الذي يتهدهم. ولأنه يستريح في الأنبياء القديسين ومرات كثيرة يعلن لهم، ليس فقط الأمور المحزنة والأمور التي سوف يضايقون بها شخص لتجعله يجلس ويكي، لكن أيضاً يذكر لهم الأمور المفرحة حقاً لرفاهية البعض، أما الفجار وأتباع المنجمين فيكشف لهم الأمور الشريرة التي سوف تحدث لهم.

بلاديسوس: وكيف ومن أين يمكننا أن نؤمن بهذا الكلام؟

كيرلس: بالطبع من الكتب المقدسة. لأن المثال ومنهج التعليم يمثلان لنا كل ما صار للقدماء. ألا تعرف أن بالاق بن بعور طاغية الموابيين والمديانيين، إذ كان مرتعاً من جمع الإسرائيليين الذي لا يُقهر اعتقد أنه سوف يهلك فوراً هو والأمم الأخرى، قد دفع لبلعام قائلاً له " تعال والعن لى إسرائيل. ولما ذهب الشيوخ إليه قال لهم: بيتوا هنا الليلة فأرد عليكم جوارباً كما يكلمنى الرب"⁵⁵⁷، طالباً أحلاماً شيطانية منتظراً أن تحدث بواسطة التعويذات والأمور السحرية، لقد قال (بلعام) إن الله سوف يكلمه، لأنه قدم عذراً بأنه يسمع الرب. لكن بالرغم من أن الكتب المقدسة تستخدم اللغة المعتادة للسحرة، سوف لا نستطيع أن نصدق - إذا فكرنا باستقامة - أن الإله الحقيقى يضع الحق داخل نفوس الدنسين، وأنه يتحدث مع إنسان بغيض وساحر عابد للأوثان. لكن مكتوب: "أتى الله إلى بلعام وقال من هم هؤلاء الرجال الذين عندك"⁵⁵⁸. وعندما قال له بلعام سبب قدومهم، "قال الله لبلعام لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك"⁵⁵⁹. ولذلك يمنع الملاك - القادم من عند الله - الساحر المحتال والمضل ويطلب منه ألا يلعن المبارك من الله، ولا يضاهى الابتداعات البشرية الشريرة بقرارات السماء، ليس لأن اللعنة سوف يكون لها قوة أن تفعل الشر، لكن أراد وبكل وضوح أن يعرف بنفسه هذه الحقيقة لذلك الذي عنده الرجاء الكاذب. هذه الحقيقة هي أن بنى إسرائيل لن يسقطوا بتأناً في أيدي الموابيين والمديانيين، آخذين الله حامي لهم ومحارب عنهم، الله الذي أحاط بعطفه على شعبه كانه سور، لأن هذا الشعب هو خاصته ومبارك منه. وهذا بالتأكيد ما قاله الملاك وأعلن بأنه يفعله. لكن بسبب الهدايا الموعودة التي أغرت العراف فقد استمر في تنجيجه معتقداً أنه قد يقوم الحق. وتركه الملاك يمضى في اعتقاده هذا، لكن ظهر له في منتصف الطريق وهدده بسيف لى يدرك جيداً أن الملائكة هم الذين سوف يحاربونه إذا أراد أن يلعن المباركين. لكن عندما وصل إلى المديانيين بنى المذابح وأمر بذبح الثيران. لكن لم يكن النبى الكاذب قد تغير، إنما القوة الإلهية هي التي غيرته إلى العكس. فهو لم يلعن بتأناً، لكن بالحرى بارك الإسرائيليين وجلب على بالاق حزناً رهيباً. مكتوب: "فاشعل غضب بالاق على بلعام وصفق بيديه وقال لبلعام لتشتيم أعدائى دعوتك وهؤلاء أنت قد باركتهم الآن ثلاث دفعات، فقال بلعام لبالاق ألم أكلم أيضاً رسلك الذين أرسلت لى قائلاً ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة ذهباً لا أقدر أن أتجاوز قول الرب لأعمل خيراً أو شراً من نفسى. الذي يتكلمه الرب إياه أتكلم"⁵⁶⁰.

إن العرافين الكذبة اعتادوا أن يستخدموا مثل هذا الكلام الخادع، لأنهم يدعون أمام الذين يلجأون إليهم بأنهم على

⁵⁵⁷ عد 22:86.

⁵⁵⁸ عد 22:9.

⁵⁵⁹ عد 22:12.

⁵⁶⁰ عد 24:10، 13:12.

أى حال يقولون الحق. لكن التعبير عن الحق هو شئ غريب عن فن السحرة والمنجمين، لكن في بعض المرات يُترك لهم الحق من الله، بهدف إلقاء الفرع في نفوس المدنسين بإعلانهم بالأمر المستقبليّة.

بلادْيوس: أوافقك.

كيرلس: وكون الله يكره مثل هذه الأعمال السحرية والمشعوذة يصير واضحًا بذلك ما قاله هو نفسه: "أنا الرب صانع كل شئ ناشر السموات وحدى باسط الأرض. من معي. ميطل آيات المخادعين ومحقق العرافين. مرجع الحكماء إلى الورا ومجهل معرفتهم. مقيم كلمة عبده ومتمم رأي رسله"⁵⁶¹. يبرهن على أن التنجيم هو غير مصدق وكاذب، بينما يعضد كل كلمة قالها ابنه أى يسوع المسيح، وأيضًا مشورة ملائكته، أى كل ما يقوله الكارزين بالإيمان به (بالمسيح)، كل هذا يظهره بالحق ويؤكد بالعلامات والأعمال المعجزية وبأعمال الروح القدس. يقول أيضًا للذين يسيئون استخدام الناموس "قف في رفاق وفي كثرة سحورك التي فيها تعبت منذ صباك. ربما يمكنك أن تنفعي. ربما ترعبين. قد ضعفت من كثرة مشوراتك ليقف قاسمو السماء الراصدون النجوم المعروفون عند رؤوس الشهور ويخلصوك مما يأتي عليك"⁵⁶².

أرأيت أن الله يبرهن على أن التنجيم الملعون هو تافه تمامًا ويستحق السخرية. وأن الذي يتمشى معه هو الحق، وبسهولة يقول الأمور التي لا تقبل الخطأ ونأمل تحقيقها، اسمع ماذا يقول لنا بفم إشعياء: "انكروا هذا وكونوا رجالاً. رددوه في قلوبكم أيها العصاة. اذكروا الأوليات منذ القديم لأنى أنى الله وليس آخر، الإله وليس مثلى. مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يُفعل قائلًا رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي"⁵⁶³. إذن من جانبنا سوف ننسب إلى الله وحده فوق الكل قدرة التنبؤ تمامًا، ويستطيع أن يعلن بدون أدنى خطأ الأمور التي سوف تحدث. إنما كل ما يقوله الآخرون فهو ثرثرة وخرافات العجائز وبذاءات وضلال، الذين يعقل فاسد يقولون كل ما في قلوبهم، ويجعلون الكذب دافعًا لكسب المال.

بلادْيوس: إنه حقًا هكذا، وليس شيئًا آخر.

كيرلس: هيا بنا نترك الطريق المعوج ولنسلك الطريق المستقيم باقين بالقرب من الله مختبرين حقيقة أقوال القديسين.

بلادْيوس: بالتأكيد.

كيرلس: لكن ماذا؟ ألا نعتبر بجانب كل هذا، أنه مكروه أن يتطهر المرء بالنار والماء وطرق أخرى مشابهة والموجودة عند الوثنية اليونانية؟

بلادْيوس: نعم. لذلك يقول الناموس الإلهي بوضوح: "لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار"⁵⁶⁴.

كيرلس: حسنًا فالناموس قد سبق وتكلم عن هذه الأمور وحرّمها. لأن الأمر مملوء بالحماسة وينقصه التفكير الذكي والحكيم. فبأي طريقة يمكن أن تقيدين النار؟ وكيف تحرر مشاعل نارية إنسان خاطئ عندما تحيط به؟ لأن السقوط في النار يظهر وساخة النحاس أو أي مادة مشابهة. لكن بأي طريقة يمحي دنس العقل والنفس؟ ألا تستحق هذه الأمور - والتي هي نتاج الأفكار الباطلة - السخرية والتهكم؟

بلادْيوس: نعم هي كذلك.

كيرلس: أود أن أقول - بكل سعادة - للمفكرين الوثنيين الذين يبتدعون هذه الحيل القذرة والتي ينقلونها إلى الآخرين، ماذا تفعلون إذن، أنتم البسلاء والحكماء والذين تقولون عن تيتوس إنه نبت من الأرض، وتعاقبونه في الجحيم واضعين حوله نسور ليلتهموا كبده، لأنه بينما أعجب بجمال امرأة قد استولت عليه الرغبة في اشتهاها؟ أيضًا تخدعون الشباب

⁵⁶¹ إش 26:24.

⁵⁶² إش 13:12.

⁵⁶³ إش 10:46.

⁵⁶⁴ تث 10:18.

وتقولون إن صخرة عُلفت فوق تاندالوس لعقابه من أجل لسانه الفاسق؟ وأيضاً ربطتم أكسيوناس فوق عجلة تدور بلفات سريعة لا تتوقف، وتقولون إنه صار هذا لأنه لا بد أن يعاقب، ألم يعارض الآلهة بسبب ضلالكم، بينما ذواتكم التي أُسرت في الشرور الرهيبة والبدنية تخلصونها من النار وفق ما تعتقدونه، وتمنحون البراءة لأولئك الذين هم مدانون بأشنع الجرائم؟ لكن أخبروني، ربما لأنه لا توجد نار، حكمتكم على تبتوس والآخرين الذين ذكرناهم بالعقاب الصارم والقاسى. ولكن أعظم لص عندكم وحامل النار للبشر، أقصد بروثيموس، لو هو موجود فعلاً، لكان قد منح استخدام النار قبل الآخرين. هذا أيضاً. كما تنسب أساطيركم إليه - ربطتموه بأربطة لا تتحل، ويقولون كانت تحوم حوله نسور جارية - كما في حالة تيتوس - إنها عقابات رهيبة ووحشية. إذن فاجعلوا التطهير بالنار، ليس فقط لأولئك لكن للذين هم منكم، للعاشقين لبنات ونساء الآخرين، للذين فعلوا أموراً محرمة وهؤلاء يخلصون من الإدانة طالما تطهروا بواسطة النار من الذنب. أما الآخرون فمقيمون لهم المحاكم والدعاوى ويحرك نحوهم حقد القوانين ضد الشر، إنما أنتم الذين تترغون بلا تمييز في الحياة القذرة، تعتقدون أنكم متخلصون من أي دنس، وأنتم مخدوعون من ألعاب كاذبة صيبانية، وتقعون في تصرفات أنثوية غير لائقة. بأى طريقة إذن يحدث التطهير؟ أنتم الموجودون في هذه الحالة تظنون أن الإنسان الذي يوجد معكم كمن هو يتعطر بعطر، بينما هو يُدهن بأوحال نتنه، وبعد ذلك يصل لأن يعتقد أنه نجح في ما فكر فيه.

بلاديسوس: هذا صحيح، وأوافقك لأنك تقول الحقيقة؟

كيرلس: سوف أتغافل بالتأكيد عن الحماسة التي لهذا الأمر، تاركين خدام التطهير في صمتهم، وسوف أتى أيضاً لنفس الأمر وسأقول إنه يمكن للمرء أن يدرك أن الذين يسجدون للشياطين إنما يعيشون كمثّل الحمقى والجهلاء، ولا يفكرون في طريقة التطهير، ولا يدققون في حقيقة ما هو الرجز والدنس. لأن الزنى والشهوات التابعة له: علاقات مع ذكور والقتل والنميمة والحسد والتنجيم الكاذب والجبن والخداع واليمين الباطل، كل هذه هي البقع والأدناس التي تلوث النفس والجسد والتي تُحمى بصعوبة جداً. لكن هذه الأدناس لا النار ولا منابع المياه تستطيع أن تغسلها. متجاهلين أيضاً أنهم يلوثون النفس ويملأون العقل بالنتانة وهم يوصون بالابتعاد عن الأجساد الميتة ويعرضون بذلك عن كل ما يخضع للفساد غير محترمين قوانين الطبيعة. وأيضاً المأكولات التي يشتبهونها عن وعى، هم أنفسهم يتشككون إذا تصادف أن لمسوها بدون إرادتهم ويسرعون فوراً ليتطهروا بالنار والماء، كما لو كانوا مخلوقين ليصيروا قديسين وكفى فقط الابتعاد عنها. هكذا ضلوا عن المعرفة وفقدوا عقلهم، وعن حق يُقال عنهم: "ويل لكم.. أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل"⁵⁶⁵. وبينما يعتبرون الذي يسبب التلوث الحقيقي عديم القيمة والنفع، يشعرون بالرعب الزائد من أجل الأمور التي لا تسبب أى أذى. لدرجة أنه، لو أن شخصاً منهم دخل قبور الأموات، يخلع ثيابه ويخلق رأسه ظناً أن شعره ملوث، وهذه من الأمور التي يعلمنا الناموس الإلهي أن نبتعد عنها ونهرب من تقليدهم. لأنه مكتوب أيضاً: "لا تخمشوا أجسادكم ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم لأجل ميت"⁵⁶⁶. لأن الأدياء اليونانيون يرون أسطورة الإله أبولونوس والذي يسمونه فيفو $\phi\iota\beta\omicron\upsilon\sigma$ أى التنظيف والطاهر ويقولون إنه هو نفسه الشمس. هكذا يستخدمون كلمة فيفو من الفعل فيفازو $\phi\iota\beta\alpha\zeta\omega$ بمعنى أظهر. وأيضاً فيفازيستي $\phi\iota\beta\alpha\zeta\omicron\upsilon\sigma\tau\alpha\iota$ بمعنى أظهر بحسب نواميسهم وعاداتهم اليونانية.

لكن الناموس الإلهي يمنعنا من ممارسة هذه العادات السيئة والكريهة. ليس من الصواب أن يُعتبر موت الأجساد دنس للنفس، ولا نعتقد أن القلوب تتدنس بمجرد رؤيتها مشهد ميت، ولا يليق لأجل هذا الحدث أن نقص الشعر. لأن هذا الأمر عبث وملىء بالفكر الوضعي. إذن بالصواب يقول الناموس الإلهي: "لا تخمشوا أجسادكم". هذا التطهير لن يفيد النفس، لكن بالحرى يؤديها إذ يضلها عن معرفة الطريق المفيد ويبعدها عن ما هو لخيرها. دعونا نفكر بالآتى: توجد لدينا قوانين موضوعة من سادة الأرض (أى القوانين المدنية) تسمح بما يليق وتحرم ما لا يليق فعله. لكن لا أحد يستطيع أن يفلت من العقاب لارتكابه مخالفات، إن لم يسمح إحسان الملك بالعفو عنه ويغفر ذنبه. بنفس الطريقة إذن، من يخالف النواميس الإلهية، لا يمكن أن يصير طاهراً، إن لم ينل هذا الطهر بالإحسان الإلهي. لأنه، إذا خالفنا نواميس النار والماء، إذ الخطية تنطلق (بحسب زعمهم) من هذه المخالفات، فدعونا نغسل الإدانة بالماء ولندع النار تاكل الدنس ومن حق الذين ارتكبوا جرائم أن يُغفر لهم. لكن إذا صدقنا ما قيل إلى الله "إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت"⁵⁶⁷، لأن واحد هو المشرع والديان، عندئذ، فإنه بسبب أنهم رفضوا رب الجزاء والغفران يكونون قد سقطوا في أفكار العاجز ظانين أن في الماء والنار قوة لتخلصهم من الدينونة. فلتبتعد - أيها الإنسان - عن هذا الإنحراف واقترّب فقط إلى الإله الحقيقي

⁵⁶⁵ مت 24:23.

⁵⁶⁶ تث 1:14.

⁵⁶⁷ مز 4:51.

وسوف نسمعه يقول: "أنا أنا هو الماحي ننوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أنكرها"⁵⁶⁸. هذا هو التطهير الحقيقي وهذا هو المجد الروحي. لأننا قد تطهرنا نائلين بالإيمان بالمسيح غفران خطايانا، وتقديسنا بحميم الميلاد الثانى واعتنينا بغنى النعمة الإلهية، نعمة الروح القدس الذي كمثل النار يحو الذنوب الذي كان مثل كومة من القبح فوق أفكارنا. لذلك يقول الكتاب المقدس، أن نعتمد بالروح القدس وماء.

بلادديوس: هل سنصنف ضلالنا بهذه الأمور ضمن إطار عبادة الأوثان؟

كيرلس: بالتأكيد. لأن الأمر مليء بعدم الإيمان. ويمكن أن ينضم ويُحصى مع هذه الأمور، أي الاعتقاد بأن الأمور البشرية تُنظم بواسطة إرادة الآخرين ونحن ليس لدينا سلطة على حياتنا، لكن مبتدعي هذه التعاليم الذين يضعون خرافاتهم هم المتسلطون علينا. إنني لا أعرف كيف يضعون القدر والحظ ويوم الميلاد كدفة تقود حياتنا، ويُعلمون بأن ليس أى أحد منا له الحق أن يربد ويحدد ما الذي ينبغي أن يفعله، لكن يسير كمثل المربوط بقيد ملزم بإرادة المتسلطين. وبعد ذلك ما هو الأكثر سخافة من هذا؟ أي شر أعظم يستطيع أن يفعله الشيطان بالبشر من أن يقتنعهم بأن يتصرفوا ويفكروا هكذا؟ لأنه، كيف يستطيع المرء أن يفكر في الأمور المفيدة ويفعلها بإرادته؟ وطالما هو قد عاش في هذه الأمور السيئة وهو راضٍ عن فعل الأمور التي لا تليق، فكيف يستطيع أن يدين ذاته وهو غارق في الحزن، وكيف يمكنه تغيير رأيه وفعله؟ مثل هؤلاء الذين يريدون أن يجوبوا ويبحروا في البحر، من الضروري أن يذهبوا في اتجاه الريح التي تهب عليهم من مؤخر السفينة، ويتوجهون بثبات نحو الاتجاه الذي يدفعهم الريح ناحيته. هكذا أيضاً من الضروري لهم أن يلتزموا بالأمور التي تقودهم إليها الحظ وإلى رياح المُقدَّر والمكتوب التي لا يمكن لهؤلاء أن يتجنبوه. أم تظن أنني لم أقل الصواب؟

بلادديوس: كيف لا يكون كلامك هذا صواب؟

كيرلس: بناء على اعتقاد هؤلاء فإنه من حماقة أن يُتَوَجَّح الإنسان الصالح بمذائح وأن يُعتبر جديراً بالكرامة، بينما في نفس الوقت يُعتبر الشر والفجر شيء سيئ.

بلادديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: يا بلادديوس، إن الميلاد والحظ - بحسب اعتقاد هؤلاء - يَسُوْدَانِ على الجنس البشرى التعيس في كل الأمور رغماً عن إرادتهم، ولا يوجد شيء يتم بإرادتهم. إذاً ألا يكون الميلاد والحظ هما اللذان يتحكمان في كل الأشياء؟

بلادديوس: بالتأكيد.

كيرلس: تأمل بنفس الطريقة في الأمور البشرية، وسوف تتحقق جيداً إلى أي حد نكون مستعبدين للشر، إن لم ننقم وننسلك بإرادتنا إذ أننا ممسكون ومربوطون تحت نير قوى أخرى في أي اتجاه، تُحرِّكنا كما تشاء في كل الأمور. وهكذا لن يكون لنا أي ثقة في أنفسنا بل سوف نُلْقِي بالمسؤولية على أولئك الذين يُوجِّهوننا وفق رأيهم. وهكذا لن يكون للبار أي ثناء، ولن يكون عقاب للظالم.

بلادديوس: تفكيرك صحيح جداً.

كيرلس: إذا عبثاً يُعجب مُبدعو هذه الأفكار بأثينيوس، سولونا، ودراكونداس، وليكورغوس لأنهم أدخلوا أفكاراً جميلة في اليونان ووضعوا قوانين مدنيّة حسنة. وأي فائدة من هذه الأمور، إن كانت كل الأمور تعتمد على الآخرين وليس علينا نحن؟ ويكون حالنا هو حال الذين يعترفون بالقوانين، الذين لا يستطيعون أن يفعلوا بحرية الأمور التي يختارونها بإرادتهم، وأظن - في هذه الحالة - أن واضعي القوانين المدنية يُعْتَبَرُونَ ظالمين بالرغم من أنهم نالوا منكم مجداً عظيماً بسبب قوانينهم العادلة. لأنهم شرعوا بوجوب معاقبة الكسالى وأن يُفرض عليهم ضربات مؤلمة بسبب عصيانهم، ووضعوا للشباب قوانين وطرق تربوية عظيمة مما يدل على أن الشباب يمكن أن يختاروا الظروف المعيشية الفاضلة بإرادتهم. وقد يقول أحدهم لسولون (الشاعر): كان من الواجب وأنت تُشَرِّع للشباب أن تُقنع إله القدر ليسمح للناس أن يفكروا وأن يفعلوا الأمور التي يريدونها. لكن أنت تُشَرِّع بدون أن تُقنع. وربما أنت (يا سولون) تستهزء بالأسطورة والحظ إذ أنك تعترف

بأنه يمكننا أن نفعل كل الأشياء ونستبعد إله الحظ الظالم والقدر الأعلى من الأمور البشرية. إنك لا تعتقد أن المواطن الصالح هو الإنسان التقى والحافظ للقوانين الذي قد سما إلى قمة الصلاح، وكذلك فإن الخسيس والدنيء هو الذي يبتعد دائماً عن حفظ القوانين باستقامة؟

بلاديسوس: قولك هذا حسن جداً ومقنع جداً.

كيرلس: ماذا إذا، يا عزيزي، ألا نقول إن التعاليم التربوية والوصايا والتحريضات نحو الفضيلة التي يمارسها الآباء نحو أولادهم والمعلمون نحو تلاميذهم، هي بلا جدوى، لو أن الأولاد والتلاميذ سلكوا الطريق إجبارياً وليس بحسب إرادتهم، إذ يحبون بطريقة حياة لا يريدونها.

بلاديسوس: بالتأكيد.

كيرلس: وإذا حدث أن شخصاً تشاجر مع أولاده بسبب أنهم أخطأوا، وقام بتوبيخهم، أسوف تمدحه أنت، أم ستعتبر هذا ظلماً، لأنك تريد أن تتركهم بدون توبيخ على شرورهم؟

بلاديسوس: يبدو لي أن كلامك مقنع.

كيرلس: هذا الاعتقاد (بالقدر والمكتوب والحظ) هو جود عظيم وسوف ترى ذلك، إذ أنه يُزعزع الإيمان بالله، مدبر الكون، إذ يصل المؤمنون به إلى درجة من الوقاحة تجعلهم يجردون الله من قدرته ويسلمون حياتهم لسيادة الحظ عليها، بالرغم من أنهم يرون بوضوح أن كل الخليقة تسير بمسارات منضبطة. أوجد شئ في العالم يسير بدون نظام؟ وأي مخلوق من المخلوقات لا يسير بحسب النظام الموضوع له ولا يعترف بأنه يخضع للقوانين والنظم التي وضعها مدبر الكون، وضابط الكل أي الله؟ لذلك فإن بولس العظيم يقول: "لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عنز لأنهم لما عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلوبهم الغبي وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء"⁵⁶⁹. فكيف لا يكونون حمقى وأغبياء عندما ينصحوا الآخرين بأن يعتقدوا بخلاف الحق. قد يقول لهم أحد ما فائدة أن يعتقدوا بالمعتقدات المخالفة للحق وهي نفسها لا ترضى حتى شعراءكم؟ إذ أن هؤلاء الشعراء يعتبرون أن تنظيم الأمور الواجبة الحدوث هو في سلطاننا وليس في سلطان الآخرين. لذلك فإن هوميروس في أشعاره يقول إن الإله ذياس Δίας يتحدث مع آلهة أخرى عن زنى "إيجيستوس" (Αἰγιστος) وعن الجزاء الذي يستحقه. وبالأسف، كيف يتهم البشر الزائلون الآلهة باتهامات ثقيلة ويقول إن الشرور تأتي من الآلهة، وهكذا فإن أولئك يتألمون بعصيانهم وليس من القدر⁵⁷⁰. فلاي سبب ينسب البعض للآلهة متاعبهم ولا ينسبونهم إلى أخطائهم التي تُسبب لهم النكبات؟ فإذا اختار المرء أن يعيش حياة مستقيمة وتكون حياته مملوءة بالحكمة واللياقة، فإن عليه أن يسلك بثبات متخطياً الصعاب، وذلك بناء على قراره الصحيح والمشورة المستقيمة، ولا يترك نفسه أسيرة للأعمال الشريرة. لأن في مقدورنا أن نرى الاتجاهين، أقصد الخير والشر. والذين يقدرّون الطريق الصحيح سيصلون إلى جمال الفضيلة، أما الذين يحبسون أنفسهم في الشر ويفضلون الظلم، هؤلاء يفسدون الحياة نفسها ويكونون هم سبب هلاك لأنفسهم. وكما قلت، فإنه باستطاعتنا أن نرى الاتجاهين، ونحقق في الحصول على كل ما يعود علينا بالنفع بسبب سقوطنا في اللذات. وقد صاح إفريبيدس Euripides أحد شعرائهم متحدّثاً عن دور امرأة تفعل المعصية على المسرح، ثم بعد ذلك أظهرها تتفلسف وتقول:

يا نساء تريزينا اللواتي تتطلّعن من شرفة بلاد بيلوباس أمام البحر

ذات ليلة تأملتُ بدون سبب

ما الذي يفسد حياة البشر الفانيين

وأعتقد أنه ليس قدرهم الذي جذبهم إلى الأسوأ

⁵⁶⁹ رو 22:20.

⁵⁷⁰ هوميروس، أوديسا 353:1.

لأن كثيرون يستطيعون أن يجدوا الصواب

لكن ينبغي علينا أن نفكر هكذا:

بالتأكيد نحن نعرف الخير

لكن نهرب من فعله

البعض يحبون الرخاوة

وآخرون يفضلون اللذة

والحياة مليئة بالذات الكثيرة والثرثرة والبطالة، شر رهيب⁵⁷¹.

هل أدركت أن القدماء لم يلقوا المسؤولية على الحظ أو تاريخ الميلاد أو القدر، وأن هؤلاء (المعتقدون بالقدر والحظ والمكتوب) يخرجوننا إجباريًا بعيدًا عن المشورة الصحيحة وبعيدًا عن الأمور التي نعرف أنها صحيحة؟ لأنه يقول إن حياة البشر تسوء ليس بسبب طبيعة فكرهم، أي ليس لأنهم بالطبيعة ذوو فكر شرير، لكن لأنهم لا يريدون أن يفعلوا الأمور التي يعرفون أنها صحيحة. وما هو السبب؟ الكسل هو الذي أوقفهم وطرحهم في البطالة، أو أن لذة من اللذات قد استولت عليهم وخذعت عقولهم وأبعدتهم عن طلب الضروريات، عارضة طريق الرخاوة الذي يغري بالراحة. وسوف نستطيع أن نجتمع هذه الأمور وكثير غيرها من كتاباتهم بسهولة جدًا. ولا أظن أن أحدًا لديه شك في أن الكلام الذي قيل هو كافٍ للسامعين؟ لذلك سوف نتجنب الاسترسال في الكلام.

بلاديسوس: حسنًا. لكن فكر كيف سيكون الجواب إذا سألك البعض عن السبب في عدم المساواة، والصعود والهبوط في المكانة بين البشر. فيمكن أن نرى الشرير يترفع ويغتني، بينما الصالح يتعرض مرات كثيرة لأمر عكس ذلك.

كيرلس: يا بلاديسوس، من الصعب جدًا أن نتناول هذا الأمر، لأن فحص هذا الأمر بالتفصيل يتجاوز المقاييس البشرية. لذلك من الضروري أن نتركه لحكم الله، لأن معرفة أسرار المسكونة هي قاصرة على عقل الله فوقاني الخالد، فنحن بالجهد ندرك الأمور التي أمامنا (على الأرض) وبالكاد نعثر على تفسير لها، كما يقول الكتاب⁵⁷². أبرزنا منذ قليل عبث رأي الملحد ليس فقط لأسباب دفاعية، بل أوضحنا حقائق أساسية بأن تاريخ الميلاد لا يملك القدرة على توجيه الذهن البشري، كما أن نير القدر القاسي لا يستطيع أن يثقل عجلتنا ولا نحن نعجز عن الهروب منه، لكن الأساس في اختيار ما يجب فعله هو إرادة كل واحد منا، وفي استطاعتنا أن نختار ما نريد أن نفعله، سواء كان صالحًا أم شريرًا.

والآن أريد أن أتحدث عن طرق الكمال كما هي في الكتب المقدسة، تلك الطرق التي تحذرنا من الإسراف في الأمور الجسدية والأرضية، والتي بها تستطيع النفس أن تنجح في الوصول إلى الحياة الأبدية. وهذه الطرق تحثنا للسعى نحو الفضيلة ونحو المجد اللامع الذي للإيمان والأعمال. فالذين يرغبون في حياة العفة يمكنهم أن أرادوا أن يصيروا صالحين في سلوكهم، وإن لم يرغبوا فيمكنهم أن يصيروا أشرارًا. فالمرء يمكنه أن يختار بحرية ما يريد، والكل يستطيعون أن يختاروا الغنى الروحي وأن ينالوا المجد السماوي بالتساوي. وهناك آخرون يتفوقون في إقتناء الغنى العالمي، إلا أن هذا الأمر لا يخدمنا ويجذبنا إلى أفكار ملحدة، ولا يفصلنا عن المعرفة الحقيقية، لدرجة أن نعتقد أننا مربوطون بنير القدر والحظ. هناك من يعتبرون الغنى المادى ملك خاص لهم وحدهم، بينما في الحقيقة هو ملك مشترك للجميع. فإذا غاب عن الإنسان الهدف الذي أعطى الغنى من أجله، فينبغي عليه أن يرجع لكي يعرف ما هي إرادة خالقنا من جهة إعطاء الغنى. فأرادة الله تدعو الأغنياء أن يبيعوا ما جمعوه ويوزعوه على الفقراء، ولا يرضى الله أن يحيوا بزهو واقتدار. والله ينظر للبشر بمساواة وهذا من السهل أن يدركه من وضع طبيعتنا البشرية. لأن الطبيعة لا تعترف بالفقر والغنى، المخفي والظاهر، الوضع والمجد في هذه الحياة، لكن تتعامل مع الكل على السواء، بدون تمييز، وبنفس الذرات تخلق في كل واحد كماله وشكله وجماله. فهناك حياة واحدة للجميع تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت والرحيل من الحياة، فلا يفلت أحد من شبكتها، فكل مخلوق يحمل نهايته التي لا مفر منها. إذا أخبرني، هل من الصعب أن يتحقق المرء بأن هدف الإرادة الإلهية أن يعيش البشر متساويين فيما بينهم؟ إذا أردت، اسمع ماذا يقول بغم أحد الأنبياء "أليس أب واحد لكننا. أليس إله

⁵⁷¹ إفريبيديس: أبولينوس المتوج: 385373.

Ευριπίδη, Ιππόλυτος Στεφανηφόρος στ.373- 385

⁵⁷² انظر حكمة سليمان 16:9

واحد خلقنا. فلم نغدر الرجل بأخيه" 573.

فلو خالف البعض إرادة الخالق باختيارهم وفعلوا ما يفضلونه، (لأن الخالق قد كرم الطبيعة بالحرية)، فهذا ليس بغريب، إذ أن البعض يخالفون القوانين البشرية. لكن، لن يلوم أولئك الذين يشرعون القوانين، بل بالحرى سيُعنف الذين يخالفونها. البعض عندما يفعلون يقولون: " هكذا أراد الحظ، وهذا من جراء القدر". يا لها من ثثرة؟! لماذا تلقون المسؤولية على القدر ولا تحكموا على طيش عقولكم؟ أما الكتاب المقدس فقد أعلن الحقيقة عن أولئك الذين لا يسلكون بالحق: " غباوة الإنسان تقسد طريقه، وفي داخله يشتكى على الله" 574. بالتالي قد أخطأ - من جهة المعرفة الحقيقية - كل الذين وضعوا الميلاد، والقدر، والحظ كقوى مسيطرة في حياتهم، ولم يسلموا قيادة أمورهم إلى الله، بالرغم من أن المسيح قد قال: "أليس عصفوران يباعان بفلس. وواحد لا يسقط على الأرض بدون أبيكم. وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة" 575. لأن الخالق يعتنى بكل المخلوقات الأرضية، ويسمح لكل واحد أن يفعل ما يريد ويسلك في الطريق الذي يروق له. لكن بسبب أن الجنس البشرى قد سقط وانحرف، أعطى له الناموس عوناً بحسب الكتب المقدسة 576. كل من يقبل الإيمان بالمسيح وقد تخطى ذلك الضلال القديم لا يجب أن ينخدع بالأمثال العجائزية في أمور تختلف عن الاعتقاد المستقيم، لدرجة أنه يعتقد أن الكون، والإنسان يُسيّرهما بالحظ والقدر اللذين لا وجود لهما.

بلاديوس: إنه لخطر عظيم. أن الإنسان يستثير الديان ضده.

كيرلس: لكن ماذا؟ ألا تعتبر أن مراقبة المرء للأيام والفصول والأوقات والسنين ونقصان الدورة القمرية بهدف معرفة نصيبه ومصيره هو أسوأ نوع من أنواع الشرور؟

بلاديوس: نعم أعتبره قمة الشرور. لأن بولس يعتبر هذا الأمر جرماً كبيراً في حديثه إلى الأمم الذين خلصوا عندما يقول: "إذا كنتم لا تعرفون الله استعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهة. وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرى عرفتكم من الله فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة التي تربيون أن تستعبدوا لها من جديد. أتحتفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين. أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم باطلاً" 577.

كيرلس: إذا فلاهتمام بحفظ الساعات والأيام والأوقات (يقصد الاعتقاد بالتفاوت والتشاور من أوقات معينة) لا يليق بالمرء بهؤلاء الذين يعرفون الإله الحقيقي، أو بالحرى بهؤلاء الذين قد عرفوا منه بواسطة الإيمان دعوا ليكونوا خاصته بالنعمة. لأن من يهتم بحفظ هذه الأمور يتخلى عن اقتضائه باسم المسيح ويرجع إلى الأمور العتيقة، ولم يحفظ ذهنه حرّاً، لكنه يسرع للدخول في نير الضلال القديم، معطياً الكرامة التي تخص الله لأركان العالم، ومتوجاً تلك المخلوقات التي خلقها الخالق بأمجاد عظيمة. يقصد بأركان العالم الأوقات والأيام والشهور وتعدادهما التي بها تحصى السنين. لأنه، بالرغم من أن الزمن مستمر ويسير إلى الأمام بلا انقطاع، إلا أن الله أخضعه لمقاييس الفصول والأيام ودورانها بالقياس والعدد. وطالما لا يشير الزمن بالنسبة للبشر بالأوقات والفصول والأيام بشيء آخر بخلاف الحركة الدائرية والتعداد الدقيق، فلماذا ابتدع البعض خرافات يعتبر التفكير إليها هزل وسخرية، إذ يقولون إن دورات زمنية تجلب الخير وأخرى تجلب الشر، ويميزون هذه الدورات بدقة ناسبين إليها قوة تجلب السعادة، وقوة أخرى معاكسة تجلب التعاسة؟ أليست هذه الأمور هي ثثرة وجنون رهيب وخداع شيطاني؟

بلاديوس: أوافق. وهذا واضح جداً.

كيرلس: لأنه كما قلنا إنهم حاولوا أن يقنعونا بأن نُسلم حياتنا إلى آلهة الأقدار وإلى الحظ وإلى الأرواح الغريبة، وهكذا اعتبروا حريتنا أنها بلا جدوى، وأرادوا أن يمنعوننا من الاهتمام بذواتنا. إنهم يقولون إن سريان الأيام والفصول هو نير إجباري فُرض على البشر، وإنه من الصعب جداً على البشر أن يتجنبوه. هذا الكلام غريب جداً (لأنه يتمشى مع

573 ملا:10.

574 أم:19:3.

575 متى:10:31-29.

576 انظر إش:20:8.

577 غلا:4:118.

حكايات العجائز)، والذين يؤمنون بهذه الخرافات يتعرضون لإخفاقات لا تحصى، ولا يتقدمون ناحية خبرة إمكانية كشف الضلال، فهم ينسبون الدناءة إلى الدورات والأيام قائلين نفس الأمر عن نقصان الدورة القمرية واختفاء القمر. فلو أراد شخص في ساعة ما ويوم ما أن يعمل إحصاء عن الذين يفرحون والذين يسقطون في كوارث رهيبة، فلماذا يكون الضرر الناتج من هذه الأمور غير موزع بالتساوى على الكل، إذ نجد أن البعض سعداء وآخرون أشقياء وممثلين بالشرور وصاروا أسطورة وعبرة درامية للجميع؟ لكن الذين يرون الأمور بدقة يستطيعون بسهولة أن يتحققوا من أنه نفس اليوم والساعة قد يُمسك أحدهم في الزنا والقتل ويُحكم عليه بعقاب قاس، وآخر يأخذ مدائح لتعقله وتهذيبه وكماله. هكذا فالיום والساعة لا يستطيعان أن يمنعا الشرير من التعقل، ولا أن يُحرّضا المستقيم والمهذب على فعل سوء والتمتع بالذات الشريرة. الإرادة الحرة هي التي تُهيئ الشخص لفعل هذه الأمور أو تلك. وهكذا فإن أفعالنا ليست نتاج الظواهر الطبيعية، إذ سعادتنا وتعاستنا تعتمدان علينا.

بلادديوس: يبدو هذا الكلام صحيحاً.

كيرلس: الكل يخاف بالأخص من اليوم الخامس والثامن من الشهر ويتعللون بحجج عندما يفعلون الخطية، وينسون أن من يفكرون باستقامة لا يستريحون لهذه الأفكار العجائزية. إذ أن الذين يؤمنون بهذه الأفكار يبتدعون آلهة للانتقام من المجرمين مثل *Ερινύων* "إيرينيون" وشياطين عديدين بعضهم أشرس من الآخرين، وأيضاً ابتدعوا جزاءات ومحاكم، وأشياء متنوعة مثل هذه، ألا يخجل هؤلاء التعساء! هؤلاء عندما يبدأ القمر في الاختفاء تدريجياً (وهذا ما يحدده الفنى المتخصص في علم الفلك) يوقفون أى عمل، ويؤجلون رحلاتهم معتقدين أن الأمور البشرية تضعف وتتخل مع انزواء القمر. هذه سخافات، لأنه بالرغم من أن القمر يتناقص، فإن الإنسان المتعقل والمتزن سوف لا يتوقف إطلاقاً أن يكون متعقلاً وتألق عقله لن يتأثر بالقمر. كما أن طبيعة الأشياء لن تتغير إلى الأسوأ، ولن يكون الإنسان مُسبِراً بواسطة الأجرام السماوية. وأتعجب كيف أنه عندما يبدأ القمر في الاختفاء ويستمر في الاختفاء حتى نهاية الشهر، تزداد فوائد الدائنين وتمتلى خزائن محبى الأموال كثيراً. أنا لا أفهم، كيف يعتقدون أن الأمور تزيد أو تنقص إجبارياً بتأثير النجوم. ألا توافقتي أن هذه الاعتقادات سخيفة ومضحكة؟

بلادديوس: طبعاً هي مضحكة جداً.

كيرلس: إن الرد بكلمات مطوّلة على مثل هذه الآراء الحمقاء هو عبث، لأن هذه الآراء هي بذاتها سخيفة دون أن يقول أحد شيئاً عنها. دعنا الآن ننقل إلى شئ آخر.

بلادديوس: ما هو؟

كيرلس: الشيطان يمقت - على ما أظن - اليوم الخامس والثامن ووصول القمر إلى امتلائه الكامل في اليوم الرابع عشر، هذا اليوم الذي انعقد فيه المجمع اليهودى لمحاكمة يسوع، والشيطان مازال - في الحقيقة - هو مبتدع الشرور، ويخترع لها أسباباً مختلفة. لأن الأحداث التي حدثت في الأيام التي فيها فقد سلطته الطاغية علينا، عندما أشرق وحيد الجنس علينا بمحبته بالجسد، لم يستطيع الشيطان أن يدركها (بسبب عظمة ما حدث فيها).

بلادديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: ألا نحسب، يا بلادديوس أن اليوم الخامس هو الذي جاء فيه مخلصنا إلى العالم؟

بلادديوس: أفهم ما تقوله من المثل الإنجيلي. لأن المسيح يقول، إن الذي استأجر عمالاً في كرمه خرج في الساعة الأولى، وفي الثالثة، وفي السادسة، وفي التاسعة، وفي الحادية عشر (الساعة الخامسة) أى الوقت الأخير الذي فيه ظهر مخلصنا وأشرق علينا.

كيرلس: نتحدث بالصواب. لكن ماذا؟ ألم نقل أنه سُلّم في اليوم الخامس من الأسبوع وتمّ أساس كل التدبير لأجلنا وهو الذي صار إنساناً وتحمل الصليب لأجل خلاصنا؟

بلادديوس: بالتأكيد.

كيرلس: ألم يُبطل الموت ثم قام مرة ثانية سائبًا الجحيم في اليوم الثامن، أى اليوم الأول من الأسبوع؟

بلادئوس: لا شك في ذلك.

كيرلس: حسنًا فإن الناموس القديم حدّد الختان الجسدي في اليوم الثامن الذي هو صورة للختان الروحي والحقيقي. والختان الأهم أى الروحي هو شركة في الروح القدس، والنعمة الأولى (عند الخلق) منحها لنا المسيح مرة أخرى داخلنا بعد أن قام من بين الأموات قائلاً: "اقبلوا الروح القدس"⁵⁷⁸. قال بولس الرسول: "لأنّ فصحنا أيضًا المسيح قد نبّح لأجلنا"⁵⁷⁹. اليوم العاشر من الشهر القمري هو بداية الخلاص وتقديم الذبيحة الذي ننظره بإشتياق. فالناموس أشار مرارًا إلى وقت صلب مخلصنا لأجل حياة العالم فنحن نعلم أن آلامه ابتدأت من "اليوم العاشر". جاء في سفر الخروج: "كلما كل جماعة إسرائيل قاتلين في العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء شاه للبيت. وإن كان البيت صغيرًا عن أن يكون كفوا لشاة يأخذ هو وجاره القريب من بيته بحسب عدد النفوس. كل واحد على حسب أكله تحسبون للشاة. تكون لكم شاة صحيحة ذكرًا ابن سنة تأخذونه من الخرفان أو المواعر"⁵⁸⁰. ها أنت ترى أن القدماء يأخذون الشاة من اليوم العاشر ويحفظونها إلى اليوم الرابع عشر، لكى تفهم فترة خمسة الأيام التي فيها صار إنسانًا وعانى الموت لأجلنا، بينما كالقمر أخذًا في الاختفاء في بداية الليل؟ الأمر هو مثال للسّر. ويبدو أنه يعلن المسيرة التراجعية لسلطة الشيطان الطاغية التي تضمحل أكثر فأكثر. والقمر هو بطريقة رمزية مثال للشيطان. لأن القمر يحكم الليل أى يحكم على هؤلاء الذين في الظلمة وهم يغطون في نوم عميق دون أن يكون لهم نور المعرفة. وقد اعتاد الكتاب المقدس أن يُشبه الذين ضلوا بالليل. اسمع ماذا قال رب الجميع لليهود عندما رجعت أورشليم إلى عبادة الأوثان: "ولكن لا يحاكم أحد ولا يعاتب أحد وشعبك كمن يخاصم كاهنًا. فتتعرّش في النهار ويتعرّش أيضًا النّبي معك في الليل وأنا أضرب أمك. قد هلك شعبى من عدم المعرفة"⁵⁸¹. هل أدركت أن هؤلاء الذين ليس لديهم معرفة الله الحقيقي يُدعون ليلًا؟ هكذا فإن عدو الجميع يكره الأوقات والأيام التي حُكم عليه فيها بالهلاك والتي فيها خلّصنا نحن. ومن يكره الأوقات والأيام معه سيكون من نصيب الشيطان وسيرث معه الجحيم الأبدي.

بلادئوس: إذن سوف نضع هذه الأمور جنبًا لجنب مع عبادة الأوثان الدنسة، ومع الخرافات المدعوة آلهة القدر.

كيرلس: أريدك أن تعرف بالتأكيد أن الأمور ليست مختلفة عما اتضح من فحصنا لها. لذا يجب أن نمقت تمامًا اللجوء إلى معرفة الغيب التي لا فائدة لها، وكذلك أعمال السحر والشعوذة. لأن بعض اليونانيين ينزلون إلى شطحات العقل، حتى أنهم يعتقدون بأن معرفة أمورنا الخاصة توجد في الطيور التي تشق الهواء. لذلك يلاحظون طيرانها نحو الشرق والغرب، ونحو اليمين والشمال. وإن ظهر غراب ينطق ينصتون جيدًا بأذنانهم ويعتبرون صراخ الغراب كأنه شئ من الحقائق المنقطعة النظير فيتفاءلون ويرجعون فرحين. ولا يخلون هؤلاء التعساء أبدًا إذ ينسبون قوة التنبؤ إلى الطيور. ويزعمون أن الآلهة تنقل لنا رسائل بواسطة الطيور. أمّا نحن فلا نقول إن الملائكة الذين تمردوا أو سقطوا هم آلهة، وهذا هو تعليم الأنبياء الأبرار. يقول اليونانيون إن الغراب الثرثار والصقر السريع والحمائم الشقراء وطيور أخرى تعرف الأمور المستقبلية وأنهم بمثابة أنبياء بالنسبة لأولئك السذج الذين يلهمونهم وصدقونهم. أيها اليونانيون، هل أنتم سعداء ومحظوظون بأن لديكم مثل هؤلاء المعلمين!! قد نسيتكم، كما يبدو، ما يقوله شعرائكم، فهؤلاء كان لديهم رأى مختلف ويهزون بهذه الأمور ويعتقدون أنها خرافة ولا فائدة بتاتًا. فهو مبروس يقول:

أيها الغبي اترك الطيور

سواء ذهبت يمينًا نحو الشرق والشمس

أو شمالًا نحو الظلمة الكثيفة⁵⁸².

كما أن إفريبيديس Εὐριπίδης⁵⁸³ حدّد بوضوح كم هو عبث أن يراقب المرء طيران الطيور. لأنه يقول إن تيسياس

⁵⁷⁸ يو 22:20

⁵⁷⁹ 1كو 7:5

⁵⁸⁰ خر 12:53

⁵⁸¹ هو 4:64

⁵⁸² هوميروس "الإلياذة" 322:12

Θησέας استولى عليه الجنون ضد أبوليتوس ابنه وحسنًا شرع أن يطرده من وطنه. وعندما يقول (أبوليتوس) له:

ولا قسم ولا دليل ولا فحصت كلام العرافين

ولكنك تطردني من البلاد بتهور

يجيب عليه ثيسياس:

إن كلام التنجيم ليس هو المخرج

إنه يدينك بالحق،

أنا أرسل تحياتي

للطيور التي تحلق فوق رؤسنا!!

إن صوت الحق في هذا الكلام هو جدير بالتصديق، بالرغم من أنه ليس مناسبًا لنا أن نقتفى من هؤلاء الشعراء إذ أن الإيمان بالله هو أسمى. فانه لا يُخطئ ويحب الحق كثيرًا جدًا. لقد عرف ثيسياس بطريقة ما، أن الطيور التي كانت تحلق فوق رأسه ليس لها أى قيمة مطلقًا. فعليًا أن لا ننسب معرفة الأمور المستقبلية إلى الشياطين، لكن دعونا ننسبها بالحرى إلى الله الذي له وحده معرفة كل الأمور المستقبلية قبل أن تحدث. أما القول بأن الطيور تعرف الأمور المستقبلية فهذا ضلال مبین، والإيمان بهذا الرأي هو دليل على ظلام الذهن. يقول الناموس: " لا تجعلوا أنفسكم أنبياء بواسطة الطيور"⁵⁸⁴، إذ أن هذا الأمر ممقوت وأن الله ضابط الكل يمقته بالحرى.

بلاديسوس: إنى أرى نفس الرأي.

كيرلس: وأيضًا إن الأمور الخفية والمجهولة تجعل العجائز يميلون إلى الافتتان بالسكر. لذلك نجد أن موسى العظيم مفسر النواميس السماوية، يذكر انحرافات السحر والشعوذة ويحذر منها. إذ يقول: " لا يوجد فيك من يُجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جأنا أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأراجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك"⁵⁸⁵. في السحرة شئ مقزز جدًا وخطأ كبير جدًا، ولا أعرف لماذا يُعجب به البعض، بزعم أن الذين يشتغلون بهذه الأمور يقولون هذه التعاويذ للمرضى بغرض استدعاء رب "الصباؤوت" (أى رب القوات). هكذا يحاولون أن يبرهنوا على أن هذا العمل ليس سيئًا. لكن يبدو أن اعتقادًا كاذبًا قد ورطهم وضلّهم. هذا هو الجانب الذي لا يطاق لهذا الأمر. نحن ندعو الله "رب الصاباؤوت" عندما نريد أن نمجده، وغير مسموح أن ندعو أى كائن آخر بهذا اللقب، قرب القوات هو واحد فقط. لكن هؤلاء يستعملون اللقب المجدد والفائق للطبيعة عن الشياطين التي يتعاملون معها وهى التي تعمل في أسحارهم. وهؤلاء السحرة يتملقون الشياطين ويمنحونهم فرصة للسيطرة عليهم مقابل القوة التي ينالونها من الشياطين. ولأن حشد الشياطين هم معادون جدًا لله، لذلك لا ينبغي أن ننخدع بتلك الأفكار المنحرفة، بل علينا أن نهرب تمامًا منها، ولا نعطى أى اهتمام للأطباء الأشرار أو السحرة، وللشياطين الذين يطلبون - كمكافأة لهم لأجل صنيعهم معنا - أن نجذف على الله. وعندما يتألم جسدك فإنك إذا أمنت بالحقيقة أن الله هو "رب الصاباؤوت" وأمنت أيضًا بالألقاب الأخرى التي يعطيها الكتاب المقدس للإله الحقيقي، وصليت ومجده ولم تنسب المجد إلى الأرواح النجسة، عندئذ سوف يتلاشى الألم الذي يعذبك، وهذا أفضل من اللجوء إلى أولئك الأشرار. وتذكر أن الكتاب يقول: "أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصّلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه. وإن كان قد فعل خطية تُغفر له"⁵⁸⁶.

بلاديسوس: إذاً ليتنا نعتبر قراءة الفأل والتعزيم من ضمن الأخطاء التي يدينها الناموس ويعتبرها الله من الأمور القبيحة والذنسنة.

⁵⁸³ إفريديس، إبوليتوس 1055.1059.

⁵⁸⁴ لا 26-19س

⁵⁸⁵ تث 12-18

⁵⁸⁶ يع 5-14

كيرلس: حسناً جداً، وسوف أضيف بأن هناك أساليب كثيرة يتطاول بها الإنسان على الله. فالمرء الذي يقسم بالله هو مذنب ويستحق العقاب، لأنه يحلف كذباً ويجدف ويقول شيئاً لا يليق بالمجد الفائق والأسمى. فهو يُعاقب بغضب شديد وصارم. حيث المنجل - كما هو مكتوب - يحطم بيت من حلف كذباً ويزعزع أساساته، لأنه مكتوب: "فتدخل بيت السارق وبيت الحالف باسمي زوراً وتبيت في وسط بيته وتقفيه مع خشبه وحجارته"⁵⁸⁷. وهكذا يُحكم عليه بالموت الذي لا مفر منه.

إذن لا يجب أن نحلف زوراً، أو الأفضل أن لا نحلف البتة. لأن هذا ما علمنا به المخلص قائلًا: "ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير"⁵⁸⁸. ليس هناك أية ضرورة للقسم بالنسبة للأتقياء الذين جعلوا الفضيلة نهجهم. لأن المحبين للتقوى يحترمون حياة الناس جداً ويعرفون مدى كراهيتهم للكذب، وإذا أعرب أحدهم عن فكره، فالذين يسمعونهم يصدقونه في الحال.

إذن ليت حياتنا تكون مقدسة وعندئذ لن نحتاج للقسم. وإذا حدث أن اضطر البعض أن يقسموا، فليكن ضامن القسم هو الله ولا يُستخدم اسم آخر للقسم. لأن البعض يخطئون بحماقة وفجور حين يقسموا بأشياء مختلفة: "بحق السماء"، "بحق أدراسيتيا" ⁵⁸⁹ Αδράστεια (إله تراكييا وفريجيا) "بحق النور"، "بحق السراج". هؤلاء يعتقدون في أنفسهم أنهم أتقياء، إذ يتجنبون استخدام الاسم الإلهي، ولكنهم - في الحقيقة - يسيئون إليه، عندما ينسبون المجد الذي يليق بالله للمخلوقات التي دُعيت للوجود بأمر منه. والإسرائيليون قد مرضوا لفترة ما بهذا الضلال. فهم عندما بنوا لله هيكلًا في أورشليم افتخروا بهذا الحدث وظنوا أنهم يملكون صورة التقوى والمجد، لكنهم لم يهتموا كما يجب بما نالوا من وعود بواسطة موسى الحكيم ولم يكونوا مبالين بها. وهم فعلوا هذا رغم أن البناء لم يكن لمجدهم، إذ أن الله لا يُسر بالمباني الحجرية، علمنا قائلًا: "السموات كرسبي والأرض موطئ قدمي. أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي"⁵⁹⁰. الله يملأ كل شيء، وموضع راحته في السماء لكنه يأتي ويحضر إلى الأرض، فإنه لا يُقاس بالأبعاد المادية، وهو فائق جدًا فوق العقل، هكذا نعتقد أنه أسمى من المكان والقياس.

ولأن اليهود سمعوه مرة يقول "السموات كرسبي والأرض موطئ قدمي" فإنهم انصرفوا إلى مفاهيم ساقطة، مقسمين بالسماء وسموها عرش إلهي، ومقسمين بالأرض، لأنها كانت تحت أرجل الله. ومقسمين بأورشليم على أنها مدينة الله التي فوق الكل. وأيضًا يستخدمون في قسمهم "بحياة رب" القديسين القدماء. لكن المخلص أظهر مدى زيف فكر اليهود الأحق قائلًا "لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسس الله. ولا بالأرض لأنها موطئ قدمي. ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم"⁵⁹¹. أي أن ما قالوه هم خطأ، تحدث عنه المخلص موضعًا زيف تقواهم من كل الوجه. فلنهرب إذا من الضلال. لأننا تعلمنا في استخدام القسم أن لا ندعو أي اسم آخر بتأتا بل بالحرى نستخدم كلمات صادقة وجديرة بالتصديق: نعم نعم لا لا. قال الناموس: "إذا أعطى إنسان صاحبه حمارًا أو ثورًا أو شاة أو بهيمة ما للحفظ فمات أو انكسر أو نهب وليس ناظر فيمين الرب تكون بينهما هل يمد يده إلى ملك صاحبه. فيقبل صاحبه. فلا يُعوض"⁵⁹². والناس يقسمون بالأعظم كما يقول بولس الحكيم⁵⁹³. والأعظم من الإنسان ليس هو الذي يمتاز عنه من ناحية الحجم أو الفهم والحكمة والمجد، لكن من هو أعظم من كيانه نفسه.

بلاديسوس: لا أفهم هذا الذي تقوله.

كيرلس: الأمر واضح يا بلاديسوس، أعتقد أن كلامي واضح. ربما لا نقول إن مخلوقات كثيرة تختلف فيما بينها من ناحية الحجم عن الأجسام البشرية؟

بلاديسوس: نعم تختلف كثيرًا.

⁵⁸⁷ زك 5: 4.

⁵⁸⁸ مت 5: 37.

⁵⁸⁹ هو إله تراكييا وفريجيا.

⁵⁹⁰ إش 66: 1.

⁵⁹¹ مت 5: 34-35.

⁵⁹² خر 22: 10-11.

⁵⁹³ انظر عب 16: 6.

كيرلس: لكن من ناحية الفهم والحكمة والرقعة أليست الملائكة أعظم؟

بلادديوس: إنها الأعظم بالتأكيد في الكرامة.

كيرلس: بالنسبة للمعان والتألق، وأقصد اللعان والتألق المادى أليست طبيعة الشمس أسمى بلا مقارنة؟

بلادديوس: نعم.

كيرلس: إذا فبسبب أن كل واحد من هذه المخلوقات له ميزة يتفوق بها علينا، فهل نقسم بأسماء هذه المخلوقات ونترك اسم الله؟

بلادديوس: حاشا.

كيرلس: إذا فهذا الذي هو أسمى من الكل ويفوق كل الكائنات، أى الله، هو الذي نقول عنه إنه الأعظم من الإنسان.

بلادديوس: نتكلم بالصواب.

كيرلس: إذا ليت الذين يُفضّلون حياة التقوى يقولون نعم ولا، وليكن هذا القول مساوياً للقسم. وليت الذين يقولون هذا القول يقولونه بصدق حتى يصدقهم الآخرون. وإذا احتقر أحد كلمة نعم ولا، عندئذ يكون الاحتكام إلى هذا الذي هو أعظم منا أو بالحرى أعظم من كل الخليقة. بالنسبة للتجديف ماذا أقول وإلى أي شر يقود الذين يستخدمونه؟ فالناموس القديم عاقب بالموت من يهدف على الله؟ والمسيح نفسه قد أدان من يرتكب هذه الخطية بعقاب لا مفر منه ولا نهاية له. لأنه يقول "وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ يُغْفَرْ لَهُ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ لَا فِي هَذَا الْعَالَمِ وَلَا فِي الْآتِي"⁵⁹⁴. والروح هنا يقصد به الله، لذا من يتجرأ أن يتكلم ضده بدون لجام، سوف يحصد ثمار فمه المفتوح. لأنه كما هو مكتوب "شَقْنَا الْجَاهِلَ تَدْخُلَانِ فِي الْخُصُومَةِ وَفَمِهِ يَدْعُو بِضُرْبَاتٍ، فَمِ الْجَاهِلِ مَهْلِكَةٌ لَهُ وَشَقَاتُهُ شَرٌّ لِنَفْسِهِ"⁵⁹⁵. لذلك قال صاحب المزمور: "اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِسًا لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفْتَيَّ. لَا تُثْمِلْ قَلْبِي إِلَى أَمْرِ رَدَى"⁵⁹⁶. فالأقوال الشريرة هي تمرّد قبيح ضد الله الأبدى.

بلادديوس: إذا فالذين يهتمون بالسير في الطريق المستقيم ولا يطبقوا أن يقاوموا إرادة الله يجب أن يكونوا مؤسسين جيّداً.

كيرلس: هذا ما أقوله. يقول النبی لهؤلاء الذين يقتربون من الله بقلب متردد فاسد يعانى من الجُبْن ويتزعزع بسهولة: "حتى متى تعرجون بين الفرقتين. إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه"⁵⁹⁷. لأن المرء عندما لا يكون صحيحاً تماماً في الإيمان وفي نفس الوقت لا يريد أن يبقى في الضلال، هذا يعنى أنه يعرج برجليه الاثنين. إن الدافع لهذا الرأى الفاسد والهش، على ما أظن، يمكن أن يكون نتيجة للسلوك المزيف الحالى من المحبة الحقيقية نحو الله. ونتيجة للتعلق بالنسبة للذين يريدون أن يحيوا مسيحياً وفي نفس الوقت لا يفعلون هذا من كل القلب. واختيارهم للحياة المسيحية ليس لأنهم يحبون الحق ويريدون الاستقامة، بل لأنهم يريدون أن يأتوا إلى الإيمان طمعاً في السعادة أو خوفاً من خطر معين، فإنهم يكونون أرضاً خصبةً لحملة الشرير الشرسة، ويوقعون كثيرين معهم في هموم الحياة المعيشية. هؤلاء الناس سيكون نصيبهم بين الوضيعين والمحترقون والمنبوذين، وكل ما يحصلون عليه هو أنهم مازالوا على قيد الحياة وإن كانوا بلا كرامة.

مثل هؤلاء الناس كان الجعونيون، إذ مضوا مرة إلى يشوع بن نون وتوسلوا إليه أن يُقبلوا بين شعب الله. لكن انضمامهم لم يتم بدون خداع ولم يكن ببساطة ومحبة صريحة نحو الله، لكن كان انضماماً مخادعاً ومظهرياً. وفي البداية لم يُدرَك هذا الأمر. لكن عندما أمسكوا وهم يفعلون أعمالاً عدوانية ضد شعب الله، وظهر خبثهم وسوء نيتهم فإنهم وُضعوا

⁵⁹⁴ مت 32:12.

⁵⁹⁵ أم 76:18.

⁵⁹⁶ مز 141:43.

⁵⁹⁷ 1مل 21:18.

في المرتبة الأخيرة، فصاروا خطّابين وسفاة لكل العبرانيين.

هل رأيت سقوط غير الأصيل الذي لا يُقدّر المحبة الروحية نحو القديسين بقلب سليم. إنهم يخدعون أحياناً بعض الناس، ولكن لا يخدعون المسيح طبعاً فهو يعرف كل شيء، لكن قد يخدعون الذين يتبعونه، أى رعاة الشعوب، مثل أولئك الذين خدعوا يشوع الذي كان صورةً ورمزاً للمسيح، وأتوا بمكر وبأفكار خفية وبخبث وتملق. لكن عندما كُشفوا وُضعوا في المكانة الأخيرة التي تليق بالعييد. إذاً، فنحن الذين نهذف إلى السلوك الصحيح في كل ما يتعلق بالله، نضع الأمور الأخرى خارج اهتمامنا، ساجدين لربنا إله الكل بقلب بسيط وأفكار مستقيمة، وبمحبة كاملة هذه التي تلغى مرض انقسام النفس، وتبعد تماماً عن الأخلاقيات والسلوكيات الوثنية، ونسير سريعاً جداً مبتعدين عن ما يدينه الناموس. وهكذا نكون بلا لوم أمام ربنا وإلهنا ونتمتع مع القديسين الآخرين بإيمانهم بالمسيح واختبارهم له، هذا الذي له مع الأب والروح القدس المجد إلى أبد الأبد آمين.

السجود والعبادة بالروح والحق

المقالة السابعة

في المحبة الواجبة نحو الاخوة

كيرلس: إن الناموس يا بلاديوس، يمتدح كثيراً جداً الوصية الأولى والفائقة من بين الوصايا والتي تقول: " تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك" ⁵⁹⁸، ويضيف: " تحب قريبك كنفسك" ⁵⁹⁹ والمسيح نفسه كان يقول، إن كل ما جاء في الناموس والأنبياء يستند على هاتين الوصيتين. كما أن بولس العظيم يدعو المحبة تكميل الناموس ⁶⁰⁰، لأن من المؤكد إن هذه المحبة لا تسبب أى شر لقريبنا.

وأظن أنى قد استقضت بما فيه الكفاية فى شرح معنى الوصية الأولى من كل الجوانب. واستعرضت بشكلٍ وافٍ: كيف أننا نستطيع أن نعبر عن محبتنا الكاملة والتي بلا لوم تجاه الله.

إذن، هيا بنا ننشغل بالوصية الثانية التي تتعلق بالأخ والقريب، ولتتنا نفحص بالتفصيل عن المحبة نحو القريب، منقبين بتدقيق عن الأعمال التي بها يستطيع المرء أن يصل إلى الفضيلة، وعندما يكتسب الإنسان المجد المرتبط بقبول الألم، فإنه يتقدم فى علاقة صالحة مع الله والناس، وذلك طبقاً لما قيل عن صموئيل "وأما الصبي صموئيل فتزايد نمواً وصلاً لدى الرب والناس" ⁶⁰¹، فإنى اعتقد أنه بجانب محبتنا لله ينبغى أن نتصرف أيضاً بالمحبة تجاه إخواننا، وذلك لأن التقصير فى أى من فعلى المحبة يؤثر بالسلب على الفعل الآخر.

وكما يقول يوحنا: "إن قال أحد إننى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذى يبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره. ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً" ⁶⁰².

إذن ينقص الواحد مع الآخر، كما ينضج وينمو الواحد مع الآخر. لأن أبواب الفضائل هى أبواب مزدوجة ذات ضلفتين غير منفصلتين تقود إلى الجمال الباهر والكامل للفضيلة، تقود إلى الله ضابط الكل.

بلاديوس: بالصواب تتكلم، وطالما أن هدفنا هو أن نجتهد من أجل بحث هذا الأمر، هيا إذن نستخرج براهين من

⁵⁹⁸ تث: 6: 5، مت: 22: 37

⁵⁹⁹ مت: 22: 39

⁶⁰⁰ رو: 13: 8

⁶⁰¹ 1صم: 2: 26

⁶⁰² 1يو: 4: 21

الكتاب المقدس لكل جوانب البحث، راجياً أن تُعرّفنى كيف يمكن تحقيق المحبة الكاملة نحو القريب.

كيرلس: هذا البحث يفتح أمامنا طريقاً واسعاً، لأنه مكتوب "أما وصيتك فواسعه جداً". ومنهجنا هو الاقتراب من كل جزء من البحث بواسطة الناموس نفسه. لأن النبي يقول إن الناموس قد أعطى لنا لكي يساعدنا⁶⁰³. والمشرّع يحفظنا دائماً عندما يذكّرنا باستمرار بالوصية قائلاً: "لكي تتقي الرب إلهك وتحفظ جميع فرائضه ووصاياه التي أنا أوصيك بها أنت وابنك وابن ابنك كل أيام حياتك ولكي تطول أيامك فاسمع يا إسرائيل واحترز لتعمل لكي يكون لك خير وتكثر جداً كما كلمك الرب إله آبائك في أرض تفيض لبناً وعسلاً.

اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك⁶⁰⁴.

وماذا يعنى "اربطها علامة على يدك"؟ هذا ما عبّر عنه في سفر العدد، لأنه مكتوب: "وكلم الرب موسى قائلاً كلم بنى إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهداباً في أذيال ثيابهم في أجيالهم ويجعلوا على هذب الذيل عصابة من أسمانجونى. فتكون لكم هدباً فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التي أنتم فاسقون وراءها لكي تذكروا وتعملوا كل وصاياي وتكونوا مقدسين لإلهكم. أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ليكون لكم إلهاً. أنا الرب إلهكم⁶⁰⁵.

وبهذا فهو يعطينا مقدماً وبطريقة واضحة بأن نكتب الوصية داخل قلوبنا. و إذ هو يعرف أن النسيان هو مرض خطير يصيب العقل فهو يأمر بأن تُكتب الوصايا - كأنها في قوائم - ويلقونها في أيديهم اليمنى كأنها منشور يحمل الناموس، وأيضاً ليس بدون فائدة يقول أن تُعلق في أذيال الثياب أهداباً وعصابة من الإسمانجونى.

بلاويوس: وكيف تشير هذه الأهداب والعصابة الأسمانجونى إلى النواميس الإلهية ؟

كيرلس: ألا تعتقد أن ناموس العهد القديم فيه رموز وظلال ؟

بلاويوس: بالفعل أعتقد هذا .

كيرلس : إن ما ترمز إليه هذه الأهداب في أذيال الملابس وهذا الرباط الأزرق على اليد، هو أنه يجب علينا أن نحفظ ونفهم وننفذ وصايا السماء وأن نتذكر باستمرار الناموس الذى أعطى لنا من السماء. ولون الحجر الهندى يشبه على ما أعتقد المادة الإثيرية (السحابة)، والتي يختلط فيها النور بالظلام، ويبدو في عمقها شئ مائى.

لقد أمر الناموس أن توضع هذه الأهداب والرباط الأزرق على اليد بتدقيق وعناية، وكأنه يريد أن يقول وبطريقة ما إن الكلام السمائى يجب أن يكون رداءً للفكر وللعقل، كما يجب أن تُكافأ عن كل أعمال صالحة بحسب الناموس. فاليد ترمز إلى العمل وكل ما نفعل نحن وفقاً للناموس لا نؤبّخ عليه ولا يجلب علينا الشر البشع .

لقد كان الفريسيون يعرضون عصائبهم على أيديهم اليمنى ويكبّرون أهداب ثيابهم، لكن المسيح استهزأ بهم قائلاً إن كل أعمالهم يعملونها لكي ينظرهم الناس⁶⁰⁶، وليس لكي يتذكروا الناموس. إذن من لا يتبع الناموس بطريقة صحيحة يمكن أن يخطئ. وأعتقد أن هذا ما قصده سليمان بقوله "قد يكون بار يبيد فى برّه"⁶⁰⁷، فلنكتب إذن الوصية الإلهية فى الذهن وفى القلب. ولقد عبّر داود النبي بدقة عن فائدة هذا الأمر بالنسبة للبار

⁶⁰³ إش 8 : 16

⁶⁰⁴ انظر تث 6: 93.

⁶⁰⁵ عدد 15: 41.

⁶⁰⁶ انظر مت 23: 5.

⁶⁰⁷ جامعة 7: 15

عندما قال "فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق شريعة الله في قلبه لا تتقلقل خطواته"⁶⁰⁸. فالأمر واضح إذن أنه عندما توجد الوصية الإلهية داخل النفس، فإنها تكون سنداً للإنسان وثباتاً في فعل الفضيلة.

بلاديسوس: هذا صحيح.

كيرلس: إن الدراسة والتعمق بلا توقف في فهم الوصية يقود إلى الاستقامة، وهذا يُسرّ به الله، كما أنه يطرد النسيان بعيداً عن ذهن الإنسان مثلما تبتعد السحابة أو الضباب. غير أن واضع الناموس لا يكتفى بهذا. بل يقصد فوق هذا شيئاً آخر أفضل كالحافز الذي يجلب الرجاء في كل ما نتطلع إليه. لأنه يقول أيضاً: "إذا سلكنتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعلمتم بها. أعطى مطركم في صيفه وتُعطي الأرض غلتها وتُعطي أشجار الحقل أثمارها. ويلحق دراسكم بالقطاف ويلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع وتسكنون في أرضكم آمنين"⁶⁰⁹.

أرأيت مقدار العناية التي يغدقها على من يعمل ويحترم الناموس؟ أمطار في حينها وأثمار متعاقبة للأرض، وبالتأكيد غلال وشبع واستخدام وفير للأغذية، وفوق كل هذا وعد بأن يمنحهم السلام. فالذي يحفظ الوصايا بفهم والذي لديه ولع شديد ومستمر تجاه كل ما يريده الرب، من الطبيعي أن يغدق عليه بالخيرات السماوية الوفيرة. لأنه مثلما تروى الأمطار الأرض الجيدة والخصبة، هكذا نفس الإنسان تروىها التعزيات السماوية كمطر سمانى يغمرها بالفرح والابتهاج، إذ هي تقدم باستمرار كل أنواع ثمر التقوى لله، ثم يأتي السلام كتاج فوق كل هذا، وهكذا فإن المطر السمانى يقدّم لنفس البار إمكانية البقاء في حياة الغبطة. وبولس يقول: "وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وعقولكم"⁶¹⁰.

ومن ينال مثل هذا الجود والكرم من الله، سوف يقضى حياة سلامية بغير حروب، وسوف يتقهقر العدو، ومن يقف في وجهه سيسقط ويختفى، وكل هجوم شيطاني سيتلاشى، وسوف يبتعد عنه أى خوف بسهولة. نفس هذا الناموس نجده مكتوباً في سفر التثنية مع قليل من التغيير: "فاذا سمعتم لوصاياي التى أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم. أعطى مطر أرضكم في حينه المبكر والمتأخر. فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك. وأعطى لبهانمك عشباً في حقك فتأكل زبناً وتشبع"⁶¹¹.

إذن فإن تعاليم ووصايا الناموس ستسكن داخل نفوسنا وكذلك الطريقة التي نسلك بها والسعى المفرح لى نشبع اشتياقاتنا ونتم كل ما يرضى الله. والرغبة في حياة القداسة التي وعدنا الله بها تحتنا أن نبذل العرق في سبيل الوصول إلى الفضيلة.

بلاديسوس: بالفعل، وسأوافق بالطبع مع كل ما سبق قوله. غير أنه قد حان الوقت يا صديقى لى أوضح لى كيف يمكن تحقيق وصية المحبة تجاه القريب.

كيرلس: إذن لبيتنا نمضى في حديثنا هذا. وفيما نحن نتبع الكتاب المقدس نقول إن السيد الرب إله الكل قد أمر موسى أن يدعو الشعب لى يتطهروا ويجمعوا أسفل جبل سيناء. لأنهم كان يجب عليهم أن يغسلوا ثيابهم كما أمرهم بأن يبتعدوا عن النساء لمدة ثلاثة أيام وفي هذا يستخدم الأشياء المرئية والمحسوسة للتعبير عن الأمور الذهنية.

وهكذا يجب علينا أن نصل إلى معاينة الله ونحن متحلين بالفضائل كأننا نلبس ملابس لامعة، وذهننا مستضى بالفرح ومتخلين عن كل محبة للأمور الجسدية والنجاسات الأرضية، وفي هذا كله تكون الوصايا هي مرشدنا ومهذبنا، كما كان موسى مرشداً ومهذباً للشعب قديماً. لأن تهذيب الشعب الذى تم بواسطة موسى كلى الحكمة كان رمزاً للتهذيب بالوصايا عن طريق المسيح. وجدير أن نلاحظ أمراً آخر وهو أن العمل الذى قام به موسى – كمهذب للشعب – لم يتجاوز حدوده. إذ أن موسى لم يقد الشعب إلى ذاته شخصياً بل إلى الله كالمشرّع والأمر بالترتيبات التعبدية. وهكذا بالنسبة لنا، فالناموس كان مهذبنا بالوصايا ومرشدنا إلى الله الكلمة الذى لأجلنا نزل من السماء. والآن ألا ترى أن حديثنا يتعمق في فهم معاني الحقيقة؟

⁶⁰⁸ مز 37: 31.

⁶⁰⁹ لا 26: 53.

⁶¹⁰ فيلبي 4: 7.

⁶¹¹ 11: 13-15.

بلاديوس: بالتأكيد

كيرلس: حسناً، مكتوب: "وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله. فوقفوا في أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً. فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت" ⁶¹².

إن نزول الرب على الجبل يمكن أن يكون علامة واضحة على أن الله لا يحل في الأذهان الوضيعة ولا يسكن في أولئك الذين يتصرفون بدناءة، بل في أولئك الذين يرتفع ذهنهم إلى السماء، كالذي يجلس على القمة وينظر إلى الأمور الجسدية باعتبارها أمور سفلية واضعاً في اعتباره فقط إنه قريب من الله. ويمكننا أن نفهم بطريقة أخرى معنى نزول الله على قمة الجبل، بمعنى أن معرفة الله هي أمر يفوق عقولنا، وهي متاحة فقط للبعض ممن يريدون أن يحلقوا عالياً، كما هو مكتوب "صغار العقاب تطير عالياً" ⁶¹³.

لاحظ بجانب هذا أن الله نزل محدداً للأقدمين الناموس القديم، ولكن ليس في الموضع الذي كان الشعب فيه واقفاً، بل عالياً وبعيداً. لقد كان بعيداً جداً - حسب كلمات المزمور - لأنه لم يكن بعد قد وُجد بيننا بالجسد ولم يكن الابن الوحيد قد أخلى ذاته، فلقد كان يحفظ هذا السر (سر التجسد) لنا وليس للقدماء. فلقد وُجد بيننا بمجدٍ بمقدار ما تستطيع عيوننا أن نتنظر، فلقد أخلى ذاته (من مجد الألوهية) وحل بيننا كواحد منا، هكذا نزل الله على الجبل بنار.

لذا كان يجب على الذين كانوا مستعدين للتهذيب بواسطة الناموس أن يفهموا بكل وضوح أنهم لو فضلوا التكاسل لكانت كلمات الرب لهم كمثل النار. لقد كان الأقدمون يفعلون ما يرضى الله ليس بدافع المحبة الطوعية والاختيار العقلي الحر، لكن عن اضطراب وخوف. لأنهم لم يكونوا قد نالوا بعد روح الحرية والتبني بل كان فيهم روح العبودية للخوف. تَغَطَّى الجبل بالدخان لأن الله نزل عليه بشكل نار. لقد كان هذا الأمر على ما أعتقد هو ما أشار إليه المزمور: "جعل الظلمة ستره حوله" ⁶¹⁴.

ويمكن أيضاً أن يشير الدخان إلى الدموع - لأن دخول الدخان إلى الأعين يجعلها تدمع - التي تأتي بالضرورة من الشعور بالازدراء. ولو أراد أحد أن يتعمق في تفسير هذه الأمور، فإنه يمكن اعتبار النار تشير إلى الاستفاضة التي تتم عن طريق الناموس لكن يصاحبها ضباب. لأن الناموس قاتم اللون وحروفه لها ظلال كثيفة غير واضحة، قادرة على تشويش الرؤية أمام أعين الذهن.

لكن أصوات الأبواق تتعالى دائماً.

ففي البداية كان صوت الناموس يُسمع بصعوبة. غير أنه عندما أتى إلينا "الكلمة" ليهذبنّا بالإنجيل بعدما نشر عمانوئيل ضيائه وبعدها صارت هذه الأصوات أكثر قوة - لأن المسيح جعل كلمة الإنجيل متألقة ومسموعة من بعيد فأصبحت الآن منتشرة في كل المسكونة فإننا نستطيع أن نسمعه هو بنفسه يقول لنا بقم داود: "اسمعوا هذا يا جميع الشعوب اصغوا يا جميع سكان الأرض" ⁶¹⁵.

وعلى الرغم من أن صوت الناموس لم يكن يُسمع آنذاك في كل مكان ولم تكن جميع الأمم تهتدي إذ أنه كان يُسمع في اليهودية فقط وتهذب به الشعب اليهودي فقط لكن موسى كان "يتكلم"، و"الله يجيب بصوت" ⁶¹⁶.

كان موسى يطلب الناموس كخادم وشارح للوصايا الإلهية. والله كان يجيبه بصوته، أي بالابن. لأن الابن هو كلمة الآب، ومنه يأتي الناموس، حتى لو قيل بواسطة ملائكة. ويستطيع المرء أن يسمعه بوضوح عندما يقول: "إني أنا هو المتكلم. هأنذا" ⁶¹⁷ وأيضاً: "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس والأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإنني الحق أقول لكم

⁶¹² خر 19: 17 - 19.

⁶¹³ أيوب 5: 11س.

⁶¹⁴ مز 18: 11

⁶¹⁵ مز 49: 1.

⁶¹⁶ خر 19: 19.

⁶¹⁷ إش 52: 6

إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل⁶¹⁸.

لقد دعا كلماته ناموساً لأن صوت الله أى الابن نطق بها كما قلت من قبل. وبعد ذلك يقول: "ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل. فصعد موسى. فقال الرب لموسى انحدر حذر الشعب لنلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون ولتقدس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لنلا يبطش بهم الرب"⁶¹⁹.

لقد نزل الله، الذى هو فوق الكل، على الجبل وبعد ذلك دعا موسى وصعد إلى الجبل. لأنه ليس من الممكن أن تصعد إلى سمو الرؤية الإلهية الحقيقية إن لم ينزل الله ويجعل ذاته قريباً لأذهاننا ويدعونا للتو لنصعد إلى القمة المرتفعة والعالية، إلى معرفته الحقيقية، الأمر الذى أتمه لنا المسيح كاشفاً لنا الله الأب. ومن المؤكد أن قمة الجبل لم تداس من الجموع الكثيرة (لأن نعمة معرفة الأمور السامية ليست فى متناول الكثيرين)، بل يقترب إليها فقط الذين يعرفون أن يسلكوا بهذه النعمة أو الذين دُعوا لهذا بواسطة الله كما دُعِيَ موسى. إذن من هو صادق وأمين فى بيت الله سيكون مثل موسى مع الله ومستحقاً للوجود بالقرب منه عن طريق النقاوة والمعرفة. لأننا سنكون معه عندما يقول لنا: "أَمَا أَنْتَ فَفَقْ هُنَا مَعِيَ الْكَلِمَ"⁶²⁰.

وهو يقول عن الذين يحملون حمل الكهنوت "لنلا يبطش بهم الرب". إن طريق الكهنوت إن لم تصاحبه حياة النقاوة، ليس بمنأى عن الخطر أو بالحرى هو طريق قريب جداً من الخطر، لأنه ينبغى على القائمين على خدمه الله كلى القداسة أن يكونوا قديسين.

ثم يقول بعد ذلك اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهرون معك. وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لنلا يبطش بهم⁶²¹. صعد موسى إذن وبالطبع مع هارون الذى كان مثلاً للمسيح. لأن المسيح يكرم الناموس، وكقدوس هو بالقرب من الله ومع الله. سبق وأعلن الناموس عن رئيس كهنتنا ورسول اعترافنا المسيح بحسب الكتب⁶²².

إذاً دعونا نربط الناموس بالمسيح بواسطة التفسير الروحي. بمعنى أن موسى سمع القول: "صعد أنت مع هارون"، هكذا ما يجمعه الله (فى هذه الحالة موسى وهارون) لا يفرقه إنسان⁶²³. فالناموس (أى موسى)، أما هارون فيشير إلى الرؤية فى المسيح. لأن موسى كان خادماً للظلال فقط ولم يقبل الحق الذى فى الصور والظلال. حسناً قبل إنه صعد إلى الجبل مع الجنس الكهنوتي المقدس (هارون) لأن الله لم يسمح لهؤلاء الذين يتهذبون بالناموس ولا للذين يتممون عبادة الظلال أن يصعدوا إلى التعاليم السامية والعالية التى تشير إلى المسيح. هذا مسموح به على الأغلب للذين تبرروا بالإيمان ودُعوا من المسيح ليطيعوه ويعرفوه بمعرفة أعظم من المعرفة القديمة. هذه المعرفة الفائقة التى للمسيح قد أعجب بها بولس العظيم، وهذا ما يؤكد المخلص نفسه لنا وإخوته الإسرائيليين قائلاً بلا تحفظ: "أَعْطَى لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَأَمَّا أَوَّلُكُمْ فَلَمْ تُعْطَ"⁶²⁴. وقال للتلاميذ عن اليهود: "أَتَرَكُوهُمْ هُمْ عَمِيانُ قَادَةَ عَمِيانُ"⁶²⁵، بينما قال أيضاً للذين عرفوه: "طوبى لأعينكم لأنها تبصر ولأذانكم لأنها تسمع"⁶²⁶. وعندما أنهى إله الجميع كلامه عن هذه الأمور، بدأ يُسرّع ويحدد النواميس لكل الشعب. وقال الآتي: "إِنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لَكُمْ إِلَهًا"⁶²⁷ لقد بدأ بداية حسنة لتشريع، قائلاً إنه هو الرب الذى صنع المعجزات مع شعبه فى مصر، وهو الذى أقام الخليقة كلها فى وجه الطغاة، وهو الذى أسقط الأمطار والرعود، وغَيَّرَ عناصر الطبيعة، وهو الذى قتل أبكار المصريين، وهو الذى أحاطهم بظلام لمدة ثلاثة أيام، وهو الذى وهب لمن يريد طريقاً فى وسط الأمواج، وسحق الأعداء بدون عناء. لأنه كان يجب على الذين كانوا تحت نير الوصية أن لا يجهلوا مدى عظمة قوة واضع الناموس، وأنه من الخطر أن يصطدموا به إذ لديه القوة أن يفعل كل شئ بسهولة.

⁶¹⁸ مت 5: 17-18.

⁶¹⁹ خر 19: 22, 20.

⁶²⁰ تث 5: 31.

⁶²¹ خر 19: 24.

⁶²² انظر عب 3: 65.

⁶²³ مر 10: 9.

⁶²⁴ مت 13: 11.

⁶²⁵ مت 15: 14.

⁶²⁶ مت 13: 16.

⁶²⁷ لا 45: 11.

بلادبوس: إنه أمر صالح من جهة واضع الناموس أن يهتم بنا بطريقة تليق بالله. لأنّ الخوف ينشئ طاعة ويجعل القاسى والعنيد كأنه طفل مطيع.

كيرلس: بالصواب تتكلم فبعدما أمر الرب بعدم السجود لآلهة أخرى وعدم صناعة أي صنم منحوت أو منقوش، وأن لا يتجرأ أحد وينسب صفة الألوهية إلى المصنوعات والتمائيل، وبعدما فرض عقوبات شديدة، أخذ ينظم العلاقات البشرية لأنه يقول: "لا تتطّق باسم الرب إلهك باطلاً، ولأنّ الرب لا يُبرئ من نطق باسمه باطلاً" 628، وهو بذلك وضع الناموس كقانون للسلوك الصحيح لحياة الجميع. فهو يخلصنا من كل خطية مشيراً قبل أي أمور أخرى إلى الوقت الذي سيظهر فيه بر يسوع المسيح، حيث يتم الخلاص الكامل والقضاء علي الشر، وإعادتنا إلي الجمال الأول وتجديد الحياة بفعل قداسة الله ومحبتة.

ويقول: "أذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب إلهك. لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزليك الذي داخل أبوابك. لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه. أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك علي الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد علي قريبك شهادة زور" 629.

بلادبوس: وماذا يعني هذا؟ لأنني لا أفهم بوضوح ماذا يقصد، وبأي طريقة نستطيع أن نقدس يوم الرب؟

كيرلس: أتريد أن نقول بعض الأمور عن يوم السبت والراحة التي هي مكرمة في هذا اليوم؟ لأنه هكذا سيوضح بالأفضل كل ما شرّعه الله.

بلادبوس: أريد جداً أن أسمع منك عن هذا الأمر.

كيرلس: يا بلادبوس، السبت الذي هو اليوم الأخير يمكن أن يشير إلي وقت قدوم المخلص علي الأرض في أواخر الأيام وتقريباً في نهاية الزمان الحاضر، وصار لنا بداية وباب وطريق لمحو الخطيئة، حتى أنه أعطانا الحرية والغفران وعدم الفساد والحياة والرجاء في الأمور العتيدة. وبطرق كثيرة يشير الإيمان بالكتب المقدسة إلي مفهوم السبت حسب المسيح. فمرة يشير إليه مشدداً علي الراحة بالمسيح من الخطايا ومحددًا عقاباً شديداً وقاسياً للمخالفة، ومرة أخرى أيضاً يعلن الفداء والغفران بالمسيح وما نناله في الحياة الآتية.

بلادبوس: أخبرني ماذا تعني بهذا؟ لأنني سأكون مسروراً جداً لسماع هذا الأمر.

كيرلس: نحن نحتفل بالسبت يا بلادبوس بطريقة روحية بالإيمان بالمسيح، إذ نستريح من الانشغال بهذا العالم وننتوقف عن التجول بلا هدف ونترفع عن الدناءة ونتجنب نير الخطيئة، ثم أخيراً نصعد إلي القداسة الاختبارية. لذلك يكتب بولس العظيم إلي الذين لهم إيمان تام: "وَمَنْ مَقَّتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا الَّذِينَ جَثَّمُوا سَقَطُوا فِي الْفَقْرِ، وَلَمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ إِلَّا الَّذِينَ لَمْ يَطِيعُوا، فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الْإِيمَانِ. فَانْخَفِ أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعَدِ الدَّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ" 630. ولهذا يكتب بولس المطوب إلي كل من لديهم الإيمان الكامل قائلاً: "إِذَا بَقِيتَ رَاحَةً لِشَعْبِ اللَّهِ لِأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاخَ هُوَ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِهِ" 631.

وكيف لا يكون هذا هو الحق؟ إنه لو كان حفظ السبت معناه التمسك بعدم القيام بعمل فيه، كيف إذاً يكون الإسرائيليين لم يقدرُوا أن يدخلُوا إلي موضع الراحة رغم أنهم تمسكُوا بعدم العمل في يوم السبت؟ إن الأمر كان يشير مسبقاً إلي الراحة بالمسيح، وأن المرء سيتبرر بالإيمان عندما يتوقف عن فعل الخطيئة.

628 خر 7:20 .

629 خر 16:20.

630 عب 3:17، 1:4.

631 عب 4:109.

لذلك أمرَ الله أن من يجمع الخشب يوم السبت يموت بالرجم⁶³²، بينما العقاب لأجل هذا الأمر هو صورة مسبقة لأمر ذهني وحتمي. أليس النبات الذي ذبل من الجذر وصار ناشئاً يابساً مثل الخشب يرمز إلي الموت ويمكن أن يكون غذاءً للنار؟

بلادتيوس: هذا حق

كيرلس: هكذا الخطية الشنيعة هي مميتة وكمثل وقود نار مهلكة لأولئك الذين يحبونها. إذا أثناء وقت الراحة أقصد التوقف عن فعل الخطايا نرى البعض يعملون أعمالاً ميتة وعقيمة ويفضلون هذه الأعمال على الفضيلة، فهذه الأعمال هي التي سوف تشعل اللهيب الأبدي والعقوبات الأبدية، حسناً سيقضي عليهم بحكم الموت، لأنه بينما هو غير مسموح لهم أن يحيوا برخاوة إلا أنهم يسيررون بإرادتهم إلي العقاب الحتمي. إذن نحن نؤمن ندخل إلي الراحة حسب كلام بولس الطوباوي⁶³³. لكن بحسب كلام إرميا فإن الله يدين أولئك الذين أخطأوا ولم يمتثلوا للحق الإلهي، قائلاً: "اذهب وقف في باب بني الشعب الذي دخل منه ملوك يهوذا ويخرجون منه وفي كل أبواب أورشليم. وقل لهم اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وكل سكان أورشليم الداخلين من هذه الأبواب. هكذا قال الرب تحفظوا بأنفسكم ولا تحملوا حملاً يوم السبت ولا تدخلوا في أبواب أورشليم فلم يسمعوا ولم يميلوا أنذهم بل قسوا أعناقهم لنلا يسمعوا ولنلا يقبلوا تأديباً"⁶³⁴. لم يأمر إذاً بأن يتوقف أى عمل يوم السبت فقط بل أقر بالأمر ببالاً تنقل الأشياء ولا تخرج من أبواب أورشليم.

بلادتيوس: وما هو مفهوم كل هذه الأمور؟

كيرلس: هذا الأمر هو عقل وروحي وأبعد من الصور والرموز وأسمى جداً من الظلال القديمة. لأنه أمر كل الذين يُعيدون بالسبت بحسب المسيح بأن يستمروا في الراحة من كل عمل يؤدي إلي الدناءة وأن لا يحملوا شيئاً علي أكتافهم لأن الذين تحرروا بالحقيقة مرة واحدة بالإيمان من ثقل الخطيئة، كيف لا يكون منتهى الغباء أن يُجبروا على حمل أشياء مرة أخرى ويقعوا ثانية بإرادتهم تحت أثقال الدناءة؟ البقاء داخل أبواب أورشليم يشير إلي أنه يجب ألا نبتعد عن المدينة المقدسة ولا نخرج خارجاً ونسقط هكذا في خطيئة بانحرافنا إلي شئ آخر. والمدينة المقدسة بالطبع نقصد بها الكنيسة. لأنه فعلاً فإن بعض المتألقين بإيمانهم بالمسيح كلما ألقوا عن كاهلهم الخطية ودخلوا إلي الأبواب المقدسة لمسكن الله وبعد ذلك انقادوا إلي العصيان - حتى لو لم يُظهروا ذلك، وطالما قفزوا خارج الباب المقدس فيكونون عندئذ قد كرموا العادات والتقاليد الوثنية. لقد شرع الله بأنه يجب علي الذين يُعيدون السبت ذهنياً أن يجلسوا داخل الأبواب قاصداً بهذا المثال الواضح والثابت أن يرفضوا تماماً هذا الانحراف عن الإيمان الأصل بالمسيح. وبكل تأكيد قصد أن الكنيسة هي مدينة الله، إذ كرّز بها داود قائلاً: "قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله"⁶³⁵، أيضاً أخبرنا عنها المخلص نفسه، قائلاً عنها: "لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكناً له"⁶³⁶.

بلادتيوس: بناء علي ذلك سوف نتوقف عن أي عمل يوم السبت وفق قرار المشرّع.

كيرلس: ليس كل عمل بشكل مطلق يا بلادتيوس لأنه ينبغي فعل الأمور التي تُفرّح الله، وهذه الأمور تجلب فائدة ليست بقليلة، ولا يجب أن نوقفها طالما إن الكتاب المقدس أضاف إضافة لا أعتقد أنها بلا هدف، إذ أخبرنا أنه ينبغي أن نُقدّس يوم السبت لأنه قال: "انكر يوم السبت لتقدس"⁶³⁷، وهذا الأمر واضح جداً. فعلى الرغم من أنه يوم السبت فإن الكهنة يخالفونه وهم أبرياء، ويؤدون واجباتهم المقدسة ويقدمون الحيوانات المذبوحة، ويفعلون كل شئ بلا عائق لأجل مجد الله هذا هو بالضبط الذي يندرج في إطار الشكليات اليهودية والذي خالفه

⁶³² انظر عدد 32:15.

⁶³³ انظر عب 3:4.

⁶³⁴ إر 23:19.

⁶³⁵ مز 3:87.

⁶³⁶ مز 132:13.

⁶³⁷ خر 8:20.

السيد المسيح عندما اتهموه بمخالفة السبت لأنه شفى المشلول يوم السبت⁶³⁸.

بلاديسوس: أتذكرُ هذا.

كيرلس: ختان إنسان ما يمكن أن يتم يوم السبت بحسب كلام المخلص بدون أن يوبخه الناموس. لأن المثال يؤكد بوضوح أن الختان الروحي في اليوم الثامن أى يوم القيامة يتمشى مع الذين يحتفلون بالسبت حسب المسيح. بمعنى أن يتمشى مع الذين يتوقفون عن فعل الخطية ويتقدسون بالإيمان، لأنه هكذا صارت قيامة المسيح. ولأنه قام ثانية إذ أبطل مملكة الموت وأعطى للتو الذين يعرفونه ختم الروح القدس وهذا هو الختان الحقيقي. لأنه نفخ فيهم وقال: "خنوا الروح القدس"⁶³⁹. ألم يقل بولس إنه يجب أن يتم هكذا الختان القلبي؟ لأنه نادى بأنه يجب أن يختن المؤمنون بختان ليس مصنوع بيد، أي روحي⁶⁴⁰ وسوف أضيف أنه علينا أن نحفل بالسبت روحياً، ولا نتوقف إطلاقاً عن كل ما يُتم - بشجاعة روحية - لكي نسحق الأعداء وننتصر بقوة المسيح علي أولئك الذين يقاوموننا، وأيضاً سوف أذكر لكم مثلاً في هذا الأمر وهو يشوع بن نون الذي استولى هو والإسرائيليون علي مدينة أريحا في اليوم السابع أي السبت.

بلاديسوس: إذن، السبت يعني بالنسبة لنا أن نكف عن فعل الدناءة والخطية - إذا أردنا أن نقول الحق - وهذا الأمر نجد ظلاله مكتوبة في الأمثلة أو في رموز العهد القديم.

كيرلس: هذا ما أقوله. لكن يمكن أن يظهر لنا سر المسيح بوضوح جداً، وذلك بطريقة أخرى.

بلاديسوس: بأي طريقة؟

كيرلس: يقول الناموس أيضاً "إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً"⁶⁴¹. وهذا بالتأكيد في سفر الخروج لكن في سفر التثنية أيضاً يقول الآتي: "إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة تُطلقه حراً من عندك. وحين تطلقه حراً من عندك لا تطلقه فارغاً تزوده من غنمك ومن بيدرِك ومن معصرتك، كما باركك الرب إلهك تعطيه"⁶⁴². أي أن الإسرائيليين قد استُعبدوا تحت عقاب الناموس مثقلين بروح العبودية قبل مجيء المخلص. لكن عندما أشرق عمانوئيل في أواخر الدهر (والسبت يشير إلى أواخر الدهور) عندئذ طرح روح العبودية ودعاهم إلي الحرية وإلي مجد التبنّي من فرط إحسانه ومحبته بدون أن يدفع المؤمنين شيئاً مطلقاً إلي السيد كدفية. لأنهم لم يتبرروا بواسطة الأعمال التي حددها الناموس لكن بالإيمان حسب الكتاب المقدس. وهذا ما يعنيه بقوله "يُخرج حراً مجاناً"⁶⁴³. أيضاً يقول: "وحين تطلقه حراً من عندك لا تطلقه فارغاً، تزوده من غنمك ومن بيدرِك ومن معصرتك كما باركك الرب إلهك تعطيه"⁶⁴⁴. أرايت كم تتلأأ قوة السيد المسيح بوضوح في هذه الأمور؟ إذا نحن لم نكن مشاركين لإحسان الله الفائق بأعمال البر التي فعلناها، لكن، كما هو مكتوب، حسب رحمته الجزيلة علينا، أطلقنا أحراراً بمعنى أنه حررنا من الخطايا، وطالما أنه زينا بمواهب التبنّي أغدق علينا بالمؤمن الحسنة أي ذاته، كذبيح كامل وحمل اقتيد إلي الذبح لأجلنا ومنح لنا إمكانية أن نشترك في البركة المحيية التي هي التناول من جسده المقدس ودمه المقدس. وهذا ما أراد أن يشير إليه المؤمن من خراف وقمح وخمر ونبيذ لأولئك الذين في اليوم السابع، أي في السبت الروحي، وقد دعوا إلي الحرية بسبب إحسان السيد وهذا هو بالطبع الناموس. لكن بسبب أن الخمول استولي علي اليهود ولم يريدوا أن يحفظوا الوصايا اتهمهم الله بأنهم فعلوا هذا العصيان بإرادتهم. لأنه مكتوب "فصارت كلمة الرب إلي إرميا من قبل الرب قائلة: لقد قال الرب إله إسرائيل أنا قطعت عهداً مع آبائكم يوم أخرجتكم من أرض مصر من بيت العبيد قائلاً في نهاية سبع سنين تُطلقون كل واحد أخاه العبراني الذي بيع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حراً من عندك ولكن لم يسمع أبائكم لي ولا أمالوا أنفسهم وقد رجعتم أنتم اليوم وقطعتم ما هو مستقيم في عيني منادين بالعتق كل واحد إلي صاحبه وقطعتم عهداً أمامي في البيت الذي دعي باسمي ثم عدتم وكنستم اسمي وأرجعتم كل واحد عبده وكل واحد أمته

⁶³⁸ انظر مت 12: 12.

⁶³⁹ يو 20: 22.

⁶⁴⁰ انظر كو 2: 11، أي ختان القلب بالروح انظر رو 2: 29.

⁶⁴¹ خر 21: 2.

⁶⁴² تث 15: 12-14.

⁶⁴³ خر 21: 2.

⁶⁴⁴ تث 15: 13-14.

الذين أطلقتموهم أحراراً لأنفسهم وأخضعتموهم ليكونوا عبيداً وإماءً⁶⁴⁵. أرايت كيف أن الأمثلة والنماذج لا تقبل التناقض أو بالأحرى إن الحقيقة نفسها لا تُسبب بسبب أنها توجد أيضاً في الظلال التي ترمز إليها؟ إنه وفق المکتوب: "فإن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة"⁶⁴⁶. لكن اليهود إذ طرحوا نير العبودية على أولئك الذين سبق وحرروهم فقد اعتُبروا أنهم لم يحفظوا العهد الثابت لذلك اصطدموا مع قوة السر واستهانوا به بينما هو لا يزال موجوداً في الأمثلة أو الرموز.

بلاديوس: بالصواب نتحدث.

كيرلس: وقد خلصنا مجاناً بنعمة الله بدون أن نعطي أي مقابل لحياتنا واشترينا مجد الحرية لكننا نلنا البر بسبب إحسان السيد ومحبتة وهذا ما عبّر عنه في سفر التثنية قائلاً: "في آخر سبعة سنين تعمل إِبْرَاءً. وهذا هو حُكم الإِبْرَاءِ. يُبْرئ كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه. لا يطالب صاحبه ولا أخاه لأنه قد نودى بإبراء للرب. الأجنبي يُطالب وأما ما كان عند أخيك فتبرئه يدك منه. إلا إن لم يكن فيك فقير لأن الرب إنما يباركك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيباً لتمتلكها"⁶⁴⁷. هل رأيت كيف تشرق الحقيقة داخل الظلال؟ وبوضوح تام سوف يظهر تدبير المخلص لأجلنا؛ بمعنى أنه حرّر الذين اقتربوا إليه من ديونهم بواسطة الإيمان وصاروا إخوة بمشاركة الروح القدس؛ ولكي يصيروا شركاء الطبيعة الإلهية حررهم بدون أن يدفعوا شيئاً. حقاً لم يفرض عليهم عقاباً بسبب عصيانهم مع أنهم مدينون بإعطاء جواب عن أعمالهم. ومن ناحية أخرى فأولئك الذين ما زالوا غرباء مذنبين مدانين بسبب عدم إيمانهم ويسبب أنهم أبعد من أن يكونوا ضمن خاصته ولأنهم لم يغتسلوا بعد من الخطيئة؛ فبعدل جعلهم مذنبين ومستحقين للإدانة والعقاب. فقد قال لهؤلاء الذين آمنوا "إن تثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم"⁶⁴⁸ لكن لكل الذين يحتقرون التعليم الحقيقي والإنجيلي يقول "إن لم تؤمنوا أنني أنا هو تموتون في خطاياكم"⁶⁴⁹. أرايت إذًا أن القريبين له من جهة الإيمان يعدهم بأنه سوف يحررهم، بينما أولئك الذين هم غرباء وأجانبين سوف يدفعون للذيان ثمن خطاياهم طالما ماتوا وهم في خطاياهم؟

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: راحة السبت تمنح بطرق حسنة التمتع المقدسة اللانقة للدهر العتيد والاشتراك في الخيرات السماوية.

بلاديوس: أريد أن أسمع كيف يكون ذلك؟ أخبرني.

كيرلس: حسناً لقد سبّح داود العظيم الله كلى القدرة قائلاً: "وأمطر عليهم مناً للأكل وَبَرَّ السماء أعطاهم. أكل الإنسان خبز الملائكة"⁶⁵⁰. إن المن غذاء السماء والملائكة، وقد فتح داود النبي ذهننا علي شيء أبعد من المحسوسات والمنظورات لكي نرى العطية الروحية والإلهية التي يضعها الله في نفوس القديسين، والخبز الذي يغذي الملائكة ويحيى البشر جاعلاً الكلمة أي اللوغوس يسكن في نفوس المؤمنين. لأن المسيح يسكن في قلوبنا بقوة الروح القدس ونتغذى بالخبز الحي والسماوي لكي يكون لدينا عافية وقوة روحية. المن هو مثال واضح وغير مشكوك فيه لهذا الأمر. لقد أمر الناموس أن يجمعه الإسرائيليون بدون أن يتجاوزوا الكمية التي تكفيهم لأن الكتاب يقول: "فكان في المساء أن السلوى صعدت وغطت المحلة وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلة. ولما ارتفع سقيط الندى إذا علي وجه البرية شيء دقيق مثل قشور دقيق كالجليد علي الأرض. فلما رأي بنو إسرائيل قالوا بعضهم لبعض من هو لأنهم لم يعرفوا من هو فقال لهم موسى هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا هذا هو الشيء الذي أمر به الرب، التقطوا منه كل واحد علي حسب أكله عُمرًا للرأس علي عدد نفوسكم

⁶⁴⁵ إر 12:34-16.

⁶⁴⁶ رو 29:11.

⁶⁴⁷ تث 41:15.

⁶⁴⁸ يو 8:32-31.

⁶⁴⁹ يو 8:24.

⁶⁵⁰ مز 24:78-25.

تأخذون كل واحد للذين في خيمته" ⁶⁵¹، وبعد ذلك يقول: "ثم كان في اليوم السادس أنهم التقطوا خبزاً مضاعفاً للواحد فجاء كل رؤساء الجماعة وأخبروا موسى فقال لهم هذا ما قال الرب غداً عطلة سبت مقدس للرب. اخبزوا ما تخبزون واطبخوا ما تطبخون وكل ما فضل ضعه عندكم ليحفظ للغد" ⁶⁵². بجانب كل هذا يوضح موسى لهؤلاء الناموس الإلهي مضيفاً علي الفور: "كلوه اليوم لأن للرب اليوم سبتاً. اليوم لا تجدونه في الحقل. ستة أيام تلتقطونه وأما اليوم السابع ففيه سبت. لا يوجد فيه. وحدث في اليوم السابع أن بعض الشعب خرجوا ليلتقطوا فلم يجدوا" ⁶⁵³. بالتالي يا بلاديوس، بعد كل هذا أليس واضحاً أنهم لن يفعلوا شيئاً يوم السبت وهذا يمثل صورة واضحة ومسبقة للحياة التي سوف توجد في الدهر الآتي، وأنهم سيجنون ما قد جمعه، لذا سوف لا يُعطى هذا المن من السماء لأنهم سوف يتغذون بما جمعه بالفعل؟ أي أننا سوف نحتمل بتحررنا التام من الخطية، وسوف نستمتع بالخيرات السماوية بدون ألم يزعجنا وبدون تعب ومشقة إذ نجد بوفرة كل ما هو لخيرنا.

بلاديوس: كلامك حق لأن حياة القديسين ستكون هي الحياة التي سيكون فيها كل شيء مُعداً لهم، وستكون الخيرات في متناول أيديهم. وليتنا نقول نحن أنفسنا لكل قديس: "لأنك تأكل تعب يدك. طوباك وخير لك" ⁶⁵⁴. كيرلس: إذن ونحن نسرع إلي هدفنا، فلنرجع إلي حديثنا ونقول: يقودنا الناموس بقوة وبصلاة عقلية إلي الإله الواحد الحقيقي ولا يتركنا نجهل الكلمة الأزلي المولود منه. لأنه قد أعطى لنا من قبل الوصية وأعلن لنا: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" ⁶⁵⁵، وأيضاً "الرب هو الإله. ليس آخر سواه" ⁶⁵⁶، وربط سر المسيح بكل هذا ارتباطاً مباشراً مضيفاً: "احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك" ⁶⁵⁷، لأنه هو الطريق، وهو الصالح، والمبدع الأعظم، والذي يغدق بالخير الكامل علي الذين يريدون أن يعرفوه. لذلك قال مخلصنا إلي أبيه السماوي: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" ⁶⁵⁸، هنا يربط ربطاً وثيقاً الكلام عن الأب بالكلام عن الابن، لأن المعرفة هي واحدة للآثنين. حسنا وبخ الذين أخفقوا في معرفة الحق وظنوا أنهم يعرفون الله، قائلاً: "لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه" ⁶⁵⁹، لأن معرفة الواحد والآخر مشتركة في الآثنين. إذ بعدما وضع أساساً دقيقاً للمعرفة الإلهية كشيء ملزم وبعدها زرع داخلهم معرفة المشرع، نزل إلي البشريات، وإلي جانب إكرام الله وضع مباشرة وصية إكرام الأب والأم مرتبطتين معاً، فمن خلالهما أتينا إلي الوجود بإرادة الله، لذلك فإن لهم مكانه ثانية بعد الخالق. فالطبيعة البشرية تنشئ داخلها الكائن الحي الذي يقبل مجد الخالق وذلك بالقدرة الإلهية. وكما أن الله هو بداية الكل حيث هو مبدع وخالق، هكذا كل واحد من الوالدين هو بالنسبة لطفله يكون أصل ولادته ومصدر مجيئه إلي الوجود. إذن، فحسب مثال خالق الكل يتمثل العمل المشترك بين الأب والأم في قدوم كل البشر إلي الوجود. لهذا بالتأكيد أمر الناموس أن تُعطي كرامة عظيمة لهما، وأكد علي أن الذين يكرمونهما سوف ينالون كرامة عظيمة، وبالعكس الذين لا يكرمونهما سوف ينالون جزاءً مؤلماً، فالتصرف المهذب والموقر يتوج صاحبه بالكرامات بينما التصرف غير الحسن يحمله بالأم ومشقات ومصاعب أخرى في الحياة، لأنه يقول "أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك علي الأرض" ⁶⁶⁰. إذن، فهناك مكافأة عظيمة للذين يكرمون الوالدين في هذه الحياة وتمتد لأزمنة طويلة، وحكم الناموس بالموت علي الشتامين مخيفاً إياهم

⁶⁵¹ خر 16: 13.

⁶⁵² خر 16: 23-22.

⁶⁵³ خر 16: 27-25.

⁶⁵⁴ مز 128: 2.

⁶⁵⁵ تث 6: 5.

⁶⁵⁶ تث 4: 35.

⁶⁵⁷ تث 5: 12.

⁶⁵⁸ يو 17: 3.

⁶⁵⁹ يو 14: 7.

⁶⁶⁰ خر 20: 12.

كمربى يقودهم نحو الصواب. لأنه يقول أيضًا: "ومن ضرب أباه أو أمه يُقتل قتلاً" ⁶⁶¹.

انتبه إذاً علي أي حال، فإن من يرتكب الخطيئة تجاه الوالدين يعاقب بنفس جزاء من يرتكب خطية ضد الله وهنا يضع حقوق الوالدين بجوار حقوق الله، بمعنى كما أن اللسان الخاطئ ضد الله يُعاقب بالموت بغضب شديد، هكذا نفس الأمر يصير مع الوالدين. وإن نقض أحد الوصية الإلهية وأحزن المربى بمخالفته فإنه يموت.

هكذا إذن إن لم يضع الإنسان في حسابه وصايا أبيه أو أمه، يموت بالرجم، كما أمر الناموس الإلهي، حقاً يقول سفر التثنية: "إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤذنه فلا يسمع لهما يمسكه أبوه وأمّه ويأتیان به إلي شيوخ مدينته وإلي باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرفٌ وسكيرٌ. فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت. فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون" ⁶⁶² إذاً هل تستطيع بعد هذا أن تتردد في أن تعتبر أن كرامة الأب والأم تقترب من كرامة الله؟

بلاديوس: إطلاقاً لأن الناموس أقتنعنا بأنه يجب أن نكرمهما والسبب الذي قاله شخصي بحكمة "أنكر أنك بهما كُونت" ⁶⁶³. ويعقوب البطريرك أب الآباء يقول بالصواب: "لولا أن إله أبي إله إبراهيم وهبيرة اسحق كان معي لكنت الآن قد صرفتني فارغاً" ⁶⁶⁴.

كيرلس: أخبرني إذن، كوننا نقول إننا قد ولدنا منهما ألا يبرهن بوضوح أن هذه هي أيقونة الخالق الذي يدعو غير الموجود إلي الوجود؟ وأنه يجب أن نكرمهما ونهابهما، ألا يبدو أنه وضع لهما نفس مكانة ومنزلة الرتبة الربانية؟

بلاديوس: بالتأكيد. لذلك كان سفر الأمثال يلعن البعض قائلاً: "العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمها تقورها غريبان الوادي وتأكلفها فراخ النسر" ⁶⁶⁵، لكن وضّح لي من فضلك ذلك، كيف يفهم المرء قول المخلص: "من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني" ⁶⁶⁶، وأيضاً القول الآخر أي عندما ترجاه تلميذه أن يذهب ويدفن أباه قال له "اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم" ⁶⁶⁷.

كيرلس: وما هو غير المعقول في هذه الأمور؟ فيمكن معرفة هذه الأمور بكل بساطة - كما أعتقد - وبسهولة يستطيع أن يدركها من يريد أن يفكر بالصواب.

بلاديوس: لكن الكلام ليس واضحاً تماماً، لأن يبدو أنه يبعدنا عن توقير الوالدين.

كيرلس: يا عزيزي الكلام بعيد عن مثل هذه الشبهة، وعن هذه الأفكار الرديئة. لأن كلام المخلص لا يبعدنا إطلاقاً عن احترام الوالدين لكن يعلمنا أن احترام الله يسبق ويفوق احترام الوالدين، ونحن نعتبر احترام الوالدين مرتبطاً بالاحترام اللائق بالله، وهو الأمر الذي حفظه المسيح نفسه إذ أنه لم يدين الذين يحبون الوالدين، ولا حتى أنب وأدان الذين يحترمون الوالدين. لكن ببساطة شرّع بطريقة لائقة أن تأتي الأمور البشرية في الترتيب الثاني بعد الأمور الإلهية. لأنه لم يقل فقط "من أحب أباً أو أمّاً" لكن أضاف عبارة "أكثر مني". هل تعتقد أنه لا ينبغي أن تكون الأولوية للمحبة نحو الله ثم بعد ذلك المحبة نحو البشر؟

بلاديوس: لا بالتأكيد.

كيرلس: حسناً، فهو لم يترك التلميذ يمضي في فكرة اعتبار المحبة نحو الإنسان أفضل من المحبة نحو الله،

⁶⁶¹ خر 15:21.

⁶⁶² تث 21:18-21.

⁶⁶³ حكمة 30:7.

⁶⁶⁴ تث 31: 42.

⁶⁶⁵ أمثال 30: 17.

⁶⁶⁶ مت 10: 37.

⁶⁶⁷ متى 8: 22.

حتى إن كانت نواميس الطبيعة تنادي بالاحترام والمحبة نحو الوالدين. وببساطة فقد وضع ما يخصه في مرتبة أعظم مما يخصنا. لأن الله هو أعلا من الكل وفوق الكل. لكنه لم يأمر مطلقاً بأن نعتبر توقير أو احترام الوالدين شيئاً تافهاً، فهو أوصى بأن نقول إن كل ما يتعلق بالله فهو في المرتبة الأعظم والأحسن لأن هذا الأمر قاله المسيح إلي معلمي اليهود: "لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم فإن الله أوصى قائلاً أكرم أبائك و أمك. ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً. وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به مني. فلا يكرم أباه أو أمه فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم" 668.

بلاديسوس: أليس تكون بذلك معرفة هذه الأشياء مفهومة جداً. وهكذا يتضح ما هو جرم الفريسيين في هذه الحالة؟

كيرلس: مكتوب في سفر اللاويين: "إذا أفرز إنسان نذراً حسب تقويمك نفوساً للرب. فإن كان تقويمك لذكر من ابن عشرين سنة إلي ابن ستين سنة يكون تقويمك خمسين شاقلاً فضة علي شاقل المقدس" 669، ومن حيث إنه قال قليلاً عن المرأة والأولاد أضاف: "وإن كان فقيراً عن تقويمك يوقفه أمام الكاهن فيقومه الكاهن علي قدر ما تنال يد النازر فيقومه الكاهن" 670 الكلام سري وعميق وسوف نفحصه بالتفصيل حينما بحين الوقت. الآن ليتنا نأتي إلي موضوعنا، أتى بعض الإسرائيليين وطلبوا أن يكرسوا نفوسهم لله. بالطبع في فترة المثال والظل وحسب الناموس كانوا يكرمون هؤلاء الذين نالوا رتبة الكهنوت وخدموا المذبح الإلهي، لكن بعض الذين اشتبهوا هذا المجد (أي الكهنوت) وأرادوا أن يحققوا رغبتهم في أن يصيروا كهنة كان عدم توافر الأموال بالنسبة لهم يمثل عائقاً منيعاً. فالكثبة والفريسيون حثوهم علي أن يدفعوا، لأن هؤلاء الكثبة والفريسيين كانوا محبين للمال والرشوة الدنسة. وكانوا يحاولون أن يظهروا احتراماً للوالدين وكانوا يقولون لهم نحن بالكاد نستطيع أن نجد الأمور الضرورية للحياة لأنفسنا ولأولئك الذين يكرسون أنفسهم للرب بأن نؤمن لهم ملابسهم وكانوا يقتنعون المكرسين بأن مساعدة الوالدين هو أمر عديم النفع عند الله حتى أنه عندما يأتي الوالدون ليطالبوا مساعدتهم المنتظمة لفتوهم بأن يخبروهم: "ما تريدونه هو عطية من الله" أي ما سوف تأخذونه منا هو مخصص لله فلا تمد يدك إلي الأموال الإلهية إذ أنني كرسيت ذاتي إلي الله وقدمتها إليه كعطية له. هكذا يدفعوهم أن يتصرفوا ضد الوصية الإلهية لدرجة أن الخوف أصبح ينتابهم من إمكانية تعرضهم للضرر بسبب انتهاك الحرمات المقدسة، كما أنهم أصبحوا يرتعبون بشدة من الناموس وكل هذا بزعم توقير الله. لذلك يقول لهم المسيح: "قد أبطلتم الوصية الإلهية بسبب تقليدكم"، فكان يجب أن يتم تكريم الوالدين وليس بأدعاء توقير الله ندوس علي وصية الناموس الخاصة بإكرام الوالدين. وبالتالي لا يجب أن نهمل كل ما يليق بالله بحجة الأمور البشرية، ومن أجل الله يجب أن لا نبالي بالأمور البشرية. بل بالعكس علينا أن نحب أب الكل محبة شديدة وفي المرتبة الثانية مباشرة نقدم للوالدين - الذين اشتركوا مع الله في خلقنا - الكرامات اللانقطة. وبجانب هذا الذي قلته يجب أن نأخذ في اعتبارنا أمراً آخر.

بلاديسوس: ما الذي تريد أن تقوله؟

كيرلس: أظهر ربنا يسوع المسيح بأنه ينبغي علينا أن نحترم والدينا، وأعتبر أمه جديرة بالاحترام والرعاية. حقاً لقد كان معلقاً فوق الصليب المقدس ومُسمراً علي الخشبة وسلم العذراء القديسة إلي تلميذه المحبوب الأصيل جاعلاً تلميذه المحبوب عائلاً لها، إذ قال: "يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلي خاصته" 671 ومكتوب "من تلك الساعة أخذها التلميذ إلي خاصته" 672.

بلاديسوس: يبدو لي أن توسعك في هذا الموضوع كان ممتازاً.

كيرلس: وحيث إنه وضع الأولاد تحت نير والديهم ووضعهم تحت نير الناموس، فهو وضع بذلك شريعة خاصة بتصرف الوالدين تجاه أولادهم إن كانوا لا يريدون أن يحدوا عن إرادة الله. لقد أخبر بولس الحكيم، بإيجاز وإعلان جيد، الأولاد أنه ينبغي عليهم أن يخضعوا لأبائهم وأيضاً قال "وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب

668 مت 23:15.

669 لا 32:27.

670 لا 8:27.

671 يو 19:26-27.

672 يو 19:27.

وإنذاره⁶⁷³، بمعنى أن يصيروا لهم معلمين ويقودوهم إلى حياة محبة الله وفق الناموس. والناموس يعطي وصية للوالدين بشكل متكامل أن يعتنوا علي قدر استطاعتهم بكل ما يفيد أولادهم لأنه يقول: "لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى لئلا تزني الأرض وتمتلئ الأرض رذيلة"⁶⁷⁴، أي أن الخالق يطلب منا قبل كل الأمور الأخرى الطهارة الجسدية كمثال أولى لحياة القداسة. لأن الطهارة الجسدية هي مدخل للبهاء الروحي، وذلك إذا هربنا من ارتكاب التصرفات الدنيئة. إذا يجب علي الآباء أن يقدموا لنا نصائح حسنة ولكن إذا وصل المربون إلى الانحراف أو تغير الهدف ولا يبالون وبالأحرى يصيرون هم أنفسهم مبتعدين عن التعقل في قيادتهم لأولادهم وإذا أصبحوا محترفين في فعل الأمور المتدنية، فإنهم سيخضعوا لجزاء قاسي لأن الوالدين يدمرون ثمارهم ويلقونهم في الهلاك حيث يكون الموت بالنسبة لهم هو الأفضل لأن (الغريزة) الطبيعية لديها هذا الناموس عند الآباء، فمن يعرض بدناءة ظاهرة ابنته إلى هؤلاء المريدن فلن يكون هو قط المسئول عنها، ولن يعاقبه ديّان الجميع بمفرده بل يعاقب كل واحد انزلق إلي هذه الدناءة. لأنه يعتبره كما لو كان قد أقام مصيدة وشبكة موت وأوقع الجميع. لأنه لا يدين بحسب النتيجة ولكن بحسب بشاعة هذه الأعمال الخاطئة. ويكتب سليمان الحكيم عن هذا النوع من النساء، الآتي: "فوجئت أُمّ من الموت المرأة التي هي شبك وقلبيها إشرّك ويداها قيود"⁶⁷⁵. إذن، فهناك ضرورة لأن يقول المشرّع: "لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى لئلا تزني الأرض وتمتلئ الأرض رذيلة"⁶⁷⁶. لأنه إن لم يوجد هناك تلك التي ترتكب جريمة الزنا، فسوف لا يكون من الصعب أن يهرب المرء من هذا الشر. حتى لو كان هناك شخص ما زال يجذب بسهولة إلي اللذة ويسيطر الضعف علي عقله بالكامل، كما أنه لن تكون هناك صعوبة في حفظ اللياقة الجسدية. وهو يعطي الآباء هذه الوصايا الخاصة بأولادهم، ويعتبر أن الذي يصل إلي مرحلة طرد أولاده بعيداً عن الله يستحق الموت. مكتوب في سفر اللاويين الآتي: "وكلم الرب موسى قائلاً: وتقول لبني إسرائيل إن كل إنسان من بني إسرائيل ومن الغرباء النازلين في إسرائيل أعطى من زرعه لمولك فإنه يُقتل. يرجمه شعب الأرض بالحجارة. وأجعل أنا وجهي ضد ذلك الإنسان وأقطع من شعبه لأنه أعطى من زرعه لمولك لكي ينجس مقدس ويُنس اسمي القدوس"⁶⁷⁷.

بلاديوس: الناموس غير واضح، لأنه ليس واضحاً ماذا يريد أن يقول، ليتك توضّح أقواله.

كيرلس : إن الموابين والمدبانين والجرجسيين وقبائل بربرية أخرى كانت تسكن في بلاد اليهود ويُعاملون وفق الأعراف اليونانية، كل واحد له الديانة التي يريدها، وقد سجدوا وعبدوا ما يخطر علي بالهم. وبسبب أن الإسرائيليين لم يكن لديهم بعد فكر ثابت في محبة الله، كان من السهل جداً أن يعصوا الله ويتعدوا عنه، لدرجة أنهم لا يرون أن هناك أي خطية إذا سجدوا لألهة جيرانهم، أو إذا أسلموا أنفسهم مع جيرانهم إلي مرض الضلال المصري القديم. هكذا استولت عليهم الشهوة تجاه فتيات المدبانين وصاروا مهوسين بجمال النساء مما جعلهم يسجدون مع المدبانين لبعل فغور، بسبب هذا حرّم المشرّع تماماً الاختلاط بالغرباء بعدما عبّر جيّداً عن أفكارهم الطائشة وغير المترابطة، وقال بوضوح: "ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطه لابنه وبنته لا تأخذ أبنتك لأنه يردّ ابنتك من ورائي فيعيد آلهة أخرى فيجني غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً"⁶⁷⁸. إذن بسبب أنه حدث وهذا كان طبيعياً جداً أن بعض الإسرائيليين أرادوا أن يتزوجوا بنات الغرباء من قبائل أخرى غير مكترئين لمسألة العصيان، حدّد المشرّع لهذا التهور الغضب الإلهي والحكم بالموت، وأدانهم بجزاءات قاسية. حسناً إن العهد الجديد المقدس يطلب من الوالدين أن يعتنوا بأولادهم ويغذونهم بنصائح الرب، بينما الناموس ثقيل اللسان يتبع هذا الطريق ولكن يستخدم حيلاً مراوغة. لأنه حسناً يأمر أن لا يسمح للآباء أن يدفعوا بناتهم إلى الرذيلة والانحلال، وقال أيضاً إنه يجب عليهم بعد ذلك أن يحفظوا بثبات كل ما يخص معرفة الله، ولا يتركوهم أن يسلموا أنفسهم إلي عبادة الأصنام الدنسة، حتى لو كان الدافع وراء ذلك الثروة العظيمة. لأن الزواج برجل غريب من أمة أخرى، حتى لو كان غنياً تعبّر عنه هذه الآية: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"⁶⁷⁹.

بلاديوس: نتحدث بالصواب

كيرلس: ويمكن أن يرى المرء وبسهولة جداً أن هناك فترة زمنية طويلة تفصل بين هؤلاء الذين خلصوا بإيمانهم

⁶⁷³ أف 6:5

⁶⁷⁴ لا 19:29.

⁶⁷⁵ جامعة 26:7.

⁶⁷⁶ لا 29:19.

⁶⁷⁷ لا 20:31.

⁶⁷⁸ تث 7:43.

⁶⁷⁹ متى 16:26.

بالمسيح وأولئك الذين كان الناموس مؤدباً لهم. لأنّ القديس يرون أن هناك عقاب ينتظر الذي ينشأ بين أناس وثنيين ويشاكل الناس الغرباء. أما نحن فينصحنا بولس بأنه يجب علينا أن نحيا حياة أفضل وأكثر شجاعة قائلاً: "لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد بهوذاً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً. فإن الجسد أيضاً ليس عضواً واحد بل أعضاء كثيرة"⁶⁸⁰، إذن بأي طريقة يطبق هنا هذا التدبير؟ لأن واضع الناموس كان يخشى على الناس قديماً من الاختلاط بأناس يعتقدون ديناً آخر والآن لا يخشى عليهم. لأن أولئك الذين دُعوا إلى المسيح ولديهم محبة لا تنزع نحو الله يجعلهم الروح القدس الساكن فيهم مؤسسين بواسطته حتى "نصرخ يا أبا الآب"⁶⁸¹. لكن أولئك القديس لم تكن لديهم هذه العطية العظيمة وكما يقول يوحنا العظيم: "لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد"⁶⁸². إذا فالكمال التام يصير بالمسيح، بينما الناموس لا يستطيع إطلاقاً أن يقود إلى الكمال كما هو مكتوب.

بلاديسوس: أرغب بشدة أن تخبرني كيف يكون الناموس غير كامل؟

كيرلس: بالتأكيد. لكن حديثنا سوف يتناول الأمور التي نثبتها الآن، وسوف نفحص بالتفصيل طرق المحبة نحو القريب بعمق أكثر مما كتبه موسى للقديس.

بلاديسوس: سر إذن إلي ما تتحدث عنه.

كيرلس: يقول الناموس "تحب قريبك كنفسك"⁶⁸³، بينما ربنا يسوع المسيح يعلمنا بالآلاف الأقوال أن نحب بعضنا بعضاً معضداً - بطريقة ما - ناموس المعرفة الغريزي وإرادة كل واحد، فيقول "فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم أيضاً بهم"⁶⁸⁴. إذن ما يتمنى المرء أن يفعله الآخرون به، فليفعله هو بالآخرين، وسوف لا يحدد عن هدفه، لكن بالأحرى سوف يسلك مباشرة في المحبة وسوف يُتَوَجَّع بتاج محبة الآخرين.

بلاديسوس: حسناً قلت هذا.

كيرلس: المحبة إذاً هي كمال الناموس وهي أسمى من الإيمان والرجاء لأن هذا ما كتبه لنا بولس العظيم⁶⁸⁵. لذلك وإذ هو يصنع منها تاجاً من ورود الربيع المتعددة الألوان قال أيضاً "إن أطعمت كل أموالي وإن سلّمت جسدي حتى احترق ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً. المحبة تتأني وترفق. المحبة لا تتفاخر، ولا تنتفخ، ولا تُفجّج، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد، ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق. وتحتمل وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء، المحبة لا تسقط أبداً. وأما النبوات فستبطل والألسنة فستنتهي والعلم فسيبطل"⁶⁸⁶. هذه الأقوال واضحة للجميع والحديث عنها سيكون طويلاً، وخاصة إذا أراد المرء أن يجمع بالتفصيل كل ما قيل عنها في العهد الجديد لكن لبيتنا نركز حديثنا الآن عن ظلال الناموس وعن كل ما شرّع أيضاً للقديس بنماذج أو أمثلة.

بلاديسوس: فكرك صائب جداً

كيرلس: بمعنى أن الناموس كان معنياً بالبر - وبطريقة ما - كان ممهداً للنعم الإنجيلية لأنه مكتوب "بداية الطريق الصالح أن تفعل الحق"⁶⁸⁷. أي أن الناموس يقود إلى المسيح وأن حياة المجد تعتبر مضمونة إذا فهمنا الناموس روحياً، فأأنواع البر هي، أولاً، التقوي والمحبة تجاه الله الواحد الحقيقي، وبعد ذلك مباشرة المحبة نحو الإخوة والآخرين، خاصة تقديم الاحترام للوالدين. فبالترتيب اللائق يستمر الكتاب في تعليمنا بأنه، بعد التوقير لله

680 1كو12:12-14.

681 رو8:15.

682 يو7:39.

683 لا19:18.

684 متى7:12.

685 1كو13:13.

686 1كو13:83.

687 أمثال7:16س.

واحترام الوالدين، علينا أن نظهر محبتنا نحو الكل. لأن في كل الحالات يتعهد الناموس بالمساواة، ويشرّع بأنه يجب أن تُمتحن الأمور بدقة. إذ أنه مكتوب في سفر التثنية: "لا يكن لك في كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة. لا يكن لك في بيتك مكيال مختلفة كبيرة وصغيرة. وزن صحيح وحق يكون لك، ومكيال صحيح وحق يكون لك، لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لأن كل من عمل ذلك كل من عمل غشاً مكروه لدى الرب إلهك" 688. مكتوب أيضاً في سفر اللاويين: "لا تتركبوا جوراً في القضاء لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل. ميزان حق ووزنات حق وإيفه وهين حق تكون لكم. أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر" 689. إذن، حرص (الناموس) بكافة الطرق أن يعادل بالقياسات والمكيال والأوزان، طرق العدل. لأنه العقل الصادق والبار، يوازن ويقيس طبائع الأشياء ويفحص بالتفصيل وبدقه أكثر من هؤلاء الذين يراقبون الموازين والأثقال التي توضع فوق الميزان، ويقيس كل شيء من الأشياء التي يفحصها بدون أن يدمر بالنافل جمال المساواة الدقيقة، ولا يسمح بالتأكد بالخطأ لكي يفعل هذه المساواة، ها هي إذن - يقول - مقاييس الأطوال، والأوزان، والسوائل صحيحة. وأعتقد أن هذه هي بعض النماذج والأمثلة الواضحة، والتي تعلن لنا الطرق التي بها نستطيع أن نفسر الكلام الدقيق عن المساواة وتصير معرفة البر واضحة. ولاحظ أن كل ما يتضمنه الناموس يهدف إلى البر، لكن يكسب الأعم (نعمة العهد الجديد)، وكل ما علّمه المسيح يمضي أبعد جداً عن ما يقدمه الناموس. لأن الصلاح أسمى من الناموس، أي مجد التوافق مع إرادته الحياة بحسب المسيح.

بلاديوس: نتحدث بالصواب. بالتأكد سأتذكر أولئك الذين تبرروا بالإيمان، وفق ما قاله المسيح: "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات" 690.

كيرلس: وهذا أكيد. لكن دعنا ننشغل بالتفصيل إذا أردت، بمقياس الاستفادة الموسوية ومجد بر الناموس. لأن من يحب الحق (الله)، ويعتبره أمراً ضرورياً أن يحب إخوته ينبغي عليه أن يبدو وثقاً وثابتاً. إن الإنسان غير المخادع عليه أن يهتم بكل حرية بسلوكه الأخلاقي ليكون مكتشفاً وبلا لوم، ذلك بدون أن يتزعزع وبلا سطحية ولا بإظهار وداعة كاذبة تجعله يخفي وراء فروة الحمل حقيقة أنه ذئب، لذلك يقول الناموس: "لا تسع في الوشاية بين شعبك. لا تقف على دم قريبك. أنا الرب. لا تبغض أخاك في قلبك. إنذاراً تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية" 691. وهذا الأمر صاغه برؤية أخرى، لأنه يقول: "لا يكن عليك ثوب مصنف من صنفين" 692، وأيضاً: "لا تلبس ثوباً مختلطاً صوفاً وكتناً معاً" 693.

إن خداع وجبن هؤلاء الذين نعتبرهم صالحين، يُعتبر شراً مخيفاً ويستحق التأنيب. الخداع يُعدّ من الأشياء التي يمتقتها الله جداً، والذي يصاحبه دائماً ازدواجيه والتقلب في الرأي. بسبب هذه الأمور يستفز ويغضب العقل الإلهي النقي الطاهر. لأنه يقول للبعض: "لسانهم سهم قنّال يتكلم بالغش. بفمه يكلم صاحبه بسلام وفي قلبه يضع له كميناً" 694. سوف يصعد إلى جبل الرب، يقول داود، العامل بالحق والطاهر في القلب "الذي لا يشي بلسانه ولا يصنع شراً بصاحبه ولا يحمل تعبيراً على قريبه" 695. إذن، فإن السلوك بخداع، أي المرء الذي يحيا بالمكر ويلبس قناع البر، وفي نفس الوقت يؤذي إخوته غير مبالٍ بنواميس المحبة فهذا ما حرّمه الناموس كشيء بذيء، ويوصينا ألا نلبس ثوباً مصنفاً من صنفين مستخدماً هذا الثوب كرمز، وهو يعني أنه من البذاءة أن نخفي ازدواجيه في نفوسنا، ازدواجيه داخلية وذهنية، إنه الرياء البشري الملعون الذي يُنسج من الانشغال برأيين يجعل تصرفات الواحد تجاه الآخر سيئة وفاسدة. نتساءل ماذا تكون حياة المنافقين؟ هي طبعاً مثل هؤلاء الذين يراهم الناس كصالحين ويعتبرونهم صالحين، لكن في الحقيقة هم غير صالحين.

688 تث 25: 26.13.

689 لا 19: 36.35.

690 مت 20: 5.

691 لا 19: 17.16.

692 لا 19: 19.

693 تث 22: 11.

694 إر 9: 8.

695 مز 15: 3.

بلادبوس: بالتاكيد.

كيرلس: إذن، طريق المنافقين طريق مزدوج مغلف بإرادتين مختلفتين، لكن داود العظيم يمتدح الإنسان ذا الطريق الواحد ويقول إنه جدير بنظر السماء لأنه يقول: "لله مُسْكِن المتوحدين في بيت" ⁶⁹⁶، أيضًا يُقال إن الله يشتت عظام الذين يفرحون باستحسان البشر لهم. وهذه الشهوة يمتقتها بولس قائلا "أفأسْتَغْفِر الآن الناس أم الله. أم أطلب أن أرضى الناس. فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح" ⁶⁹⁷.

بلادبوس: هل يوجد أحد لم يكن واضحاً له أن الرياء هو بالحق سخييف وبعيد جداً عن التقدير الصحيح ؟

كيرلس: إذن ثمرة المحبة التي بلا لوم والتي تتمشى مع الرجل البار والصالح هي أن يكون متحرراً من الخداع. وهذا ما يحتاجه الدارس الحقيقي للبر وعاشق المحبة تجاه الإخوة أن يعتبر هذا الرأي مستقيماً ليس فقط إذا توقف عن هذا الخداع، لكن أن يصير معلماً لأهله أو للذين يسكنون معه. والقديس بولس يتحدث عن الشخص الذي سوف يأخذ على عاتقه الاهتمام بكنيسة الله أن يكون له أولاد مطيعين، وجعل هذا الأمر برهاناً على صلاحه أو عدم صلاحه قائلاً: "إن كان أحد لا يعرف أن يبدر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله" ⁶⁹⁸.

لذلك يقول الناموس بمثال وصورة حية "وإذا نطح ثوراً رجلاً أو امرأة فمات يُرجم الثور ولا يؤكل لحمه وأما صاحب الثور فيكون بريئاً ولكن إن كان ثوراً ناطحاً من قبل وقد أشهد علي صاحبه ولم يضبطه فقتل رجل أو امرأة فالثور يُرجم وصاحبه أيضًا يُقتل. وإن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه. أو إذا نطح ابناً أو ابنةً فيحسب هذا الحكم يُفعل به. إن نطح الثور عبداً أو أمةً يُعطي سيده ثلاثين شاقلاً فضة والثور يُرجم" ⁶⁹⁹، إذن تشريع الله واضح ؟

بلادبوس: ليس واضحاً تماماً.

كيرلس: انتبه إلي ما أقوله وليكن في ذهنك ما كتبه القديس بولس "ألعل الله تهمة الثيران أم يقول مطلقاً من أجنا" ⁷⁰⁰ يُشبّه الشنّام والحسود بالثور الذي عنده قوة هجومية. لأن هذا الحيوان منتفخ ومتغطرس ورهيب في قوته ومن الصعب مواجهة هجومه. إذن يُشرح هذا الكلام روحياً هكذا، إذا كان لإنسان صديق يعرفه معرفة جيدة وتقابلاً معاً مع رجل صالح آخر يعرفه وحدث أن قام هذا الإنسان بفعلٍ مشين تجاه هذا الرجل الصالح الذي كان يجهل حقيقة شخصية الصديق وكانت النتيجة أن شلت حركة هذا الرجل أو الأفضل قتل من جراء هذه السلطة الظالمة لصديق هذا الإنسان، عندئذٍ أمر الناموس بأن يُفرض على هذا الإنسان (إذا كان على علم بوحشية صديقه هذا) جزاء الموت إذ قال يجب أن يموت بالرجم. لكن يتحرر هذا الإنسان من الغضب إن كان لا يعرف طريقته الناطحة ولم يدرك أنه يشارك في دناءة ذلك (الثور). لأن جرائم الآخرين لا تؤذينا إذا حدثت بدون أن نعرف حقيقتهم. لذلك لا يسمح أن يؤكل لحم الثور، لأنه لا يجب أن نشترك في نجاسة الآخرين، التي يشير إليها بمثال الأكل والمشاركة. إذن، ألا يشير هذا بواضح إلى القول بأنه: "لا تشترك في خطايا الآخرين. احفظ نفسك طاهرًا" ⁷⁰¹.

بلادبوس: واضحاً جداً.

كيرلس: الناموس شرع بالحق أن صاحب الثور مع الثور يُدان، إذا كان يعرف خطره، وقد أقرّ بأنه يعرف إنه شرس، لأنه في إمكانه أن يمنع وقوع الظلم وارتكاب الخطأ. لكن كونه لم يفعل هذا الأمر مع سبق الإصرار يكون هذا الإنسان مشاركاً في فعل هذا الأمر بالإرادة والفكر، هكذا مع من اختار أن يعمل ويتعاون مع أولئك الذين يريدون أن يرتكبوا جرائم. هذا الإنسان - كما يقول الناموس - فليمت إذا كان القضاة لم يفرضوا تعويضاً

⁶⁹⁶ مز 68:6.

⁶⁹⁷ غلا 1:10.

⁶⁹⁸ 1تي 3:5.

⁶⁹⁹ خر 21:32-28.

⁷⁰⁰ 1كو 9:109.

⁷⁰¹ 1تي 5:22.

وجزاءات خاصة بهذه الأمور. الناموس يهدف إلى الرحمة لأنه يقول: "يعاقب باعتدال إذا أراد القضاة". ذلك ينقل الآن المثال إلى الحقيقة، بمعنى أن القاضي يدين الكل بالموت لكنه يقبل هؤلاء الذين أخطأوا ويقدمون فدية لإبطال الخطيئة، أي دموع التوبة وألم التوبة وطرق الإحسان المختلفة، لأن حسب الكتاب: "الرحمة تفتخر على الحكم"⁷⁰². الناموس يُميز بين أولئك الذين وقع عليهم الضرر. فإذا كان الثور قد قتل ابنًا أو ابنة، فليمت الثور وصاحبه بلا رحمة أما إذا قتل عبدًا أو عبدةً فليدفع فدية. ألا يستحق إذن أن نرى ما هو السبب؟ بالرغم من أن وجود أحرار وعبيد ينتج عن سوء استخدام السلطة وليس نتيجة لخطأ ما، مثل المرض مثلاً لأنه حسب كلام النبي: "ليس أب واحد لكننا أليس إله واحد خلقنا"⁷⁰³. هل نستنتج إذن أن الخالق يسلم البعض إلى الجريمة والعبودية؟ هل الله هو الذي وضع العبيد في مكان مهين والأحرار في المجد؟ بالتأكيد لا، لأنه مكتوب: "ليس عبد ولا حر.. لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع"⁷⁰⁴. بناءً على ذلك، فالناموس هو ظل، والابن والابنة يعني الجيل الحر للقديسين، بينما العبد أو العبدة الجنس المستعبد الموجود تحت ثقل الخطيئة. وارتكاب الأخطاء ضد القديسين وضد الخطاة ليس له نفس الثقل ونفس العقاب. وبالتأكيد إن كون هؤلاء وأولئك هم إخوة من جهة الطبيعة فهذا واضح لكل واحد: لكن القديس موجود في سمو روحي وعلي مرتفعات الفضيلة. ومن جانب الله فإنه وضع القديسين في رتبة الأبناء والبنات، الأمر الذي يتخطى قياس البشر والعبيد. الناموس أوصي بطرق أخرى أن نفعل أعمال صالحة ونمارس المحبة تجاه الإخوة. سوف نستعرض هذه الطرق وسوف نتحدث عن كل ما هو في حدود طاقتنا. قال أيضاً: "وإذا فتح إنسان بئراً أو حفر إنسان بئراً ولم يغطه فوقه فيه ثور أو حمار فصاحب البئر يعوض ويرد فضة لصاحبه والميت يكون له"⁷⁰⁵. هذه الوصية تشير إلى أنه لا يصنع أحد عائقاً أو عثرةً لأخيه ولا يجعل الأمور التي هي ضرورية للحياة لنا وللآخرين وسيلة للموت. هل من يحفر بئراً لا يفعل شيئاً مفيداً وضرورياً لنفسه وللآخرين؟ لكن لا يجب أن يكون ما تفعله أنت يسبب خطراً للآخرين، لأنه كما يقول بولس العظيم "المحبة لا تطلب ما لنفسها"⁷⁰⁶.

بلاديس: ومن هو هذا الذي يحفر بئراً؟ وما الذي يشير إليه البئر لأنني أريد أن أعرف هذه الأمور بوضوح.

كيرلس: ما يشير إليه النص المقدس واضح بالطبع، لأنه يقول ينبغي أن يُغطى البئر حتى لا تحدث حادثة للآخرين، لأنه يقول ليت من لا يغطي البئر يعرف أنه إذا انزلق حيوان في البئر فسوف يدفع أموالاً لصاحبه، لكن هذا الذي قُتل سيكون ملكه. وسوف نقول ونحن نفسر الأمر وفق المفهوم الروحي: الناموس يدعو البئر معرفة الكتاب الموحى به من الله، وأيضاً الكلام عن الثالوث المقدس والمساوي وعن سر المسيح كمال كل هذا كان موجوداً في العمق وفيه القوة المحيية وهذا ما سوف يؤكد لنا المخلص نفسه "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"⁷⁰⁷. إذن، كل من يدرس الكتابات القديمة ويتحقق بجهد وفير من أقوال الكتاب الموحى به من الله مفتشاً عن المعرفة الدقيقة والصحيحة، يُشبه إلى حد كبير من يحفر بئراً لأنه يفتش عن الماء الذي يعطي الحياة⁷⁰⁸، والنبع الذي يحتوى على البهجة والسرور. فالذي وصل إلى هذه الدرجة من الفهم، يستطيع أن يُسلم ما فتش عنه كمن يحفر بئراً ولن يصنع شيئاً جديداً يعرق الآخرين ولكن يفيد ذاته والآخرين بأفعاله. لكن محبي المعرفة الكاذبة بحسب قول النبي يحفرون آباراً. حسناً يقول النبي إذا حفر شخص بئراً عليه أن يؤمنه لكي لا يصير لآخرين سبباً للهلاك، في حين أنه بظن أنه صنعه حسناً، لأنه ينبغي أن نركز بكلام الله بطريقة مستقيمة وبدقة حتى لا يصير هذا الكلام سبباً للعترة. وهذا ما يعنيه الغطاء على البئر، بمعنى أن لا يغيب عن الكرازة الأمان الواجب، لأنه يقول إذا وقع في البئر حمار أو ثور فصاحب البئر يعوض. الثور أيضاً والحمار لم يذكرهما بالصدفة لكن الإشارة لهما لها معنى عميق. ذَكَرَ الثور

⁷⁰² يع 2:13.

⁷⁰³ ملا 2:10.

⁷⁰⁴ غل 3:28.

⁷⁰⁵ خر 34:33.

⁷⁰⁶ 1كو 5:13.

⁷⁰⁷ يو 3:17.

⁷⁰⁸ انظر يو 14:14.

لكي يحضر إلي ذهنك الجنس المقدس والطاهر، بينما الحمار لكي تتذكر الجنس الدنس وغير الطاهر، لأنه حسب الناموس لا تُقدم إلي الله ذبيحة غير طاهرة. بالتأكيد فإن الجنس المقدس والطاهر هو كل الذين تطهروا بالمعمودية المقدسة، لكن ما زال البعض بداخلهم دنس الخطية. فهو كأنه يقول: "إذا حدث ضرر لشخص من أولئك الذين تعمّدوا وقبلوا ختم النعمة من جهة الشركة مع الله، أو لشخص تصادف أنه لم يعتمد بعد سوف يعاقب مسبباً العثرة وسوف يبقى في هذا الموت بمعنى سيصير الموت موت ذاك الذي أصابه الموت. بالتأكيد المخلص نفسه قد حذرنا قائلاً: "ومن أعر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يُعلّق في عنقه حجر الرحي ويغرق في لجة البحر"⁷⁰⁹.

بلاديسوس: نتحدث بالصواب.

كيرلس: يمكنك أن تتحقق بسهولة أن الناموس يعلن بطرق رمزية أنه ليس من الصواب أن يخطئ المرء إلى الإخوة. لأنه كون أن أحد يجرح ضميرهم الضعيف روحياً فيكون كمن يخطئ إلى المسيح⁷¹⁰، يقول إذن "إذا خرجت نار وأصابت شوكاً فاحترقت أكداًس أو زرع أو حقل فالذي أوقد الوقيد يُعَوّض"⁷¹¹. لأنه لا يجب أن يهلك الأشياء المفيدة مع الأشياء الضارة ولا تهلك الحيوانات الأليفة مع الحيوانات المفترسة.

بلاديسوس: كيف تفهم هذا ؟

كيرلس: هل لا يوجد تشابه بين كتابات الهرطقة الفجار والمعلمين الثراريين اليونانيين وبين الشوك الذي علي الجبال وفي الحقول؟ بمعنى أي فائدة يمكن أن تكون لنفوس البشر من هذه الأمور أو بمعنى آخر أي ضرر سوف لا يصيب كل الذين لا يريدون أن يضعوا هذه الأمور في عقولهم؟ الأشواك تغذي النار وتمثل فقط غذاءً لالسنة النار. هكذا العقائد المظلمة التي لأولئك الذين هم في الضلال وحكايات العجائز الوثنية فهي توقد السنة النار الأبدية. السنابل والقمح هي طعام لذيذ للبشر وضروري لفائدتنا إذ بها نستمر في الحياة، وهي مثال لعقائد الحق والتي بها يتغذى كل الذين يؤمنون بالخبز الحقيقي أي بالمسيح. الكتب المقدسة هي وادي سهل وبدون وعورة لأولئك الذين يعرفون أن يحيا بطريقة صحيحة ومستقيمة. لأنه حسب ما هو مكتوب: "كلها واضحة لدى الفهم ومستقيمة لدى الذين يحبون المعرفة"⁷¹². إذن، فالشوك هو ثرثرة المنحرفين الدنسة والمملوءة فجراً بينما القمح والسنابل هي كلمة الحق التي تفيد وتغذي النفس إذ أن الكتاب المقدس هو وادي سهل. وذلك عندما نقول إن أقوال القديسين تنقّض كالسنة النار على ضلال الهرطقة واليونانيين، إذ أن القديسين يدافعون عن عقائد الحق ويهاجمون تلك الأشواك حتى تحترق كتابات أولئك مثل الأشياء المادية غير المفيدة بدون أن تسبب أي ضرر للسنابل ولا القمح الذي تحمله، ليت المعلمون يحترسون كي لا يلحقون الأذى بأي عقيدة من عقائد الحق. والمعلم الذي لا يحترس ولا يؤدي واجبه على ما يُرام وأحرق شيئاً من الأشياء المفيدة (أي حرّف عقيدة من العقائد) فإنه سيدفع ثمن إهماله هذا. هل أدركت إذاً كم يريد المشرّع بما يأمر به أن يُنهض انتباهنا لكي ينقذ في كل الحالات نقاوة وصراحة المحبة نحو إخواننا؟

بلاديسوس: بالتأكيد أدركت.

⁷⁰⁹ مت 6:18.

⁷¹⁰ انظر 1كو 12:8.

⁷¹¹ خر 22:6.

⁷¹² أمثال 9:8.

كتابات الآباء التي صدرت

- 55.1، 58، 59، 63 : نصوص للآباء صدرت ونفذت .
- 56 : رسائل القديس كيرلس الأسكندري إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي (طبعة ثانية)
- 57 : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الخامس) . للقديس كيرلس الأسكندري
- 60 : آحاد الصوم المقدس (60 . 7/60)
- 61 : السجود والعبادة بالروح والحق، ج2، المقالتان الثانية والثالثة، للقديس كيرلس الأسكندري
- 62 : تجسد الكلمة (ترجمة جديدة عن اليونانية) . للقديس أنثاسيوس الرسولي
- 64 : المقالة الأولى ضد الآريوسيين (طبعة ثالثة منقحة) . للقديس أنثاسيوس الرسولي
- 66 : السجود والعبادة بالروح والحق، ج3، المقالتان الرابعة والخامسة، للقديس كيرلس الأسكندري
- 67 : خميس العهد . عظتان للقديس كيرلس عمود الدين
- 68 : قيامة المسيح . للقديس كيرلس عمود الدين
- 69 : شرح إنجيل يوحنا، الجزء الخامس، الإصحاحان 9 و10، للقديس كيرلس الأسكندري
- 70 : ثيوفانيا: ميلاد المسيح . للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات
- 71 : تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ج1، الإصحاحان 1 و2، للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 72 : رسائل القديس أنطونيوس . الجزءان معاً
- 73 : الصوم . للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 74 : الصليب . عظتان للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 77 : المقالة الثانية ضد الآريوسيين . للقديس أنثاسيوس الرسولي . طبعة ثالثة منقحة
- 78 : الرسالة الفصحية الأولى . للقديس كيرلس الأسكندري
- 79 : عيد الخمسين . عظتان للقديس يوحنا ذهبي الفم
- 80 : السجود والعبادة بالروح والحق، ج4، المقالتان السادسة والسابعة، للقديس كيرلس الأسكندري

www.orthodoxonline.org